الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: **لسانيات الخطاب**

الموسومة بـــ:

تحليل الخطاب في ضوء المفارقة بين النصية والخِطابية

- دراسة وصفية -

إعداد الطالب

عمار حمو

إشراف:

أ. د: بن جلول مختار

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. بلول أحمد	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة تيارت
أ.د. بن جلول مختار	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرّراً	جامعة تيارت
أ.د. ميس سعاد	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً مساعداً	جامعة تيارت
أ.د فارز فاطمة	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	جامعة تيارت
أ.د. حدوارة محمد	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	م/ج بوشوشة- أفلو
أ.د. بلميهوب هند	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	جامعة تيسمسيلت

السنة الجامعية: 1444-1445ه/2022-2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: **لسانيات الخطاب**

الموسومة بـــ:

تحليل الخطاب في ضوء المفارقة بين النصية والخِطابية

- دراسة وصفية -

إعداد الطالب

عمار حمو

إشراف:

أ. د: بن جلول مختار

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. بلول أحمد	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة تيارت
أ.د. بن جلول مختار	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرّراً	جامعة تيارت
أ.د. ميس سعاد	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً مساعداً	جامعة تيارت
أ.د. فارز فاطمة	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	جامعة تيارت
أ.د. حدوارة محمد	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	م/ج بوشوشة- أفلو
أ.د. بلميهوب هند	أستاذ التعليم العالي	عضواً مناقشاً	جامعة تيسمسيلت

السنة الجامعية: 1444-1445ه/2022-2023م

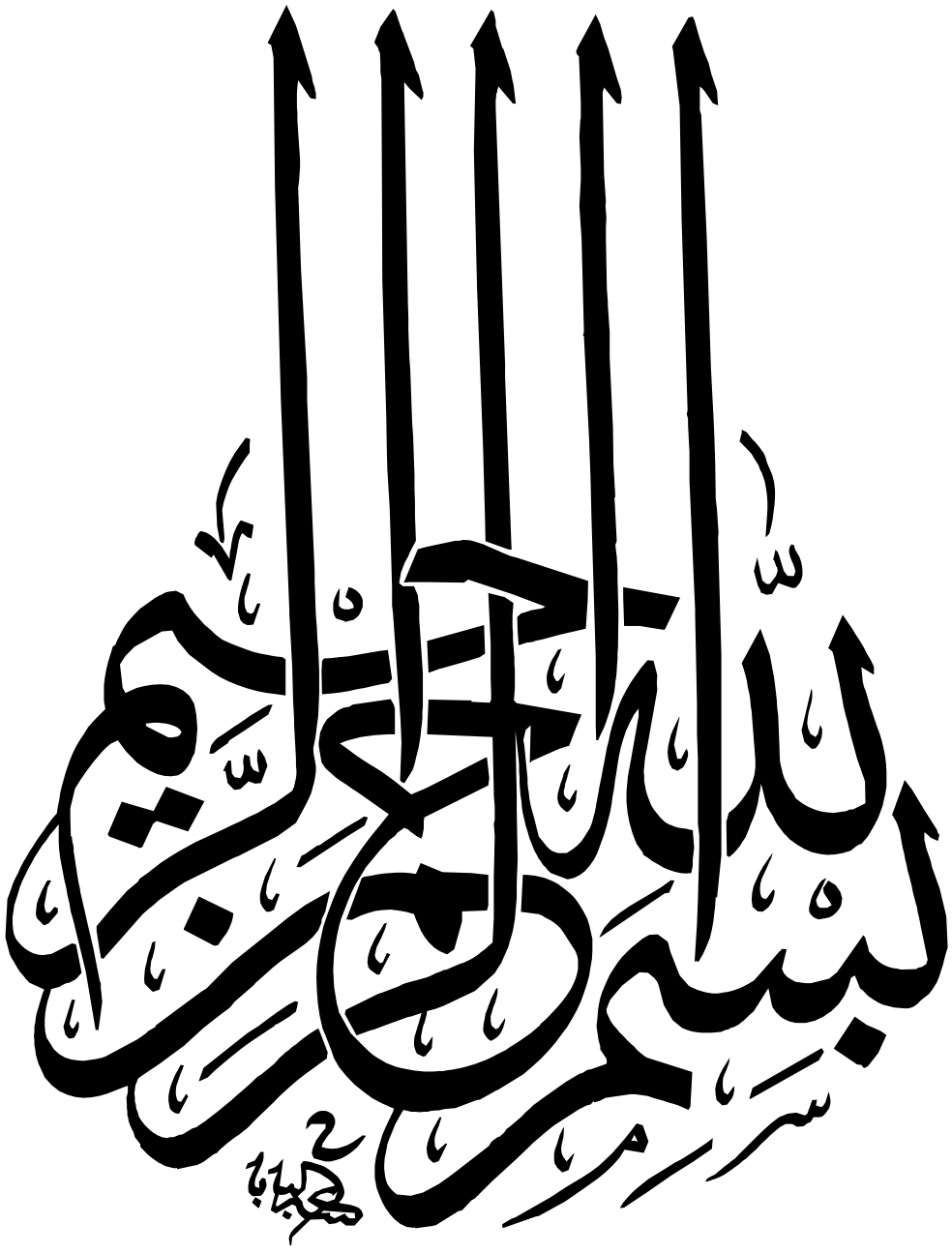
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــــــــر و تقديـــــــــــر:

أتقدم بالشكر إلى والدي العزيزين على كل ما قدماه لي و أسأل الله القدير أن يحفظهما ويبارك فيهما ويجعل الجنة مثواهما

كما أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان للأستاذ الدكتور" مختار بن جلول" المشرف على هذه الرسالة على ما قدم لي من عون وتوجيهات أثناء إعداد هذا البحث، وأسأل الله العلي القدير أن يحفظه ويبارك فيه.

والشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة، وإلى كافة أساتذة كلية الآداب واللغات بجامعة ابن خلدون تيارت – الجزائر .

إهـــــــــداء

يسعدنـــــــي أن أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى والدي حفظهما الله

******

إلى العائلة الكريمة حفظها الله

******

إلى أستاذي المشرف حفظه الله

******

إلى رفقاء دربي

******

وإلى كل من شجعني وقدم لي يد العون وساهم في إخراج هذا العمل إلى النور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعد:

فقد أصبح اليوم تحليل الخطاب من أبرز التخصصات التي تحتل مكانة مرموقة بين مختلف العلوم الإنسانية؛ نظرا للنتائج التي حققها في مختلف الميادين والمجالات، وهذه المكانة الرائدة تعود بالدرجة الأولى للموضع الذي يقع فيه.

يعدّ تحليل الخطاب ذلك المجال الذي يستفيد وينهل من مختلف النتائج التي تتوصل إليها العلوم المجاورة له، حيث يقوم بتكييفها وتطويعها وفق ما يخدم غاياته وأهدافه، من دون نفي لخصوصيته التي تميزه عن سائر الحقول العلمية المقاربة له.

إنّ تحليل الخطاب مجال متداخل الاختصاصات يمتاز بالمرونة والحركية والدينامكية والتكيف مع مختلف التحديات الّتي يواجهها، وما لم يلتزم المحلل بالمجال الذي سيشتغل فيه، والمنهج الذي سيتبناه في التحليل، والأدوات والآليات التي سيستعملها، سيجد نفسه أمام حقل واسع يصعب فيه وصف تحليله بالعلمية والدقة المطلوبة في الدراسات الأكادميّة.

تعدّ لسانيات الخطاب من أحدث العلوم التي تناولت الخطاب بالدراسة والتحليل، والوصف والتفسير، حيث حاول روادها التنظير لهذا المعطى الجديد، والّذي يعدّ تجاوزا لمستوى الجملة أولا، ومستوى النصّ ثانيا، من هذا المنطلق اخترنا أن نطرح الإشكالية الأتية:

ماهي أهمّ مواضع النقص والقصور في لسانيات الجملة؟ وكيف تجاوزت لسانيات النصّ لسانيات الجملة؟ وكيف تجاوزت الدراسات الّلسانية الخِطابية البعد النصّي في الدراسة اللّسانية؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اقترح أن يكون عنوان هذا البحث موسوما بـ:

"**تحليل الخطاب في ضوء المفارقة بين النصّية والخِطابية _ دراسة وصفية _** "، كما لابدّ من الإشارة في هذا الموضع إلى الاعتماد على المنهج الوصفي في معالجة هذا الموضوع، مع التداخل في بعض المواضع مع المنهج المقارن، وذلك مراعاة لما تقتضيه طبيعة هذا النوع من المواضيع.

ولعلّ من أهم **الأسباب الموضوعية التي دفعتنا** إلى البحث في هذا الموضوع نذكر:

- أولا: أهمية مجال تحليل الخطاب في الدراسات الإنسانية عامة والدراسات اللّغويّة خاصة، إذ يسمح هذا النوع من المواضيع للباحث بالاحتكاك بالباحثين المتخصصين في علوم اللّغة والأدب والنقد بل وحتّى المتخصصين في العلوم الإنسانية، مثل: الفلسفة والمنطق والعلوم المعرفية وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وكذا علوم الإعلام والاتصال، مما ينعكس على الباحث بالإيجاب؛ حيث يكسبه معرفة وثقافة موسوعية.
- ثانيا: الجدل العلمي حول مصطلحي النصّ والخطاب، إذ نجد في بعض الأحيان من يرادف بينهما ويعتبرهما شيئا واحدا، كما نجد في أحيان أخرى من يفارق بينهما ويعتبرهما شيئين مختلفين .

وأمّا فيما يخص الأسباب الذاتية فقد تمثلت في تقارب هذا الموضوع مع التخصص الذي تلقيناه في مرحلة الماستر، وكذا تقاربه أيضا مع التكوين الذي نحن بصدد تلقيه في مرحلة الدكتوراه، مما يعود على الباحث بالانسجام العلمي، ويسمح له بتعميق معارفه وإثراء مكتسباته في مجال تحليل الخطاب.

كما تجدر الإشارة إلى الالتزام في معالجة هذا الموضوع بالإطار النظري والمنهجي للسانيات الخطاب، خاصة الجانب التداولي فيها؛ لأنّه الجانب الرئيسيّ الّذي يكسب الخطاب خِطابيته.

وأمّا فيما يخص المدونة الّتي سيشتغل عليها في هذه الدراسة فقد تم اختيار خطبة وعظية للشيخ "البشير الإبراهيمي"، ألقها في حفل بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ولقد تمّ اختيار هذه الخطبة دون غيرها؛ نظرا لملامستها ذكرى عزيز على المسلمين هي المولد النبوي الشريف، كما أنّ صاحبها هو الشيخ "البشير الإبراهيمي" الذي يعتبر عالما وواعظا وأديبا جزائريا، ورائد من رواد الإصلاح في العالم العربي والإسلامي.

وأمّا فيما يتعلق بالأهداف المتوخاة من هذه الدراسة فقد تمّ إجمالها في النقاط الأتية:

- أولا: رصد مواضع القصور في لسانيات الجملة والتركيز على دواعي الانتقال من لسانيات جملة إلى لسانيات النصّ.

- ثانيا: تحديد مجال لسانيات النصّ وموضوعها وغاياتها وأهم اتجاهاتها، وكذا علاقتها بالعلوم المجاورة لها.
- ثالثا: ضبط مفهوم النصّ والنصيّة.
- رابعا: تسليط الضوء على الجهود النصّية العربية القديمة خاصة عند البلاغيين والنقاد والمفسرين وعلماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره القدامى.
- خامسا: تحديد مفهوم تحليل الخطاب والخطاب والخطابية، ومجال التداولية.
- سادسا: رصد أهم اتجاهات التداولية المعاصرة.
- سابعا: تشكيل حزمة من المفاهيم التداولية الّتي يمكن استعمالها في تحليل الخطاب تداوليا.
- ثامنا: تحليل خطبة الإبراهيمي المولدية نصّيا من خلال استعمال مفهومي الاتّساق والانسجام النصي.
- تاسعا: رصد الخصائص التداولية لخطبة الإبراهيمي المولدية، من أجل تحليل كامل وشامل يحيط بكل أبعاد الخطبة.

وأمّا فيما يخص أهم الدراسات السابقة الّتي اعتمدنا عليها في هذا البحث فإننا نذكر: دراسة لمحمد خطابي بعنوان: لسانيات النصّ —مدخل إلى انسجام الخطاب، حيث تعتبر دراسة رائدة في مجالها، حاول الكاتب من خلال تسليط الضوء على أهم مفاهيم اللّسانية النصّية والتداولية وتجلياتها في التراث اللّغوي العربي، بيد أنّه لم يذكر مفهومين تداولين مهمين هما الأفعال الكلامية غير المباشرة والحجاج، دراسة أخرى رائدة أيضا تعود للكاتب هشام إبراهيم عبد الله الخليفة بعنوان: نظرية الفعل الكلامي- بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللّغويّة في التراث العربي والإسلامي، حيث حاول الكاتب من خلالها أن يوضح للقارئ أنّ اللّغويين العرب القدامى عرفوا أيضا التداولية وتحليل الخطاب، وهو ما ستحاول هذه الدراسة استكماله والتركيز عليه، دراسة أخرى للباحث عبد الرحمان بودرع بعنوان: النصّ الذي نحيا به، حيث تطرق فيها الباحث إلى مفهوم النصّ والنصّية وكذا الخطاب

والخطابية، ووضح أنّ الخطاب هو ارتباط النصّ بسياقه وظروف إنتاجه وتلقيه، وهو ما ستأكد عليه هذه الدراسة.

وأمّا فيما يتعلق بأهم المصادر والمراجع الّتي اعتمد عليها في هذا البحث، فقد تنوعت بين مصادر تراثية قديمة، ومراجع غربية حديثة، نذكر من ضمن المصادر القديمة: كتب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء "لحازم القرطاجني" (ت684هـ)، الجامع لأحكام القرآن "للقرطبي" (ت671هـ)، البرهان في تناسب السور "لابن الزبير الغرناطي" (ت708هـ)، وغيرها من المصادر اللّغوية التراثية المؤسسة في مجالها، وأمّا المراجع الغربية الحديثة فقد تمثلت في كتب: التحليل اللّغوي للنصّ "لكلاوس برينكر" ترجمة: سعيد حسن بحيري، النصّ والخطاب والإجراء "لدي بوجراند" ترجمة: تمام حسان، القاموس الموسوعي للتداولية "لجاك موشلارل" و"آن ريبول" ترجمة: حمادي صمود وعبد القادر المهيري، معجم تحليل الخطاب "لباتريك شارودو" و"دومينك منغنو"، وغيرها من المراجع الرائدة في مجالها.

ولعلّ من ضمن أهم الصعوبات الّتي وجهتنا أثناء إعداد هذا البحث نذكر:

- أولا: جائحة كورونا التي عطلت الدراسة في الجامعات، ومنعت الطلبة من الالتحاق بالمكتبات ومخابر البحث.
- ثانيا: فوضى المصطلحات التي أصبحت تربك القراء والباحثين.
- ثالثا: إشكالية الترجمة، حيث نجد المصطلح الغربي الواحد له أكثر من ترجمة، مما يجعل مسألة توحيد المصطلح اليوم أكثر من واجبة.

وأمّا بالنسبة للخطة التي اتبعناها في هذه الدراسة فقد تمّ تقسيمها إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، حيث جاء المدخل بعنوان: لسانيات الجملة (مدخل تاريخي)، حيث تناولنا فيه أهم مفاهيم لسانيات الجملة وعلاقتها بالنصّ، وكذا أوجه القصور فيها، والتي كانت الدافع الحقيقي للانتقال من لسانيات جملة إلى لسانيات النصّ.

وأمّا الفصل الأوّل فقد جاء بعنوان: لسانيات النصّ مفهومها مجالتها وتجلياتها في المنجز اللّغوي العربي القديم، حيث تناولنا في المبحث الأوّل منه مفهوم لسانيات النصّ ومجالتها واتجاهتها وكذا علاقتها بالحقول المعرفية المجاورة لها، مثل: علم البلاغة والأسلوبية والخطابة وعلم النفس الإدراكي وعلم النفس الاجتماعي، وأمّا المبحث الثاني منه فقد خصص لتجليات أو تمثلات لسانيات النصّ في المنجز اللّغوي العربي القديم، حيث تم التركيز على البلاغين العرب القدامى والمفسريين وعلماء مناسبات أي القرآن الكريم وسوره باعتبارهم المؤسسين لما يمكن أن يسمّى بلسانيات نصّية عربية.

وأمّا الفصل الثاني من هذه الدراسة فقد أتى بعنوان: التداولية وتحليل الخطاب وتمظهراتهما في الموروث اللّغوي العربي القديم، حيث تطرقنا في المبحث الأول منه إلى مفهوم تحليل الخطاب، والخطاب، والخِطابية، وعلاقة النصّ بالخطاب، وعلاقة لسانيات النصّ بتحليل الخطاب، وكذا أهم المفاهيم الّتي لا يمكن لتحليل الخطاب أن يستغني عنها، كما خصصناه أيضا للتحديد مفهوم التداولية ومجالها، وأهم اتجاهاتها، وكذا مفاهيمها الأساسية التي يمكن تحليل الخطاب في ضوئها، وأمّا المبحث الثاني منه فقد خصصناه لتمظهرات التداولية وتحليل الخطاب في المورث اللّغوي العربي القديم، حيث تمّ التركيز على علماء أصول الفقه، والبلاغيين، والمفسريين العرب والمسلمين القدامى، باعتبارهم المؤسسين لما يمكن أن يسمّى بتحليل خطاب عربيّ.

وأمّا الفصل الثالث والأخير، فقد تم تخصيصه للجانب التطبيقي من هذه الدراسة، وقد جاء بعنوان: تحليل الخطاب النثري- خطبة مولدية للشيخ البشير الإبراهيمي نموذجا، حيث جرى تقسيمه إلى مبحثين اثنين يكملان بعضهما البعض، إذ تمّ التطرق في المبحث الأوّل إلى الاتّساق والانسجام النصي في خطبة الإبراهيمي المولدية، وأمّا المبحث الثاني فقد تم التطرق فيه للأبعاد التداولية لنفس الخطبة، وذلك بغرض تحليل كامل وشامل، يأخذ بعين الاعتبار جميع مستويات الظاهرة اللّغوية.

وأمّا الخاتمة فقد تمّ تضمينها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة.

وفي الختام لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن ننوه بجهود المشرف الأستاذ الدكتور **"بن جلول مختار"** الذي أشرف على هذا البحث من بدايته إلى نهايته، مع الشكر له والتقدير لما بذله من نصائح

وتوجيهات أنارت لنا طريق البحث، كما لا يفوتني ذكر ما كان من خلقه السمح الكريم الطيب، وأسأل الله العلي القدير أن يمده بالصحة والعافية، وأن يبقيه منارة تضيء لطلبة العلم والباحثين مسارهم العلمي.

كما لا يفوتني أيضا في هذا الموضع التنويه بجهود أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة وتقويم هذه الرسالة العلمية، فلهم مني الشكر كل الشكر على ملاحظاتهم النيرة وتوجيهاتهم الخيّرة، التي لن تزيد من هذا البحث إلاّ جدة وقوة ورونقا وضوءا ينير للباحثين طريق العلم والمعرفة، كما لا ننسى جهود الطاقم الإداري والعلمي لجامعة ابن خلدون التي ما فتئت تذلل الصعوبات للطلبة والباحثين، فلهم مني كل الشكر والتقدير.

وسبحانك الهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك، وصلى اللّهم وسلم علي نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

تيارت في: 1 جوان 2023

الطالب عمار حمو

لسانيّات الجملة

(مدخل تاريخي)

تمهيد

لا ننوي من خلال هذا المدخل تقديم عرض تفصيليّ لمختلف الاتجاهات اللّسانيّة الّتي تنضوي تحت مسمّى لسانيّات الجملة، فمثل هذا العمل يحتاج إلى كتابات مستقلة في هذا الباب، وقد قِيمَ بها، ولا نريد التكرار، وإنّما حسبنا في هذا المدخل أن نشير إلى أهم المفاهيم اللّسانيّة سواء البنيويّة أو التوليديّة وعلاقتها بمصطلح النصّ، مع تبيان مواضع النقص والقصور فيها.

المبحث الأوّل: اللّسانيّات البنيويّة

نسعى في هذا المبحث إلى تحديد نظرة اللّسانيّات البنيويّة لمصطلح النصّ، حيث سيكون ذلك من خلال التركيز على مفهوم البنيويّة عامة، والبنيويّة في اللّغة خاصة، بالإضافة إلى رصد أهمّ المفاهيم والمناهج وطرق التحليل الّتي أفرزتها اللّسانيّات البنيويّة، لنختمه في النهاية بالتركيز على أوجه قصور اللّسانيات البنيويّة سواء على المستوى المنهجيّ، أو على المستوى المعرفيّ.

1.1 البنيويّة:

عَرَفَ مصطلح البنيويّة تحديدات متنوعة ومختلفة، طبقا للمجال العلمي الّذي استعمل فيه، فهناك بنيوية رياضيّة، وبنيوية منطقيّة، وبنيوية نفسيّة وبنيوية اجتماعيّة وبنيوية لغويّة وهلم جر...، كما استعمل هذا المصطلح بشكل كبير في مختلف البحوث والدراسات الّتي تنتمي للمجالات السّابقة، حيث أصبح عبارة عن موضة، وهذا الّذي شكّل إزعاجا لبعض البنيويين والفلاسفة[1].

إنّ هذه الوفرة في استعمال هذا المصطلح لم تمنع من وجود خصائص مشتركة لهذا المفهوم، على رغم من اختلاف التخصّصات الّتي استعمل فيها.

تعتبر البنيويّة في مفهومها العام "مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجيّة، وبكلمة موجزة، تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، والتحويلات، والضبط الذاتيّ"[2]،

[1] ينظر:جان بياجي، البنيوية، تر: عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات العويدات، بيروت، باريس، ط4، 1985،ص: 5.

[2] المرجع نفسه، ص: 8.

فالمهمّ في البنية هو الكلّ، بالإضافة إلى التحويلات الّتي تحدث داخل هذا الكلّ، والضبط الذاتيّ، بمعنى عدم الحاجة إلى عناصر خارجيّة، فالبنية تضبط نفسها بنفسها من خلال مكوناتها، ولا حاجة لها بغيرها من العناصر الخارجة عنها.

كما عرّفت البنيويّة أيضا بأنّها "فلسفة علائقية؛ لأنّها تجعل من العلاقـات أساس كل شيء"[1]، فالتحليل البنيويّ يجب أن يهتم بالعلاقات الموجودة بين العناصر الّتي تشكل بنية واحـــدة، "إنّ البنية مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها، إنّ العنصر الواحد لا قيمة له إلاّ في إطار العلاقات الّتي تجمعه ببقية العناصر الموجودة معه في نفس السياق"[2].

فالّذي يتضح – إذن- أنّ البنية تتكون من مجموعة من العناصر بالإضافة إلى العلاقات الموجودة بين هذه العناصر، ويتم الفهم الجدليّ لعلاقات البنية والعناصر في الإقرار بأنّ البنية ثانوية بالنسبة للعناصر، فهي ببساطة لا وجود لها بدون العناصر وغير ممكنة الوجود، إنّها صورة ترتيب العناصر"[3]، فلا يمكن أن نتصور بنية من دون عناصر، إذ العناصر أوّلا، ثمّ البنية الّتي هي صورة هذه العناصر مجتمعة ثانيا.

1.1.1 البنيويّة في اللّغة:

يعدّ اللّسانيّ السويسريّ "دي سوسير" de saussure من مؤسسي البنيويّة، فجلّ أعماله اللّسانيّة تنضوي تحت مسمّى البنيويّة، على الرغم من أنّ سوسير "لم يتحدث عن البنية"[4]، أي لم يذكر هذا المصطلح ذكرا صريحا، وإنّما اكتفى بذكر"مصطلح النّظام فقط، وأمّـــــــــــا اللّسانيون

[1] مصطفى غلفان: في اللّسانيات العامة- تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 277.

[2] المرجع نفسه، ص: 260.

[3] زينايدا يويوقا ويوسف ستيرنين: اللّسانيات العامة، تر: تحسين رزاق عزيز، مر: عبد الجبار محسن الربيعي، دار الروافد الثقافية – ناشرون، منشورات ابن النديم، الجزائر، ط1، 2017، ص: 196.

[4] ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللّسانية الكبرى- من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، ص: 105.

من حلقة براغ فقد استعملوا مصطلح البنية"[1]، إذ يعتبرون من أوائل من استعمل هذا المصطلح.

يعتبر "كتاب سوسير دروس في اللّسانيّات العامة الّذي نشره بالي (Bally) وسيشهاي (Séchehaye) سنة 1916 اعتمادا على كراسات الطلبة الّذين تابعوا دروس سوسير بين عام 1905 و1911، وكأنّه النصّ المؤسّس للسانيّات الحديثة القائمة على اللّغة بوصفها نسقا"[2]، فيمكن أن يقال هنا، بأنّ هذا الكتاب الّذي هو عبارة عن مجموعة من الدروس قدّمها "دي سوسير" لطلبته في جامعة جنيف، يعدّ النصّ المؤسس للبنيويّة، ولمعظم تصورات ونظريات "سوسير" de saussure اللّسانيّة.

تجاوزت البنيويّة في اللّغة "الأبحاث التطوريّة الّتي تتناول ظواهر منعزلة، وأخذت بطريقة المجموعات النّظام اللّغويّ المتزامن"[3]، حيث لم تعد تقتصر الدراسة اللّسانيّة على تطور اللّغة في مراحل تاريخيّة مختلفة، وإنّما أصبحنا أمام دراسة لسانيّة آنية للغة.

تقوم دراسة اللّغة من المنظور البنيويّ على "دراسة نظام اللّغة وفهمه وتبيين عناصر النّظام ذاته، والأنظمة الفرعية فيه، وكذلك تحديد العلاقات الّتي تربط العناصر فيما بينها وتحول حقائق معينة إلى نظام كامل"[4]، فإذا نُظِرَ إلى اللّغة وجد بأنّها تتكون من أربعة عناصر رئيسية هي: المكوّن الصوتيّ، والمكوّن الصرفيّ، والمكوّن المعجميّ، والمكوّن التركيبيّ، وكل مكوّن من هذه المكونات يشكل بدوره نظاما فرعيّا، حيث "صارت كل وحدة في نظام اللّغة لا تدرس لحالها، بل تدرس وفقا لعلاقتها بالوحدات الأكبر الّتي هي جزء منها، وبالوحدات الأصغر الّتي تدخل في تركيبها، ويضمّ نظام اللّغة في طيّاته أنظمة فرعيّة، أي إنّه نظام الأنظمة"[5]، فبهذا يتضح أنّ السمة والخاصيّة الأبرز في اللّغة هي النظاميّة، فاللّغة مثلما ذُكِرَ هي نظام الأنظمة.

---

[1] زينايدا يويوقا ويوسف ستيرنين: اللّسانيات العامة، ص: 198.

[2] ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانيات الكبرى- من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص: 105-106.

[3] جان بياجي: البنيوية، تر: عارف منيمن، وأوبري، ص: 7.

[4] زينايدا يويوقا ويوسف ستيرنين: اللسانيات العامة، ص: 196.

[5] المرجع نفسه، ص: 196.

2.1 اللّسانيّات:

عرّفت اللّسانيّات بأنّها "الدّراسة العلميّة للّغة، تميزا لها عن الجهود الفردية، والخواطر، والملاحظات الّتي كان يقوم بها المهتمون باللّغة عبر العصور"[1]، فالدّراسة العلميّة تعني احترام شروط الممارسة العلميّة، كأن يكون للسانيّات موضوعها، ومنهجها، ومجالها الّذي لا تخرج عنه، وغايتها وأهدافها الخاصة بها، وعلاقتها بالحقول المجاورة لها، حتّى يمكن تمييزها عن غيرها، و"تهتم اللّسانيّات بدراسة اللّغات الحيّة المتداولة في التخاطب، واللّغات الميتة الّتي لم تعد مستعملة، كاللاتينيّة، والفرنسيّة القديمة، وتدرس كذلك اللّغة الّتي هي في طريق الاندثار"[2]، فاللّسانيّات لا تميز بين اللّغات، وإنّما تدرس جميع اللّغات دون استثناء، حيث تركز على العام والمشترك بين جميع اللّغات.

1.2.1 مهام اللّسانيّات:

يرى اللّسانيّ "دي سوسير" de saussure أنّ مهام اللّسانيّات تتلخص في النقاط الآتية:[3]

– أن تصف وتؤرخ لجميع اللّغات الّتي ستتمكن من الوصول إليها، مما يقود إلى إعداد تاريخ للأسر اللّغويّة وإلى إعادة بناء اللّغة الأم لكل أسرة، قدر المستطاع.

– أن تبحث عن القوة الفاعلة بشكل دائم وكليّ في جميع اللّغات، وإبراز القوانين العامة الّتي يمكن أن ترجع إليها جميع ظواهر التاريخ الخاصة.

– أن تحدد مجالها وتعرّف نفسها بنفسها.

فاللّسانيّات في ضوء كلام "سوسير" تهتم بجميع اللّغات وتركز على العام والكليّ بينها، كما أنّها تكتفى بذاتها، ولا تتخذ وسيلة لغيرها.

2.2.1 مفهوم اللّسان:

يرى دي سوسير de Saussure أنّ اللّسان هو عبارة عن نسق من الدوال الّتي تعبر عن

[1] محمد يونس علي: مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:9

[2] السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللّسانيّة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط 1، 2008، ص: 9

[3] ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانيات الكبرى– من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص: 108.

أفكار، حيث يفرق بينه وبين اللّغة الّتي يعتبرها ملكة فطريّة في الإنسان، والكلام الّذي يرى أنّه الممارسة الفعليّة للغة في الواقع، ويعتبر أنّ الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيّات هو اللّسان، الّذي يعدّ "نظاما جوهريّا صوريّا غير ماديّ، أي أنّه عبارة عن مجموعة من النسب والعلاقات الصوريّة الّتي تندرج فيها الوحدات اللّغويّة على مختلف مستوياتها من أصغرها أي الصوت، إلى الجملة"[1]، وبهذا يتضح أنّ اللّسان" (الفرنسية، الإنجليزية ....) لا يمكن رصده بصفة مباشرة، فما يمكن لنا رصده هو إنتاجات لغويّة وجملا بالفرنسيّة والإنجليزيّة لا الفرنسيّة أو الإنجليزيّة في حدّ ذاتها، أي النّظام الّذي يجعل هذه الانتاجات أمرا ممكنا"[2]، فاللّسان هو عبارة عن نظام غير مرئ، بمعنى أنّه غير ملموس، حيث يكون "مرسوما في دماغ متكلمه، ولا نفاذ إليه إلاّ من خلال نتائجه. معنى هذا أنّ اللّسان لا يمكن لاستعصائه عن الرصد المباشر أن يكون إلا موضوعا لبناء نظريّ"[3]، أي بناء مجرد غير محسوس وغير واقعيّ.

كما عرّف اللّسانيّ "مارتيني" Martinet اللّسان بأنّه "أداة تبليغ، يتمّ وفقها تحليل التجربة البشريّة بكيفية مختلفة عند كل قوم إلى وحدات ذات محتوى دلاليّ، ومركب صوتيّ، هي الكلمات، وإنّ المركب الصوتيّ يتقطع بدوره إلى وحدات متمايزة متوالية هي الصوتات، وتكون بعدد محدود في كل لسان؛ إلاّ أن طبيعتها وعلاقاتها المتبادلة تختلف أيضا من لسان إلى آخر"[4]، فالّذي يظهر من خلال هذا التعريف أنّ اللّسان يتكون من كلمات وصوتات، حيث تكون هذه الصوتات محدودة ومختلفة في كل لسان، وتكمن وظيفة اللّسان الأساسيّة في الإبلاغ، أي في التواصل والتخاطب.

3.2.1 المدوّنة:

من أجل أن يقوم اللّسانيّ بدراسة لسان معين، لابدّ له من وجود مادة معينة يشتغل عليها،

[1] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص:11.

[2] روبير مارتان: مدخل لفهم اللّسانيات، تر: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط200،1 ، ص: 23.

[3] المرجع نفسه، ص: 23.

[4] أندري مارتيني: مبادئ في اللّسانيات العامة، دار الأفاق، دار البيضاء، المغرب، ط1 ، د س، ص: 24.

وهذه المادة تسمّى في اللّسانيّات "بالمدوّنة" corpus، وهي عبارة عن نصوص خاصة باللّسان موضوع الدّراسة، ومن ضمن أهمّ خصائصها:[1]

- التمثيليّة: أن تكون ممثلة لجميع مظاهر اللّسان موضوع الدراسة.
- التجانس: أن تكون المظاهر المرصود تنتمي للسان محدد كالعربيّة أو الفرنسيّة مثلا.
- وحدة المكان والزمان: أي أن تكون هناك حدود مكانية وزمنية معينة للّسان محلّ الدراسة.

نلاحظ من خلال ما سبق أن للنصوص دورا كبيرا في تأسيس لسانيّات الجملة، فلولا النصوص المكتوبة والمسموعة لما تمكنّ اللّسانيّون من دراسة اللّغة.

4.2.1 منهج الدراسة اللّسانيّة:

يعود الفضل في تأسيس منهج جديد في الدّراسة اللّسانيّة إلى اللّسانيّ دي سوسير "حيث ظهر بموقف الناقد المتشكك في جدوى الدراسات التاريخية، وقد بدا له أنّ الاهتمام بأسباب تحوّل الأصوات اللّسانيّة وكيفية تغيرها يأتي بعد التعرف على حالتها في زمن معين، أي اهتمام اللّساني ينبغي أن يكون أولا وقبل كل شيء منصبا على وضعها في وقت معين، ثم تأتي المرحلة التالية فينظر في تطور أوضاعها في أزمنة متعاقبة ومتتالية"[2]، فالمنهج الجديد الّذي أتى به "سوسير" يسمّى بالمنهج التزامنيّ أو الآني السكونيّ في دراسة اللّغة، إذ يقوم على دراسة لسان معين كالإنجليزيّة أو الفرنسيّة أو العربيّة في فترة زمنية آنية محددة دون الاهتمام بتاريخية اللّسان، حيث أسّس " دي سوسير" de Saussure بذلك لأولويّة الدراسة اللّسانية التزامنيّة على الدراسة التعاقبيّة الّتي تهتمّ بتطور اللّسان عبر مراحل مختلفة، ولا تصادم بين المنهجين أو الدراستين إذ إحداهما تكمل الأخرى.

تدوولت في العديد من الكتابات اللّسانيّة مصطلحات قريبة من المنهج التزامني مثل: المنهج الوصفيّ، حيث يرى الباحث "مصطفى غلفان" أنّ "التحليل يكون وصفيّا analyse descriptive عندما يقتصر الباحث في معالجة الظواهر اللّغويّة اللّسانيّة المدروسة على الوصف فقط في حالة تزامنيّة

[1] ينظر: روبير مارتان، مدخل لفهم اللّسانيّات، ص: 34.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيّات، ص:13.

محددة، أو بتعبير بنيويّ في سانكرونيّة Synchronie معينة، دون اعتبار الجوانب التاريخية والمعطيات الخارجيّة الّتي تصاحب الظواهر"[1]، حيث يتضح بهذا أنّ الباحث "مصطفى غلفان" يرادف بين الدّراسة اللّسانية الوصفيّة والدّراسة التزامنيّة ويعتبرهما شيئا واحدا، بيد أنّ حصر الوصفيّة في الدراسة التزامنيّة فقط قد يكون غير دقيق، إذ الوصف هو آلية إجرائية يمكن أن يستعملها اللّساني التزامنيّ، كما يمكن أن يستعملها اللّسانيّ التاريخيّ أو عالم الاجتماع أو عالم النفس وهكذا.

3.1 العلامة اللّسانيّة:

عرّفت العلامة اللّسانية بأنّها "اللّفظ الّذي يدلّ على شيء أو معنى معين، وركيزته الماديّة هي الصوت"[2]، كما تمّ تعريفها أيضا بأنّها عبارة عن" وحدة مكوّنة من شكل يسمّى دالا، ومعنا يسمّى مدلولا"[3]، حيث يظهر من خلال ذلك أنّ العلامة اللّسانيّة تتكون من مكونين رئيسيين هما: الدّال و"هو الصورة الصوتيّة للدليل، ويأخذ شكل سلسلة من الأصوات"[4]، والمدلول الّذي يقصد به معنى الشيء أو مفهومه في الذهن، و"يرى سوسير أنّ العلامة اللّسانية Signe linguistique لا تربط بين اللّفظ وشيء كما يذهب إلى ذلك الاسميون، ولكنّها تربط بين المفهوم concept وصورة السمعيّة Image acoustique"[5]، أي بين مفهوم الشّيء في الذّهن، وبين الصورة السمعيّة له، فالّذي يتضح من خلال كلام "سوسير" أنّ العلامة اللّسانيّة لديه تقوم على شيئين رئيسيين هما: الدالّ الّذي هو الصورة السمعيّة، والمدلول وهو الصورة الذهنيّة، ليقصي بذلك حقيقة الشيء في الواقع؛ لأنّها بكل بساطة لا تندرج حسبه ضمن اهتمامات اللّساني، والمثال الآتيّ يوضح تصور "دي سوسير" De Saussure للعلامة اللّسانيّة: فإذا قلنا /تفاحتن/كانت هذه المتوالية الصوتيّة المنطوقة هي الدالّ، وأمّا صورة التفاحة في الذّهن، مثل شكلها ولونها فهي المدلول، وأمّا حقيقة التفاحة في الواقع فهي لا

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيات البنيوية– منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 39.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيّات، ص: 20

[3] مصطفى حركات: اللّسانيّات العامة وقضايا العربية، الدار الثقافية للنشر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص:9.

[4] المرجع نفسه، ص: 9–10.

[5] مصطفى غلفان: اللّسانيّات البنيوية– منهجيات واتجاهات، ص: 172.

تندرج ضمن تصوره للعلامة اللّسانيّة، إذ اللّسانيّ حسبه يهتم فقط بالدالّ والمدلول كمكونين للعلامة اللّسانيّة، ليس إلاّ.

1.3.1 الوحدات الأساسية للدّراسة اللّسانيّة:

يطرح أحد الباحثين سؤالا حول العلامة اللّسانيّة يقول: "هل كل الوحدات اللّغويّة لها صفة الدليل أو الإشارة اللّغويّة؟"، ثمّ يجيب قائلا "لا؛ لأنّ الوحدات الصغرى الّتي هي الأصوات أو الفونيمات لا تحمل معنا، فهي إذا ليست بالإشارات اللّسانيّة"[1]، يتبيّن بهذا أنّ الوحدات اللّغويّة الّتي يكون لها دلالة هي وحدها الّتي يمكن اعتبارها علامات لسانيّة، ومن المعلوم بمكان أن اللّغة تتكون من عدة مستويات نذكر منها:[2]

- المستوى الصوتي: عناصره لا تحمل دلالة، وليست هي إذا بالعلامات اللّسانيّة.
- المستوى الصرفي: عناصره تحمل دلالة (ضرب، زيد، عمر) وهي إذن علامات لسانيّة.
- المستوى التركيبي: عناصره تحمل أيضا دلالة، ويمكن اعتبارها علامات لسانيّة.

بيد أنّ أغلب اللّسانيين يرون أنّ "الطبيعة التواصلية للغة تفترض أن تكون عناصر نظامها تواصلية، أي يجب أن تحمل شطرا ما مستقلا من المعلومات.إنّ هذه الوحدة باعتراف الجميع هي الكلمة. ويتكون من الكلمات (بوصفها عناصر) نظام اللّغة كلّه"[3]، فبهذا يتضح أنّ مصطلح العلامة اللّسانيّة يراد به الكلمة وحدها دون غيرها من الوحدات اللّسانيّة، لكن السؤال الأهم الّذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: ما المقصود بالكلمة؟.

1.1.3.1 الكلمة:

ليس من السهل إيجاد تعريف واحد موحّد لمصطلح الكلمة، حيث يقول اللّساني "روبير مارتان"

[1] مصطفى حركات: اللّسانيّات العامة وقضايا العربية، ص: 10 .

[2] المرجع نفسه، ص: 11 .

[3] زينايدا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللّسانيّات العامة، ص: 199.

Robert Martin في هذا الصدد: "إنّ مفهوم الكلمة وحده كان موضوع آلاف البحوث، تكفّل كتاب ببليوغرافي بعرضها وإحصائها"[1]، فهناك تعريفات متنوعة ومتعددة لمصطلح الكلمة، وليس هذا مجال عرضها أو مناقشتها، إذ سيكتفى بذكر أشهرها، أو ما يبدو أنّه مشترك بين أغلب اللّسانيين حولها، حيث تحدد الكلمة في الغالب بأنّها "أصغر قطعة يصل إليها التحليل ممّا يدلّ على معنى"[2]، فالملاحظ أنّ للمعنى دورا كبيرا في تحديد الكلمة، إذ به يحصل التواصل، كما "تسمّى الكلمة في اللّسانيّات الحديثة عند الفرنسيين أمثال مارتيني Monéme مونيما، وعند اللّغويين الأمريكيين Morphéme مورفيما"[3]، فمصطلح المونيم والمورفيم كليهما اصطلاحان لتسمية واحدة هي الكلمة. كما يرى اللّسانيّ "عبد الرحمن الحاج صالح" أنّ الكلمة قد تكون "مورفيم، أي وحدة دالة، وقد تكون أكثر من مورفيم"[4]، كأنّ تكون مثلا عبارة عن مورفيمين أو ثلاثة متصلين ببعضهم البعض، فإذا قلنا مثلا: /ضربهم/، فنحن أمام مورفيمين أو مونيمين متصلين ببعضهم البعض، وهما المورفيم /ضرب/، والمورفيم /هم/.

ورأى باحثون آخرون أنّ "التحليل التركيبيّ في اللّسانيّات قد تخلى – بصفة عامة- عن مصطلح الكلمة لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم"[5]، حيث استبدل هذا المصطلح بالمصطلحين اللّذين ذكرناهما سابقا (المونيم في اللّسانيّات الأوروبيّة، والمورفيم في اللّسانيّات الأمريكيّة)، تجنبا لمشكلات منهجية قد يحدثها هذا المصطلح في التحليل اللّسانيّ.

3.3.1 الجملة:

إنّ ما ينطبق على الكلـــــــــــــــــــــــــــــمة في صعوبة تحديد تعـريف واحـد لها، ينطبق على الجملـة، "فقد برز في هذا التعدد ما يقـــــــــــــــــــــــــــــارب

[1] روبير مارتان: مدخل لفهم اللّسانيّات، تر: عبد القادر المهيري، ص: 32.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيات، ص: 85.

[3] المرجع نفسه، ص: 85.

[4] عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربية، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2012، ج 2، ص: 14.

[5] نعمان بوقرة: المدارس اللّسانيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 108

ثلاثمائة تعـريف"[1]، حيـث عرفت تارة بأنّها عبـارة عن "فكرة تامة"[2]، وتارة أخرى بأنّها عبارة عن "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكة"[3]، إنّ هذه التعددية في تعريف مصطلح الجملة لا تنفي إمكانية وجود قدر مشترك، أو شيء عام يقول به أغلب الباحثين حول مصطلح الجملة، حيث اعتبرت بأنّها "أقل ما يفيد به الكلام، لقولك جاء الولد، أو أكل الولد التفاحة، وأقل ما يفيد هو المسند والمسند إليه أي التركيب الإسنادي"[4]، فالملاحظ أنّ الجملة تقوم على مفهوم الفائدة، والفائدة لا تكون إلاّ بوجود كلمتين مسندتين إلى بعضهما البعض، حيث تسمّى الأولى مسندا، والثانية مسندا إليه، وتجمع بينهما علاقة تسمّى إسنادا، فإذا قيل: /طالب/ فهذه كلمة، وإذا قيل /مجتهد/ فهذه أيضا كلمة، فورود الكلمة وحدها ينفي عنها صفة الفائدة، إذ لا فائدة إلاّ بوجود كلمتين على الأقل، وأمّا إن قلنا: /طالب مجتهد/، فقد حصّلنا بذلك فائدة، وعُلِمَ أنّ هذا الطالب مجتهد وليس شيئا آخر.

4.1 اللّسانيّات التوزيعية والنصّ:

لعلّ من أبرز المحاولات الّتي رامت تقديم تصور للنصّ في ضوء مفاهيم ومناهج لسانيّات الجملة، محاولة للسانيّ الأمريكيّ "زليج هاريس" Zellig Harris الّذي اشتهر بمنهج التحليل إلى مكونات مباشرة، حيث قام هذا الأخير بتحليل للنصّ انطلاقا من أدوات ومناهج استعملها في تحليل الجملة.

يقوم منهج التحليل إلى مكونات مباشرة على "مبدأ مركزي مفاده أنّ الجملة Phrase تناسق وتآلف وارتباط بين الصرفات morphémes. فداخل متتالية (جملة) معينة مؤلفة من وحدات صرفية، تتوسع المكونات Constituants في صورة بناء سلّمي تصاعدي من أصغر وحدة، التي هي الصرفة

[1] عبد الرحمان بودرع: النص الذي نحيا به، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، المغرب، ط1، 2018، ص: 41.

[2] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص: 88.

[3] المرجع نفسه، ص: 88 .

[4] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيّات، ص: 100.

Morphéme إلى وحدة كبرى، وهي الجملة"[1]، والمثال الاتي يوضح طريقة تحليل الجملة إلى مكونات مباشرة: كتب الطالب المحاضرة

إذا ما حولنا أن نحلّل هذه الجملة إلى مكونات مباشرة، فإننا سنبدأ بتحديد المكونات المباشرة الأوّلية، ثمّ ننتقل إلى المكونات المباشرة الثانوية، مع تبيان الصفة المقوليةٌ لهذه المكونات[2]، ويكون ذلك كما يلي:

أ) المرحلة الأولى:

(كتب) هي مكوّن مباشر رئيسي، وتسمىّ مركبا فعليّا، (الطالب) هي مكوّن مباشر رئيسيّ وتسمّى مركبا اسميّا، و(المحاضرة) هي أيضا مكوّن مباشر رئيسيّ وتسمىّ مركبا اسميّا.

ب)المرحة الثانية:

(كتب) هي مكوّن مباشر رئيسيّ غير قابل للتحليل؛ لأنّه عبارة عن مورفيم مستقل، أمّا كلمة (الطالب) فهي مكوّن مباشر رئيسيّ قابل للتحليل لوحدات أصغر وهما: المكوّن الثانويّ (ال) والمكوّن الثانويّ (طالب)، وكلمة (المحاضرة) أيضا قابلة لتحليل لمكونات مباشرة ثانويّة وهما: المكوّن الثانويّ (ال) والمكوّن الثانويّ (محاضرة).

فالواضح إذن، أن التحليل إلى مكوّنات مباشرة يبدأ من الجملة وصولا إلى المورفيم أو المومنيم الّذي هو آخر وحدة يقف عندها التحليل، كما تكمن فائدته في تصنيف الكلم إلى أنواع مثل المركب فعليّ والمركب الاسميّ ونحو ذلك، حيث سيستفيد "هاريس" من هذا المنهج في تحليل الخطاب/النصّ.

1.4.1 مفهوم النصّ لدى زليج هاريس:

على الرغم من استعمال "هاريس" Harris لمصطلح الخطاب بدل مصطلح النصّ، إلاّ أنّنا

---

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية، الأسس النظرية والمنهجية: من النشأة إلى النموذج المعيار، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ج1، ص: 100.

* يقصد بالصفة المقولية: نوع الكلمة، كأن تكون مركبا فعليا أو مركبا اسميا أو غير ذلك من انواع الكلم المعروفة.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص : 100.

نؤثر في هذه الدّراسة وصف أعماله المتعلّقة بما فوق الجملة بمصطلح النصّ؛ لأنّ الخطاب له صفات ومميزات لا تنطبق على ما أتى به هاريس Harris، وسنعرف ذلك فيما يأتي من هذه الدراسة.

يرى "هاريس" Harris أنّ النصّ/الخطاب "ليس أكثر من ملفوظ طويل أو متتابع énoncé suivi، وهو يعني عنده كل تعبير يتجاوز الجملة"[1]؛ فالواضح أنّ "هاريس" Harris يعتبر أنّ النصّ/الخطاب هو مجرد تتابع من الجمل ليس إلاّ، وهذا ما ستعززه المنهجية الّتي اتبعها في تحليل الخطاب/النصّ.

2.4.1 خطوات التحليل الهاريسي للخطاب/النصّ:

يقوم التحليل "الهاريسي" للخطاب، على وضع مبدأ فئات التكافؤ Principe de classes d équivalence الّذي يقتضي شيئين أساسيين هما:[2]

أولا: بحث شروط التوارد co-occurrence العناصر المتتابعة داخل الجملة في النصّ.

ثانيا: تحديد العناصر القابلة للدخول بكيفية تكرارية في الفئة المتكافئة نفسها

ويتمّ هذا التحديد في حالتين:

- إذا وجدت هذه العناصر في جوار متماثل Eenvironnement identique
- إذا وردت في جوارات متكافئة Eenvironnement équivalents تكون هي بدورها جزءا من الفئة المتكافئة.

من الواضح إذن، أنّ التكافؤ لا يكون إلاّ بوجود عناصر لها نفس الخصائص والمميزات، مثل إمكانية ورودها في نفس الموضع، مما يسمح بإجراء عمليات إجرائية فيما بينها.

وينقسم التكافؤ بدوره إلى ثلاثة أقسام هي:[3]

- تكافؤ العناصر الصرفية أو المتتاليات من العناصر الصرفية في الجوار (الموقع) نفسه داخل الجملة.

---

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيات البنيوية– منهجيات واتجاهات، ص: 427.

[2] المرجع نفسه، ص: 430–431.

[3] المرجع نفسه، ص: 431.

- تكافؤ الجمل في نصّ معين ويتعلق الأمر بجمل النصّ الّتي لها مواقع بنيويّة متماثلة.
- تكافؤ جمل لسان معين، وتحديدا تلك الّتي تتضمن الوحدات الصرفيّة ذاتها، وتعبر عن العلاقات النحويّة ذاتها بصيغ لغويّة مختلفة.

نلاحظ من خلال ما سبق، أننا أمام تكافؤ يتمّ داخل الجملة نفسها، وتكافؤ يتمّ داخل النصّ، وتكافؤ يتم داخل اللّسان، كما يجدر التنبيه إلى أنّ "علاقة التكافؤ بين جمل الخطاب في المنظور الهاريسي، علاقة تحويلية بالدرجة الأولى"[1]، حيث يمكن تعويض جملة بأخرى في النصّ من دون حدوث خلل تركيبيّ أو دلاليّ في النصّ موضوع الاشتغال.

ولتوضيح ما سبق يسوق الباحث مصطفى غلفان المثال الآتي:[2]

1-هنا تسقط أوراق الخريف	حوالي منتصف فصل الخريف
2-هنا تسقط الأوراق	حوالي نهاية شهر أكتوبر
3-تصل موجات البرد الأولى	بعد منتصف فصل الخريف
4-بدأنا التدفئة (تدفئة الغرف)	بعد نهاية شهر أكتوبر

بحسب الباحث "مصطفى غلفان"، إنّ "المقطعين (المكوّنين) منتصف فصل الخريف، ونهاية شهر أكتوبر متكافئان équivalents؛ لأنّهما يظهران في الجوار نفسه، (...) ويلاحظ التكافؤ أيضا في الجملتين 3 و4 بين المقطعين (تصل موجات البرد الأولى) و(بدأنا التدفئة) حيث يظهران في جوارين متكافئين، وكلمة بعد مماثلة في الجوارين"، وبالتالي فإنّ هذه المقاطع المتكافئة قابلة للتحويل فيما بينها البين، وهذا هو جوهر مقاربة هاريس في تحليل النصّ/الخطاب.

يتضح من خلال ما سبق؛ أنّ منهجية "هاريس" في تحليل الخطاب منهجية تركيبيّة تحويلية، تقوم على مبدأ عام هو التكافؤ بين الجمل داخل النصّ الواحد، ولا تهتم بأي حال من الأحوال بما يجعل النصّ نصّا، فلا تأخذ لا بالروابط بين الجمل ولا بالاتّساق ولا بالانسجام بالمعاني الدقيـــــــــقة

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ج1، ص: 157-158.

[2] المرجع نفسه، ص: 431.

لهذه المصطلحات، كما أنّها لا تهتم لا بسياق الحال للنصّ ولا بمكوّناته، ولا بالمعاني الجزئية والكليّة للنصّ، ولا بمقاصده وأهدافه وغاياته ومراميه.

5.1 قصور اللّسانيّات البنيويّة:

على الرغم من النتائج العلميّة الّتي حققتها اللّسانيّات البنيويّة في دراسة اللّغة، وطرق التحليل الجديدة الّتي اعتمدتها في مقاربة الظاهرة اللّغويّة، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من ظهور نقائص وأوجه قصور سواء على المستوى المنهجيّ، أو على المستوى المعرفيّ، وفيما يأتي تسليط للضوء على أهمّها.

1.5.1 على المستوى المنهجي:

إنّ حصر موضوع الدّراسة اللّسانيّة في اللّسانيّات البنيويّة في الجملة نتج عنه عدة مشكلات، لعلّ من أبرزها غموض مفهوم الجملة نفسه، "فمنذ القديم إلى غاية الآن ليس هناك تعريف واحد موّحد للجملة، ومازالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف بصراحة بأنّها تعريفات نهائية"[1]، فلا مفهوم الجملة واضح، ولا معايير تحديد جملية الجملة واضحة، كما "عولجت الجملة أحيانا، لا بوصفها نمطا تحكمه قواعد نحويّة، بل عولجت أيضا بوصفها قضية منطقيّة كلّما تهيأت الظروف لذلك"[2]، وفي ذلك إبعاد للجملة عن أخصّ خصائصها، فهي مثلما هو معروف كيان لغويّ طبيعيّ لا منطقيّ.

"وكان كثير من اللّسانيين على وعي بعدم كفاية الجملة في تحقيق التواصل التام وتأطير السياق؛ من ذلك ما عُرِفَ عن أوزوالد ديكرو O.Ducrot من أنّه وصف الجملة بأنّها وحدة مجردة؛ لأنّها لا تتحدد بسياق"[3]، فإذا نُظِرَ إلى الجملة من الناحيّة التواصلية، عُرِفَ بأنّها غير ذات فائدة كبير في التواصل والتخاطب، فالنّاس يتوصلون ويتخاطبون فيما بينهم بالنصوص والخطابات لا بالجمل. ويرى اللّساني الأمريكي "دي بوجراند" De Beaugrande أنّ اللّسانيّات "اضطرت في مراحلها الأولى إلى

---

[1] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 88.

[2] المرجع نفسه، ص: 88

[3] عبد الرحمان بودرع: النصّ اللّغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النصّ، جامعة عبد الملك السعدي، ندوة دولية: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، 11 و12 دجمبر 2019، تطوان، المغرب، ص: 152.

أن تكون انتقائية selective واختزالية reductive في نظرتها إلى حدّ بعيد"[1]، وقد يرجع ذلك لرفض بعض المحللين اللّسانين في مرحلة جمع اللّغة لجمل ونماذج لغويّة لأسباب ذاتية.

كما أنّه "ليس من الواضح وبخاصة في اللّسانيّات أيّ الأشياء يمكن أن يعدّ مادة صالحة للبحث، أو كيف ينبغي لهذه المادة أن تعالج "[2]، وهذا الّذي سبب مشكلات منهجية، وأعاد طرح سؤال الموضوعية ومدى الالتزام بها في الدّراسة اللّسانيّة.

كما أنّ "الاهتمام بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما ينبغي قد قوبل بنقد من فيرث J.Firthe، الّذي عدّ ذلك إهمالا لجانب الاستعمال الفعليّ للغة في إطار المجتمع"[3]، حيث استبعدت من الدّراسة كل العناصر الّتي تنتمي إلى سياق مثل: المتكلم، والمستمع، والظروف الواقعية الّتي جرت فيها المحادثة. ومما يجدر التنبيه إليه في اللّسانيّات البنيويّة أنّ "العلاج الشامل للمعاني والمواقف رؤي مستحيلا، فنحيت هذه المجالات جانبا"[4]، حيث أهملت اللّسانيّات البنيويّة ظاهرة المعنى ولم تهتم لها؛ نظرا لصعوبة رصد المعنى ودراسته دراسة علمية، وفي ذلك إقصاء واضح لجانب مهم من جوانب اللّغة؛ إذ لا يمكن التحدث عن الدّراسة العلميّة الشاملة للغة في كافة جوانبها من دون الأخذ بمسألة المعنى.

2.5.1 المستوى المعرفي:

كان الاعتقاد السائد ضمن اللّسانيّات البنيويّة بأنّ النصّ هو عبارة عن مجموعة من الجمل وفقط، حيث يمكن تطبيق مناهج وطرق التحليل الّتي استعملت في تحليل الجملة على النصّ، وكان من أبرز من قاموا بذلك اللّساني الأمريكي "هاريس" Harris المعروف بالمنهجية التوزيعيّة، إلاّ أنّ ذلك لم يحقق نتائج مرضية، خصوصا في قضية المعنى، "حيث تأكّد أنّ المعنى الكليّ للنصّ والمعلومات الّتي يتضمنها – خاصة التقنية والجمالية- أكبر من مجرد مجموع المعاني الجزئيّة للجمل الّتي تكونه،

[1] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 72.

[2] المرجع نفسه، ص: 73.

[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997، ص:24.

[4] المرجع السابق، ص:78.

وبكلمات أخرى تبيّن أنّ هذه الدلالة الكليّة تنجم عنه باعتباره بنية كبرى شاملة هي على وجه التحديد موضوع علم النصّ"[1]. كما لوحظ من جهة أخرى أنّ عِلْمَ متكلم اللّغة بقواعد لغته، وطرق تصريفها وتركيبها لا يكفي، حيث "ينبغي أن يعلم النّاس أيّ الاحتمالات الأولى بالاختيار وأصلح للاستعمال في موقف بعينه ولغرض بذاته"، فمعرفة الفرد بقواعد اللّغة وأنظمتها لا يعني أنّه يجيد التواصـل.

كما أنّ عدم مقدرة اللّسانيّات في تفسير بعض الظواهر اللّغويّة على "رأسها ظاهرة الإحالة القبلية والبعدية (cataphore et anaphore) – أدت في ألمانيا منذ الستينيات إلى اهتمام جديد بالظواهر النّحوية والدلاليّة الّتي لا يمكن تفسيرها إلاّ بالرجوع إلى إطار أوسع من إطار الجملة الواحدة"[2]، حيث تقتضي معالجة مثل هكذا مواضيع تجاوز حدّ الجملة إلى مستوى أكبر، والمراد هنا هو النصّ.

وعليه، فيمكن القول إنّ "دراسة النصوص هي الدّراسة للمادة الطبيعيّة الّتي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللّغة؛ لأنّ النّاس لا تنطق حين تنطق ولا تكتب حين تكتب – جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنّها تعبر عن الموقف اللّغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين"[3]، حيث يعتبر النصّ الممثل الحقيقي للغة في كافة جوانبها، أين تتداخل مستويات اللّغة المعروفة كالمستوى الصرفيّ والنحويّ والدلاليّ والتداوليّ، ومن هنا وجب اعتماده كوحدة أساسيّة في دراسة اللّسانيّة، وهذا ما نادت به اللّسانيّات النصّية عند ظهورها.

المبحث الثاني: اللّسانيّات التوليدية

نسعى في هذا المبحث إلى تسليط الضوء على اللّسانيّات التوليدية من خلال تبيان المنهجية الجديدة الّتي تبناها رائدها "تشومسكي" في التّأسيس لها، وكذا من خلال رصد أهم المفاهيم الّتي تقوم

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ – المفاهيم والاتجاهات، ص: 129 .

[2] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، منشورات كلية الاداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، وحدة تحليل الخطاب، تونس، ص: 54 – 55.

[3] المرجع السابق، ص: 36.

عليها، وصولا إلى عرض مختلف نماذجها عبر مراحلها التطورية، ليختم هذا المبحث بالتركيز على أبرز مواضع النقص والضعف فيها.

1.2 التصور الافتراضيّ للممارسة العلميّة (القطيعة الابستيمولوجيّة):

يرجع هذا المنحى الجديد في تحصيل المعرفة العلمية إلى "عالم الفلك جوهان كيبلر Johannes Kepler (1571-1630)، ومفاده أنّ تطور العلم رهين بوضع فرضيات عامة، كليّة وشاملة يتم التثبت منها لاحقا في ضوء المعطيات الواقعيّة، وليس هدف العلم في نظر كيبلر المعطيات وترتيبها ووصفها، وإنّما ينبغي تفسير الظواهر الموضوعية انطلاقا من فرضيات"[1]، فالفرضية العامة أولاّ، ثمّ التحقق منها في الواقع ثانيّا، كما أنّ هذا التصور الجديد في البحث العلمي"لا يقلل من أهمية التجربة والملاحظات في النشاط العلمي مهما كانت درجة إتقانه ومستواه التجريدي"[2]، إذ لا غنى للباحث العلميّ عن التجربة في الواقع ليتأكّد من صحة فرضياته.

يرى الباحث مصطفى غلفان "أنّ البنيويّة دارت بصفة عامة في إطار تصور تصنيفي conception taxinomique يقوم على جمع المادة اللّغويّة ثمّ تصنيفها وتنظيمها"[3]، فاللّسانيّ البنيويّ ينزل إلى الواقع أي المجتمع اللّساني لجمع اللّغة، ثمّ يخضعها للدراسة والتحليل، ليستنبط بذلك قوانين اللّسان موضوع الدراسة، كأن يكون اللّسان مثلا: لسانا عربيا أو انجليزيا أو غير ذلك من الألسنة المعروفة.

بيد أنّ "ما طبع البحث اللّغوي في السنوات الأخيرة، هو تحول من العناية باللّغة، إلى العناية بالنّحو، وهو تحول من تجميع العينات وتنظيمها، أو دراسة لغة خاصة، أو الخصائص العامة لكثير من اللّغات، أو كل اللّغات؛ إلى دراسة الأنساق الّتي توجد فعلا في الدماغ، وتساهم في تفسير الظواهر

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية، ج 1، ص: 38.

[2] المرجع نفسه، ج 1، ص: 40.

[3] المرجع نفسه، ج 1، ص: 42.

الملاحظة"[1]، وهو ما انتهجه "تشومسكي" Chomsky ليؤسّس بذلك للسانيّات جديدة، تسمّى باللّسانيّات التوليدية.

مع ظهور منهجية "تشومسكي" Chomsky الجديدة في البحث اللّساني، أصبح البحث اللّساني لا يهتم بدراسة اللّغة في الواقع، بل أصبح يقوم على ما يسمّى بالنمذجة الّتي يقصد بها "عملية بناء جهاز واصف وتنظيم مكوناته، بحيث يكفل التمثيل الملائم للظاهرة (أو الظواهر) المروم رصدها، ويتمّ بناء الجهاز الواصف أو (النموذج) انطلاقا من المبادئ المنهجية المتضمنة في النظرية الّتي تخلقه"[2]، حيث يتضح بهذا، أنّنا سنكون في اللّسانيّات التوليدية أمام نماذج لسانيّة يصنعها "تشومسكي"؛ ليحاول من خلالها التمثيل لكفاءة المتكلم اللغويّة؛ أي كيفية توليد أو إنتاج الإنسان للغة.

2.2 المفاهيم المركزية للنّحو التوليدي:

1.2.2 مفهوم اللّغة:

يقول تشومسكي Chomsky في كتابه الشهير البنى التركيبية: "سأعتبر منذ الآن اللّغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر. فجميع اللّغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم"[3]، فتشومسكي يرى أنّ الخاصيّة الأساسيّة في اللّغة هي التوليد، مثلما يشير إلى ذلك كلامه؛ حيث إنّ الإنسان انطلاقا من قواعد ومبادئ محدودة، يمكنه أن يولّد جمل غير محدودة، ومع تقدم البحوث التوليدية التحويلية تغيرت النظرة إلى اللّغة حيث اعتبرت "بنية عضو ذهني تتعين لاعتبارات الضرورة

[1] عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيّات واللّغة العربية – نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، ط3، 1993، ص:45.

[2] أحمد المتوكل: اللّسانيّات الوظيفية – مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص: 99-100.

[3] نعوم تشومسكي: البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، مج: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص: 17.

العضوية كما هو حال، أي بنية عضو في جسم الإنسان"[1]، حيث صارت اللّغة وفق هذا المنظور المتطور ضمن اللّسانيّات التوليدية عبارة عن عضو ذهني محلها دماغ الإنسان؛ ولذلك ينبغي أن تدرس وفق ضوابط وأحكام الدّراسة البيولوجيّة.

2.2.2 الإبداع اللّغوي:

يقصد به "مقدرة المتكلم على إنتاج جمل جديدة، يفهمها مباشرة متكلمون آخرون رغم أنّها لا تمت للجمل المألوفة بأي شبه"[2]؛ بمعنى أنّها قدرة الإنسان على الإتيان بجمل جديدة لم يسبق سماعها من قبل، وتكون مفهومة لدى بني جنسه؛ وهنا تتجلى عبقرية الإنسان ومواهبه الّتي منحها الله تعالى له دون غيره من المخلوقات، فالإنسان كائن مبدع بالفطرة.

3.2.2 الكفاءة اللّغويّة:

يرى اللّسانيان ماري آن بافو Paveau Marie- Anne وجورج إليا سرفاتي Georges –Elia Sarfati أنّ "اللّسانيّات التوليدية ليست قطعا، نظريات للإنجازات؛ أي لإنتاجات المتكلمين الفعلية، فهناك لسانيات أخرى (تلفظية، خطابية) تهتم بمجال الإنجاز"[3]، فاللّسانيّات التوليدية مثلما هو معروف هي لسانيّات كفاءة لغويّة؛ بمعنى أنّ موضوعها هو الكفاءة اللّغويّة، حيث يقصد بهذه الأخيرة "معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللّغة الّتي تقود عملية التكلم"[4]؛ أي العلم بالمبادئ والقواعد اللّغويّة الّتي تقف وراء الإنجازات الكلامية، كما أنّ "الكفاية اللّغويّة ترتد إلى منطقة اللاّوعي عند الإنسان، وتتصف بطابع اللاّشعور"[5]؛ أي أنّ الإنسان يولد وهو مزود بها بشكل فطريّ، كما أنّ الإنسان لا يشعر بهذه القواعد والمبادئ، وإنّما يمارس التكلم في إطارها.

---

[1] محمد الأوراغي: الوسائط اللّغويّة – ج 1، أفول اللّسانيّات الكلية، دار الأمان، ط1، 2001، ص: 76.

[2] بيت الحكمة، مجلة مغربية للترجمة في العلوم الإنسانية، نعوم تشومسكي، تر: مصطفى كمال، العدد السادس، 1 أكتوبر 1987، ص: 75

[3] ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللّسانية الكبرى- من النحو المقارن إلى الذرائعية، ص: 278.

[4] ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص: 33.

[5] المرجع نفسه، ص: 34.

4.2.2 الإنجاز اللّغوي:

يحدد اللّساني "جيفري بول" Jeffrey Pool الإنجاز اللّغوي بأنّه "السلوك اللّغويّ الملحوظ؛ أي ما يقوله النّاس فعلا حين يتكلمون لغتهم وما يفهمونه حين يستمعون إليها"[1]، وأمّا الباحث "أحمد المتوكل" فيعتبره "التحقيق الفعلي للقدرة في مواقف تواصلية معينة"[2]، وأمّا الباحث "محمد الأوراغي" فيعرفه بأنّه "الاستعمال الفعليّ للمعرفة اللّغويّة في أسيقة محسوسة"[3]، فجميع هذه التعاريف تتفق على معنى واحد؛ وهو وصف الإنجاز اللّغويّ بأنّه الكلام الّذي ينتجه الإنسان في سياق تواصليّ معين.

5.2.2 الحدس اللّغوي:

المراد بالحدس اللّغوي هو "مقدرة المتكلم على أن يدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة الّتي تكوّن جملة صحيحة في اللّغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللّغة"[4]، بمعنى أنّ الحدس اللّغوي هو الّذي يتيح للمتكلم أن يحكم على هذه الجملة أو تلك، بأنّها تتوافق وقواعد لغته أو لا، والمثال الاتي يوضح ذلك:

- أمس الولد التفاحة أكل

يمكن للمتكلم العربيّ عن طريق حدسه اللّغويّ معرفة أنّ هذه الجملة خاطئة نحويّا؛ لأنّها لا تتناسب ومعرفته الضمنيّة بقواعد اللّغة العربيّة.

لابدّ من أن يشار ههنا إلى أنّ "الأحكام الّتي باستطاعة متكلم اللّغة إقرارها فيما يختصّ بجمل لغته؛ هي بالذات الّتي تقود الباحث الألسني في سعيه إلى التوصّل إلى وضع أصول تنظيم القواعد الضمنيّة"[5]، فاللّسانيّ التوليديّ يعتمد على الأحكام الّتي يصدرها المتكلم حول جمل لغته في صناعة

---

[1] جيفري بول: النظرية النحوية، تر: مرتضى جواد باقر، رج: ميشال زكرياء، المنظمة العربية للترجمة، ، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص: 629.

[2] أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري، ص: 82.

[3] محمد الأوراغي: الوسائط اللّغويّة – ج 1، أفول اللّسانيّات الكلية، ص: 73.

[4] ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، ص: 38.

[5] المرجع نفسه، ص: 37.

وبناء قواعد اللّغة موضوع الاشتغال، بعبارة أخرى؛ إنّ "الحدس اللّغويّ هو الّذي يكوّن المعطيات اللّغويّة الّتي يرغب الباحث في دراستها"[1]، بيد أنّ الاعتماد على الحدس اللّغويّ للمتكلم في تكوين معطيات الدراسة اللّسانيّة؛ من شأنه أن يوقع الباحث في الانتقائية للمعطيات، وهذا ما يتعارض والموضوعية العلمية.

6.2.2 الكليّات اللّغويّة:

يحددها الباحث ميشال زكرياء بأنّها" مجموعة المبادئ المنظمة الّتي ينبغي أن يلحظها البحث الألسني من حيث هي مشتركة بين اللغات وتلتزم بها اللغات"[2]، وأمّا الباحث "أحمد المتوكل" فيرى أنّها "الخصائص الّتي تتقاسمها اللّغات الطبيعية على اختلافها"[3]، فعلى الرغم من اختلاف الألسنة، فهذا لسان عربيّ، وذاك لسان فرنسيّ، وآخر لسان إنجليزي، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي إمكانية وجود مبادئ وقوانين وقواعد مشتركة بين جميع الألسن على الإطلاق، وهذا الّذي يسمّى بالكليّات اللّغويّة.

ثمّة إشكاليّة أساسيّة في البحث اللّسانيّ المعاصر حول طبيعة هذه الكليّات، فقد افترض "تشومسكي" Chomsky أنّ هذه الجوانب جزء من المعرفة الضمنيّة الّتي يولد بها الطفل"[4]، وأمّا الباحث "محمد الأوراغي" صاحب اللّسانيّات النسبيّة فله رأي علميّ مخالف؛ حيث يرى أنّها "ذات طبيعة معرفيّة؛ لاقترانها بالبنية العضويّة لعدّة الاكتساب"[5]، فتشومسكي يقول بفطريّة هذه الكليّات، بينما يقول "محمد الأوراغي" ولسانيون آخرون بكسبيّتها.

7.2.2 الملكة اللّغويّة: يرى تشومسكي Chomsky أنّ الملكة اللّغويّة "تكون متأصلة في روافد العقل/الدماغ المحددة أحيائيّا، وبصورة أدق، في أحد مكونات العقل/الدماغ"[6]، وأمّا اللّسانيّ "جيفري بول Jeffrey Pool فيرى أنّها "ملكة وهبناها بيولوجيّا، وهي مكون من مكونات العقل يمنحنا الآلية

---

[1] ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، ص: 37.

[2] المرجع نفسه، ص: 77.

[3] أحمد المتوكل: اللّسانيّات الوظيفية – مدخل نظري، ص: 86.

[4] جيفري بول: النظرية النحوية، ص: 643.

[5] محمد الأوراغي: الوسائط اللّغويّة – ج 1، أفول اللّسانيّات الكلية: 71.

[6] نعوم تشومسكي: اللّغة ومشكلة المعرفة، تر: حمزة بن بقلان المازني، دار توبقال، المغرب، ط1، 1990، ص: 30.

الّتي تمكننا من اكتساب قواعد لغة بشريّة واستعمالها"[1]، كما اعتبرت أيضا بأنّها "بنية منسوجة في خلايا عضو ذهنيّ تتحدد وراثيّا"[2]، فالواضح إذن، أنّ الملكة اللّغويّة هي مكون من مكونات الذهن/الدماغ البشري الّتي تمكننا من تعلم واكتساب قواعد اللّغة وكذا استعمالها والتواصل بها، وتنتقل بين بني البشر عن طريق الوراثة.

8.2.2 القواعديّة (النحويّة):

المراد بها "صحة الجملة أو العبارة من ناحية نظام اللّغة الّذي يؤلف معرفة المتكلم الأصيل بلغته"[3]، أي تطابق الجملة أو العبارة مع قواعد النحو، فإن حدث ذلك، وصفت هذه الجملة أو العبارة بأنّها نحويّة/قواعديّة، وأمّا إن حدث العكس، فإنّها ستوصف بالغير النحويّة، كما أنّ النحويّة/القواعديّة لا تعني المقبوليّة، "فقد تكون الجملة قواعديّة (صحيحة قواعديا) ولا تكون ذات مقبولية عالية، كأن تكون عسيرة على الفهم أو تكون ثقيلة أسلوبيا"[4]، فمقبولية الجملة من عدمها تحددها معايير نحويّة/قواعديّة، وأيضا معايير تداوليّة وأسلوبيّة، عكس النحويّة/القواعديّة الّتي تقوم على معايير نحويّة خالصة بحسب اللّسانيّات التشومسكيّة.

9.2.2 البنية السطحيّة والبنية العميقة:

يقصد بالبنية السطحيّة في اللّسانيّات التوليدية "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات الّتي ينطق بها المتكلم"[5]، وأمّا البنية العميقة فالمقصود بها "القواعد الّتي أوجدت هذا التتابع أو البنى الأساسيّة الّتي يمكن تحويلها لتكوّن جمل اللّغة"[6]، والمثال الاتي يوضح الفرق بين البنيتين:

- كُتِبَ الدَرْسُ (فعل/مفعول به).

---

[1] جيفري بول: النظرية النّحويّة، ص: 650.

[2] محمد الأوراغي: الوسائط اللّغوية – ج 1، أفول اللّسانيّات الكلية، ص: 75.

[3] المرجع السابق، ص: 643.

[4] المرجع نفسه، ص: 643.

[5] ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص: 163.

[6] المرجع نفسه، ص: 163.

فهذه بنية سطحيّة تظهر في كلام المتكلم، وأمّا البنية العميقة أو البنية الثاوية وراء إنتاج هذه الجملة فهي:

- فعل/فاعل/مفعول به

تتميز البنى العميقة عن البني السطحيّة بالخصائص الأتية[1]:

- إنّها البنى الأولى المولدة في قاعدة النحو (عن طريق القواعد المركبية والقواعد المعجمية).
- إنّها المجال الوحيد للملء المعجمي
- إنّها البنى الّتي تؤوّل دلاليّا
- إنّها البنى الّتي يمكن أن تحوّل بواسطة تحويلات إلى بنى سطحيّة سليمة البناء

فالبنى العميقة هي النظام الدّاخلي القواعدي المولّد للبنيات السطحيّة (الجمل المنطوقة)، وهي الّتي تسمح بتوليد جمل لا محدودة وغير متناهية.

3.2 نماذج اللّسانيّات التوليدية

1.3.2 نموذج البنيات التركيبية:

يعتبر هذا النموذج، النموذج الأوّل الّذي صنعه "تشومسكي" Chomsky ليحاول به تمثيل كيفية توليد أو إنتاج الإنسان للغة، وكان ذلك في كتابه الشهير الموسوم بعنوان "البنيات التركيبية 1957"، وشكل هذا النموذج كالآتي:[2]

[1] عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيّات واللّغة العربية – نمادج تركيبية ودلالية، ص: 68.

[2] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية، ج1، ص: 169.

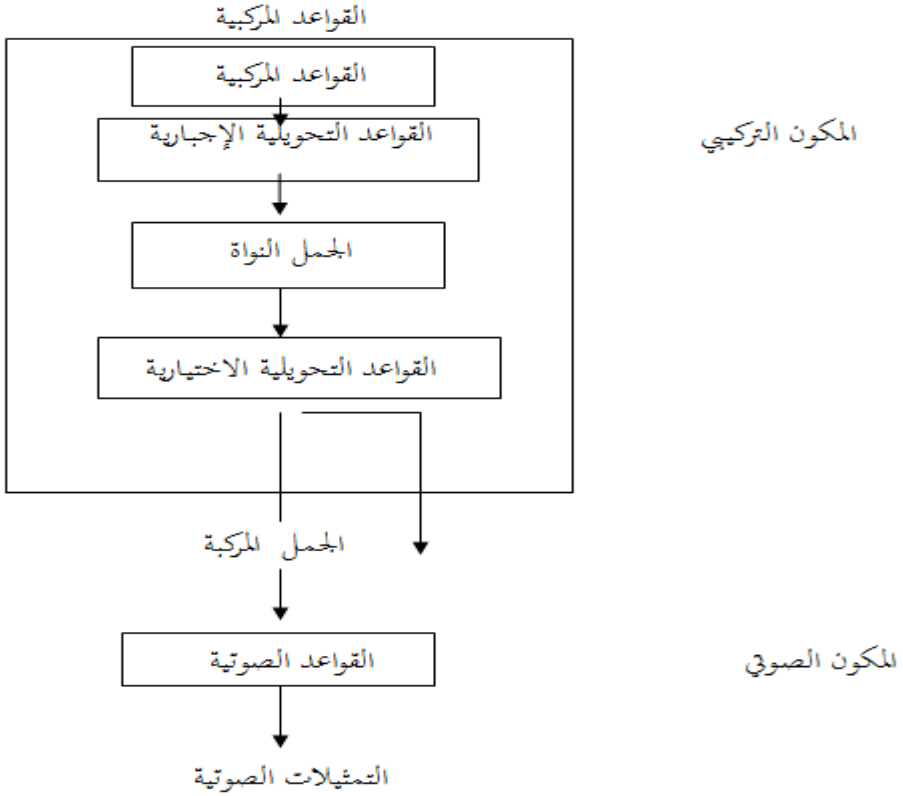

شكل رقم 1: نموذج البنيات التركيبية

يظهر من خلال شكل نموذج البنيات التركيبيّة أنّه يتكون من مكونين رئيسيين اثنين هما: المكوّن التركيبيّ، والمكوّن الصوتيّ، ويتكون كل مكوّن بدوره من عناصر فرعية، بالإضافة إلى العمليات الّتي تتم داخله، بيد أنّ الملاحظ في بنية هذا النموذج أنّ المكوّن الدلاليّ والتداوليّ غائبان عنه.

2.3.2 نموذج المعيار:

يعدّ هذا النموذج، النموذج الثاني الّذي صنعه "تشومسكي" Chomsky، وهو عبارة عن تعديلات أدخلها تشومسكي على نموذجه الأوّل المسمّى بنموذج البنيات التركيبيّة، وذلك من خلال كتابه الجديد المعنون بـ "مظاهر النظرية التركيبيّة Aspects de la théorie syntaxique" الصادر 1965، وإليك بنية هذا النموذج:[1]

[1] عبد القادر الفاسي الفهري: اللّسانيات واللّغة العربية – نماذج تركيبية ودلالية، ص: 67.

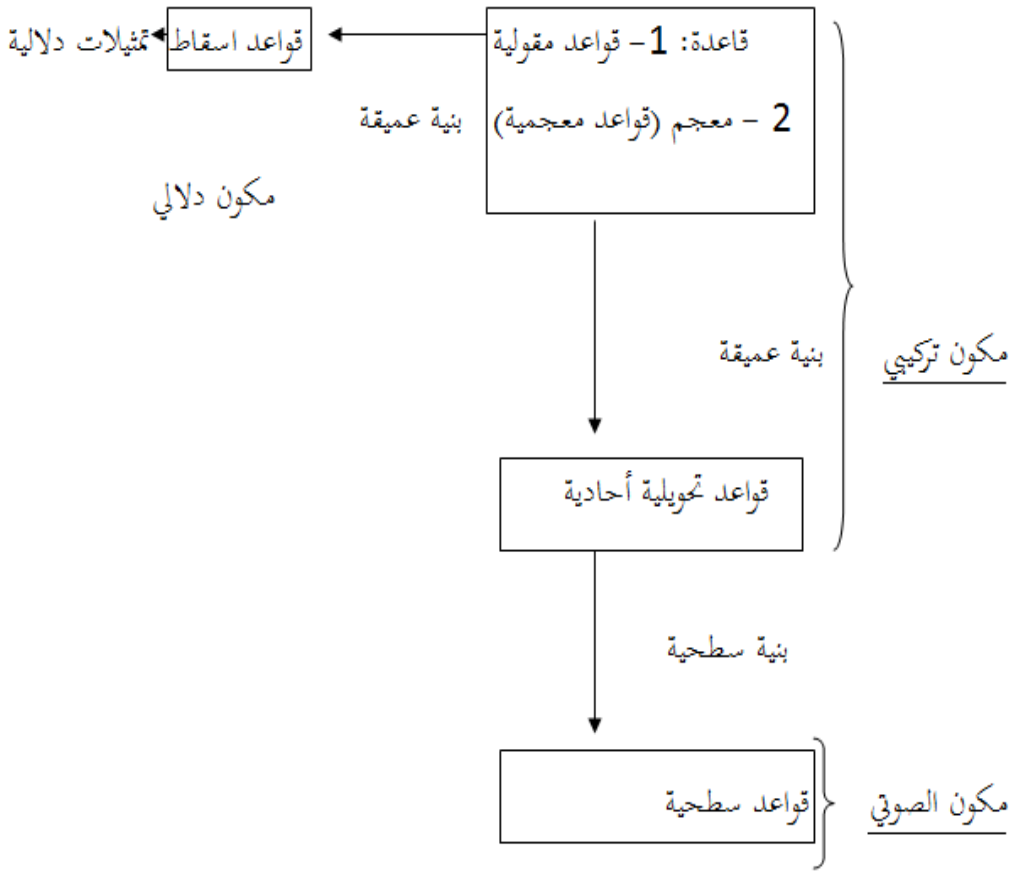

الشكل رقم 2: نموذج المعيار

يلاحظ من خلال هذا النموذج؛ أنّ "تشومسكي" Chomsky أضاف مكوّنا جديدا لبنية النحو، وهو المكوّن الدلاليّ، ولكنّ الملاحظ أيضا أنّ "تشومسكي" لم يجعل المكوّن الدلالي مكوّنا مستقلا بذاته؛ وإنّما أدمجه ضمن المكوّن التركيبيّ وأسند إليه وظيفة ثانويّة، كما أنّ المكوّن التداولي غائب عن بنية هذا النموذج.

3.2.3 نموذج العمل والربط أو نموذج المعيار الموسع:

يعتبر هذا النموذج عبارة عن نسخة مطورة لنموذج المعيار السابق، حيث قام "تشومسكي" Chomsky بإدخال تعديلات جديدة على بنية نموذج معيار، من خلال إضافة عناصر وحذف أخرى، وأصبح الهيكل العام لهذا النموذج من وجهة نظر "تشومسكي" Chomsky هكذا:[1]

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية- من نموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص: 303.

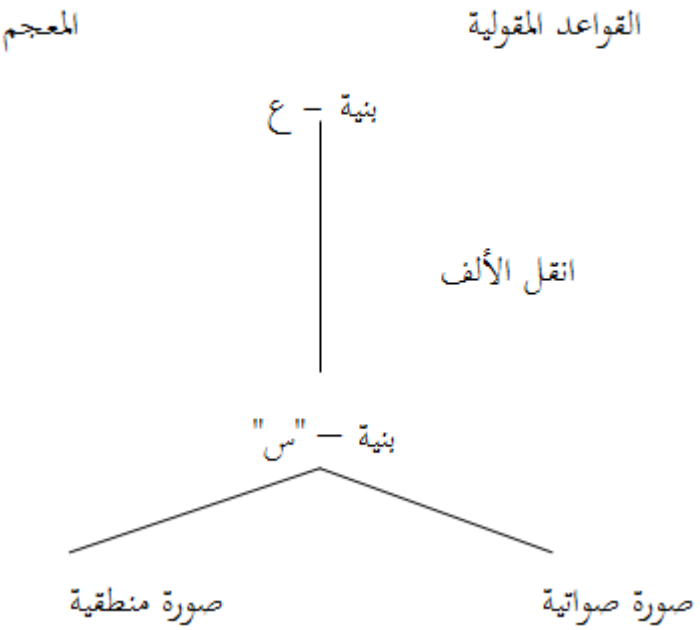

الشكل رقم 3: نموذج العمل والربط

يتميز هذا النموذج عن النماذج الّتي سبقته بسمة البساطة، حيث احتفظ فيه "تشومسكي" Chomsky بالمكوّنات الرئيسيّة للنحو مثل: المكوّن المعجميّ، والمكوّن التركيبيّ، والمكوّن الصوتيّ، فالقواعد المقوليّة + المعجم تنتج لنا بنية عميقة، ثمّ تنقل البنية العميقة إلى البنية السطحيّة عن طريق خاصيّة أنقل الألف، ثمّ تحدد فيما بعد الصورة الصوتية والمنطقية للنحو كمرحلة أخيرة.

4.2.3 البرنامج الأدنوي 1992:

يعتبر البرنامج الأدنويّ النموذج النّحوي الأخير الّذي سعى "تشومسكي" Chomsky من خلاله إلى الكشف والتمثيل لطريقة توليد الإنسان للغة، وهو نتاج تعديلات جديدة أدخلها "تشومسكي" Chomsky على بنية نموذج العمل والربط، ويمكن تصوير الهيكل العام للبرنامج الأدنوي كما يلي:[1]

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية– من نموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص: 420.

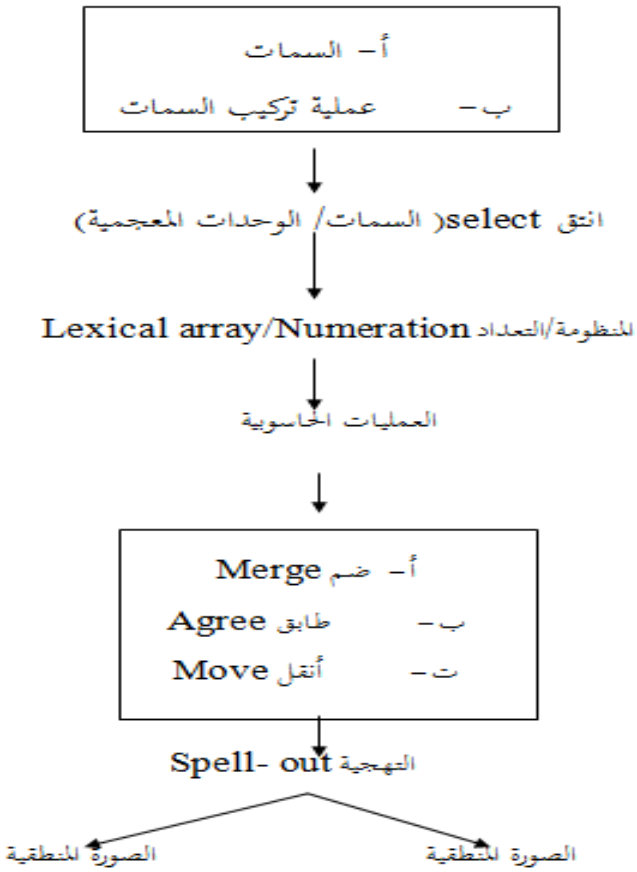

الشكل رقم 4: نموذج البرنامج الأدنوي

يبرز من خلال هذا النموذج، أنّ "تشومسكي" Chomsky كعادته لم يتوقف عن التعديل والتطوير في نماذجه، حيث امتاز هذا النموذج بالبساطة والاقتصاد، إلى جانب إضافة تشومسكي لعمليات حاسوبيّة مثل: عملية الضمّ، والتطابق، والنقل، بيد أنّ الملاحظة الغالبة على هذا النموذج، وعلى النماذج السابقة، هي غياب المكوّنين الدلالي والتداولي كمكوّنين رئيسيين لبنية النحو، ويعود ذلك لخيارات منهجية تبنها تشومسكي Chomsky وظلّ وفيا لها، وهي مركزية المكوّن أو الجانب التركيبي في توليد اللّغة.

4.2 قصور اللّسانيّات التوليدية:

يرى اللّساني "لابوف" labov "أنّ اللّسانيّات الحقيقية يجب أن تنصب على الكلام في واقعه الاجتماعيّ، على عكس ما قامت به اللّسانيّات الحديثة الّتي أهملت بشكل متعمّد وواضح البحث

الاختباريّ empirique للحدث الكلامي"[1]، فاللّسانيات التوليديّة ركزت على الكفاءة اللّغوية وجعلتها محور اهتمامها، وأهملت بذلك الإنجاز اللّغوي؛ أي الكلام، وهو الجانب المحسوس من اللّغة.

ولقد علّق اللّسانيّ الأمريكيّ "دي بوجراند" De Beaugrande ضمن نفس السياق قال:"وأنا أرى قصور أي فهم للكفاءة لا يعتد بمرتكزات التفعيل الّتي يسلطها النّاس على النّظم الافتراضيّة. ولقد لوحظ في دراسات النصوص الشعريّة أنّ هذه المرتكزات ربما تفضي إلى نصوص مخالفة لشروط ايقاع النّظم الافتراضية"[2]؛ حيث رأى أنّ مفهوم الكفاءة اللّغوية سيظل قاصرا ما لم يعتد فيه بالجوانب التواصليّة والتخاطبيّة للغة.

كما لوحظ أيضا "أنّ الممارسة تهدم دعوى الاستقلال للنّحو؛ لأنّ الكثير من الصفات المنسوبة إلى الجملة تنتمي في الواقع إلى الوحدات الدلالية والتداولية"[3]؛ حيث يتضح بهذا أنّ فكرة مركزية النّحو في اللّسانيات التوليدية هي فكرة غير عملية؛ لأنّ العديد من الظواهر الّتي كانت تنسب للنّحو تعود في الحقيقة لجوانب دلالية وتداولية، كالإحالة مثلا.

كما رأى اللّساني "والتركينتش" Walter Kintsch أنّ التفريق في نطاق نحو الجملة بين المقدرة والأداء هو مجرد عذر لسانيّ ليس إلاّ، بيد أنّ بعض الباحثين يبقون على هذا التفريق على حين يدعون إلى تكيف جديد فيما يتصل بالمقدرة الاتصالية (فوندرليخ 1971، وهيرماس 1971، وهايمز 1972، وشميدت 1973)[4].

كما تعرض مفهوم الحدس اللّغوي، وهو مفهوم مؤسّس في اللّسانيّات التوليدية لنقد شديد، والمقصود به "أن يأتي اللّغوي بالجمل التوضيحيّة الّتي هي (بحسب الحدس) مطابقة أو غير مطابقة للقواعد، وبذا يصبح اللّغوي نفسه هو مساعد البحث، ومن ثمّ يكون حرّا في استبعاد الأمثلة غير

[1] مصطفى غلفان: اللّسانيّات التوليدية، ج1، ص: 88.

[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 98.

[3] المرجع نفسه، ص: 89.

[4] المرجع نفسه، ص: 108.

المقبولة لديه بحسب الرغبة مضحيا هكذا بالموضوعية والتعميم كليهما"[1]؛ فالاعتماد على الحدس اللّغوي جعل بعض اللّسانيين يصفون اللّسانيات التوليدية بأنّها لسانيات غير موضوعية؛ نظرا لاعتمادها على مفهوم ذاتي؛ إذ ليس من المنهجية العلمية أن يرفض اللّساني نماذجا وجملا لغوية فقط؛ لأنّها لا تتوافق وحدسه اللّغوي.

كما لوحظ أيضا أنّ مفهوم النّحوية في اللّسانيات التوليدية "ينطبق على التركيب فحسب، دون النظر إلى سياق الموقف. ولكنّ التراكيب بالطبع لا ترد دون مواقف، ومن ثمّ لا يكون لمستعملي اللّغة الخبرة المطلوبة لإصدار أحكام ثابتة"[2]، فالحكم على تركيب معين بأنّه نحويّ أو غير نحويّ من الزاوية النحويّة فقط، دون اعتبار لسياق الموقف، من شأنه إيقاع اللّساني في الزلل؛ إذ العديد من الجمل عندما تسمع وهي مبتورة عن سياقها الّتي وردت فيه يُظَنُّ أنّها غير نحويّة، ولكن إذا نُظِرَ إليها في سياقها الّذي وردت فيه اكتسبت نحويتها من جديد، وهذا يدلّل على تفاعل الجوانب النّحوية والدلالية والتداولية مع بعضها البعض، ويقصي بذلك النظرة التجزيئية للغة.

كما أنّ اعتماد اللّسانيين التولديين على المنطق الصوري، والرياضيات، أدى بهم إلى الوصول إلى طابع قالبي يتنافى وزخم الاستعمال[3]؛ إذ اللّغة أداة تواصلية وتخاطبية يتواصل بها النّاس مع بعضهم البعض، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إبعاد هذا الجانب من الدراسة اللّسانية، فاللّغة وجدت من أجل التخاطب والتواصل لا من أجل شيء آخر.

[1] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، ص: 79.

[2] المرجع نفسه، ص: 80.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 7.

الفصل الأول

لسانيات النصّ مفهومها مجالاتها وتجلياتها

في المنجز اللّغوي العربي القديم.

تمهيد

نروم في هذا الفصل تعريف القارئ الكريم باللّسانيّات النصّية، من خلال التركيز على مفهومها، واتجاهاتها، وأهم مرتكزاتها، وكذا علاقتها بالحقول المجاورة لها، وذلك بغرض تمييزها عن غيرها من العلوم والتخصصات اللّغوية المقاربة لها، إنّ اللّسانيات النصّية علم له موضوعه، ومجاله، ومنهجه، وحدوده الّتي يقف عندها، ومن ثمّة فلا مجال لتخليط بينه وبين غيره من العلوم المجاورة له، إنّ لسانيات النصّ تدرس النصّ اللّغوي في ذاته ومن أجل ذاته، عكس العلوم الأخرى المجاورة لها والّتي تهتم بالنصّ لا من أجله، بل من أجل غايات أخرى، حسب خصوصية كل علم واهتماماته.

إنّ القول بتأسيسية علماء النصّ الغربيون للسانيات النصّية لا ينفي بضرورة أسبقيتهم في مجال الدراسات النصّية، حيث إنّ لعلماء العرب القدامى أيضا إسهامات في هذا المجال، خصوصا في علم البلاغة والتفسير وعلوم القرآن، ولهذا ارتأينا أن نسلط الضوء في المبحث الثاني من هذا الفصل، على أهم هذه الاجتهادات والإسهامات، فمثلما قيل: إنّ الأمة العربية الإسلامية أمّة نصّ.

المبحث الأول: لسانيات النصّ، مفهومها، مجالاتها، واتجاهاتها

نهدف في هذا المبحث للتركيز على أهم متعلقات اللّسانيات النصّية، من خلال رصد نشأتها ومفهومها، وكذا تحديد موضوعها، وضبط مفهوم النصّية، لنميّز النصّ عما ليس نصّا، وصولا إلى عرض أهم اتجاهاتها، لنختمه بـ علاقة اللّسانيات النصّية بالعلوم المجاورة لها، لنبين مواضع الاختلاف والاتفاق، وكذا مواضع الاستفادة المشتركة بين هذه العلوم من جهة، وبين اللّسانيّات النصّية من جهة أخرى.

1.1 اللّسانيات النصّية، المجال والمفهوم

1.1.1 نشأة لسانيات النصّ:

يرى الباحث "سعيد حسن بحيري" أنّ "علم النصّ لا يختص في نشأته أو تطـــــوره ببلد معين أو اتجاه بعينه، (....) ولكنّه نشأ في بلدان مختلفة في صور مختلفة تتباين في الأصل، ولكنّ من خلال

تطورات مستمرة بدأت تظهر أوجه التقارب بين الاتجاهات المختلفة"[1]، فليس ثمّة حدود واضحة يمكن من خلالها تحديد أين؟ ومتى؟ ظهر علم النصّ بدقة، حيث يرى الباحث محمد الأخضر الصبيحي أنّ "سوسير نفسه أشار في كلامه عن الخطاب، إلى أنّ الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنّه لا يمكن أن تكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معينة، ما لم توضع في علاقات مع بعضها البعض"[2]، وفي ذلك إشارة صريحة إلى أنّ سوسير قد يكون أوّل من دعا إلى التوجه نحو الدراسات نصّية، أمّا الباحث "جميل الحمداوي" فقد ذهب بخلاف ذلك حين قال: "لقد ظهرت المحاولات الأولى للسانيات النصّ منذ صدور كتاب (الحكايات الروسية العجيبة) لفلاديمير بروب V.Propp سنة 1928م، حيث قدمّ أوّل دراسة لسانية تحليلية لمقاطع الحكاية بغية تحديد الوظائف السردية وتبيان عواملها وشخوصها النّحوية"[3]، حيث يرجعُ البدايات الأولى للسانيات النصّية إلى الحكائي الروسي فلادمير بروبير.

وأمّا الباحث "عبد الرحمان بودرع" فيعتبر اللّساني "أوجينيو كوسيريو أوّل من أطلق مصطلح لسانيات النصّ في خمسينيات القرن الماضي، في فترة يمكن عدّها فترة الدّراسات العابرة للجمل transphrastic phase أو النّحو العابر للجمل"[4]، وعلى أي حال، يمكن التمييز حسب اللّساني دي بوجراند بين ثلاثة مراحل رئيسية مرّت بها اللّسانيّات النصّية في تأسيسها وتطورها، حيث يقول: "ففي المرحلة الأولى الّتي استمرت حتى آخر الستينات لا نجد غير إشارات تلمح إلى أنّه ينبغي للنصّ أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللّسانيّة (مثلا: انجاردن1931، وبوهلر 1934، وهيلمسلف 194، وهاريس1952، (...) وهارتمان 1964 وفانريش1966"[5]، فالأفكار والتصورات الّتي ظهرت خلال هذه الفترة حول اللّسانيّات النصّية يمكن اعتبارها الإرهاصات الأولى لهذا العلم.

---

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، ص: 101

[2] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه، ص: 60.

[3] جميل الحمداوي: محاضرات في لسانيات النصّ، شبكة الألوكة، ط 1، 2010، ص: 21.

[4] عبد الرحمان بودرع: النصّ اللّغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النصّ، ص: 152- 153.

[5] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 65.

وأمّا المرحلة الثانية فقد تحدث عنها قال: "وفي عام (1968) تلاقت آراء طائفة من اللّسانيين الّذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة لسانيات ما وراء الجملة منهم على سبيل المثال: هايدولف (1966) وحسن (1968)، وباليك، وآيسنبرج (1971)، ودك (1978)، وهارفيج 1968، ولقد تركز الانتباه على موضوعات كان الكلام عنها ممكن بواسطة مفردات من لسانيات الجملة"[1]؛ حيث بدأ في هذه الفترة، بحسب ما يفهم من كلامه، محاولة استثمار مفاهيم ومناهج لسانية الجملة في دراسة النصّ.

وأمّا المرحلة الثالثة والأخيرة فيقول عنها: "وكانت سنة (1972) بشيرا بمرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات أكثر مما كانت مراجعة للنظريات القديمة وجاءت المؤلفات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية على الجملة فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة"[2]، حيث تعتبر هذه المرحلة، هي المرحلة الحقيقية الّتي ظهرت فيها لسانيات النصّ، أين أصبحت لها مكانة بارزة بين مختلف العلوم الّتي اهتمت بدراسة النصوص.

2.1.1 مفهوم لسانيات النصّ:

يرى الباحث "سعيد حسن بحيري" أنّ "علم لغة النصّ ليس إلاّ نظرية جزئية من نظريات النصّ، حيث لا يصف علم لغة النصّ في الأساس – إلاّ أوجه الاطراد اللّغوي الّتي يجب أن تظهرها أو تكشف عنها نصوص ما باعتبارها وحدات لغويّة كي تكون نصوصا متماسكة أساسا، ومنها علاقات الربط والإحالة في النصّ"[3]؛ حيث يظهر بذلك أنّ هناك عدة مجالات ونظريات وتصورات حاولت تقديم تفسيرات للنصّ، وليست اللّسانيّات النصّية إلاّ مجال واحد من هذه المجالات.

وأماّ الباحث "محمد الأخضر الصبيحي" فيعتقد أنّ اللّسانيّات النصّية تنطلق من كون "النصّ بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية. وهو ما وفر لهذه

[1] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص:65

[2] المرجع نفسه، ص: 66 – 67.

[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ- المفاهيم والاتجاهات، ص: 85.

البنية نوعا من الثبات مما يجعل دراستها دراسة علمية أمرا ممكنا"[1]، فموضوع اللّسانيّات النصّية هو بنية النصّ؛ بمعنى تلك العناصر والعلاقات النّحوية والمنطقيّة والدلاليّة الّتي تجعل من متتالية جملية معينة نصّا.

ولابد من الإشارة في هذا الموضع إلى أنّ "علم النصّ لا يصف النّظام الداخلي لمختلف أنواع النصوص وطرائق بناءها فقط، ولكنّه يهدف أيضا، إضافة إلى الكشف عن القوانين والمعايير الّتي يستقيم بها النص، إلى تحقيق غرض أشمل يتمثل في تحديد البنيات المجردة لمختلف أنواع النصوص"[2]؛ إذ الشمولية والتعميم من أخصّ خصائص اللّسانيات النصّية، مثل سائر العلوم الأخرى.

ويرى اللّساني "كلاوس برينكر" Klaus Brinker أنّ "علم لغة النصّ يفهم مثل علم لغة الجملة من قبل بوضوح بأنّه علم اللّغة الخاص بـ (اللّغة) langue أو بالكفاءة اللّغويّة، وقد وسع بوجه خاص تدرج الوحدات النّظام اللّغوي المفترضة فيما مضى (وهي الفونيم والمورفيم أي الكلمة وركن الجملة والجملة حتّى وحدة النص) "[3]؛ حيث يعتبر "كلاوس برينكر" Klaus Brinker أنّ اللّسانيات النصّ هي عبارة عن توسيع للسانيّات الجملة ليس إلاّ.

ومهما يكن من أمر، فإنّ لسانيات النصّ تهتم "بدراسة بنية النصوص وطرق اشتغالها، وذلك من منطلق مسلمة منطقية تقضي بأنّ النصّ ليس مجرد تتابع مجموعات من الجمل، وإنّما هو وحدة لغويّة نوعية une unité linguistique spécifique ميزتها الأساسيّة الاتّساق والانسجام"[4]، فالنصّ له كيانه، وبناؤه، وهيكله العام الخاص به، الّذي يقوم على الاتّساق والانسجام بين عناصره ومكوّناته، لينماز بذلك عن غيره من الإنتاجات اللّغوية، وهذه البنية أو الهيكل العام للنصّ، هي موضوع الدّراسة اللّسانية النصّية وليس شيئا آخر غيرها.

---

[1] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 10.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.

[3] كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنصّ – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والاتجاهات، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2010، ص: 30.

[4]. المرجع السابق، ص: 59

3.1.1 تعريف النصّ

أ) لغة:

يقول "ابن فارس" عن معنى مادة (ن ص ص) في معجمه:" النون والصاد أصل صحيح يدّل على رفْع وارتفاع وانتهاء في الشيء، ومنه قوله نصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه، (...) ونصّ كلّ شيء منتهاه"[1]، أمّا لسان العرب لابن منظور فقد جاء فيه حول هذه المادة ما يأتي:" النصّ: رفعك الشيء،(...) وكلّ ما أظهر فقد نصّ، (...) وأَصل النصّ أقصى الشيء وغايته (...)، ونصّ الأَمر شدته (...)، ونصّ كلّ شيء منتهاه "[2]، فالواضح إذن من خلال هذين المعجمين أنّ معنى مادة (ن ص ص) يتلخص في معاني الرفع والإظهار والانتهاء في الشيء.

ب) اصطلاحا:

إنّه لمن العسير جدا أنّ يجد المرء تعريفا واحدا موّحدا لمصطلح النــصّ يقول به جميع المتخصصين في اللّسانيّات النصّية، إنّ هذا المصطلح عرف تحديدات متنوعة ومتعددة، اقتربت به حينا من جوهر الدّراسات النصّية، وابتعدت به حينا آخر، ففي "علم النصّ، متتاليات الجمل الّتي تمتلك أبنية كبرى، هي وحدها الّتي تسمّى من الوجهة النظريّة نصوصا"[3]، كما استُعمِلَ هذا "المصطلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــح للإشارة إلى النصوص المسجلة (المكتوبة مثلا)، الّتي لا تعتمد في وجودها على مستخدميها (واستخدام المصطلح بهذا المعنى يستبعد بالطبع

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد ابن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ،ط1، 1979، ج 5، ص: 356.

[2] ابن منظور، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ– 1999م، ج4، مادة الخاء، ص: 162-163.

[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1992 ص: 237.

الكلام غير المسجل)"[1]، إذ الكلام المنطوق والشفويّ له ماهيته ومجاله الخاص به، كما عرّف اللّساني الهولندي "فان دايك" van Dijk النصّ بأنّه "البناء النظريّ التحتي المجرد لما يسمّى عادة خطابا"[2]، وفي ذلك تفريق واضح بين مصطلح النصّ والخطاب، وأمّا اللّساني "هارفج" R.harweg فرأى أنّ النصّ هو عبارة عن "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية الّتي تظهر الترابط النحوي"[3]، وأمّا "فانريش H.Weinrich فقد حدده بأنّه "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا Determinationsgefuge، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[4].

كما أنّ النصّ "بالنسبة لمعظم علماء العلامات، هو نظام من العلامات على شكل كلمات أو صور أو أصوات وإيماءات"[5]، حيث يتضح بهذا أنّ علماء علم العلامات أو السيمائيات يوسعون من مفهوم النصّ ليجعلوا منه يطال حتّى العلامات غير اللّغويّة مثل الصور وغيرها.

كمـــــــــــا حدد النصّ أيضا بأنّه "وحدة كبرى شاملة لا تضمها أي وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النّحويّة على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلاليّة على مستوى رأسي – يتكون المستوى الأوّل من وحدات نصّية صغرى تربط بينها علاقات نحويّة، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كليّة تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"[6]، فالّذي يظهر من خلال هذا الكلام أنّ أهم شيء في النصّ هو كليته، واتّساق جمله، وانسجام دلالاته.

وعليه فيمكن أن يقال أنّ النصّ هو ذلك البناء اللّغوي الكليّ الشامل، المتّسقة جمله، والمنسجمة دلالاته، مما يسمح بإدراكه ككتلة واحدة.

---

[1] دنيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسيّة في علم العلامات: تر: شاكر عبد الحميد، مطابع المجلس الأعلى للأثار، ط1، 2000، ص: 223.

[2] محمد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،ط2، 2006، ص: 24.

[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، ص: 108.

[4] المرجع نفسه، ص: 108.

[5] دنيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسيّة في علم العلامات، ص: 224.

[6] المرجع السابق، ص: 119.

ت) العلاقة بين المعنى اللّغوي العربيّ للنصّ وبين المفهوم الغربيّ:

من خلال عرض المعاني اللّغوية للفظة النصّ في المعاجم العربيّة القديمة، والدلالات الاصطلاحية لمصطلح النصّ عند علماء النصّ الغربيين، لوحظ أنّ هناك فرقا واضحا بين المعنيين، يؤكد الباحث عبد الرحمان بودرع هذه النتيجة يقول: "فالنصّ في أصله العربيّ الرفع والإظهار والقطع وغير ذلك .... وهذه المعاني لا تصدق على مفهوم النسج والحبك والتأليف الّذي يدلّ عليه text في الإنجليزية، ولقد اجتهد باحثون عرب في إكراه النصّ على الدلالة على (النسج) وأوّلو ولووا أعناق الشواهد لتحقيق التوافق والمناسبة، ولكن يبقى النصّ نصّا والنسج نسجا"[1]، ومن ثمّة فلا علاقة أو تقارب أو تناسب بين المعنيين على الرغم من محاولة العديد من الباحثين العرب إثبات علاقة بينهما.

4.1.1 مبادئ علم النص:

يرى الباحثان "زينايدا يويوقا" و"يوسف ستيرنين" أنّ للسانيات النصّ مبادئ تقوم عليها تميزها عن غيرها، ولعلّ من أبرزها ما يأتي:[2]

- الوحدة الأساسيّة للكلام الّتي تعبر عن القول التام ليست الجملة، بل النصّ، وما الجملة إلاّ حالة جزئية من النصّ.
- النصّ هو الوحدة الأعلى من وحدات المستوى النّحوي اللّغوي.
- هناك مبادئ عامة لبناء النصوص بمختلف أنواعها، وهي لا تنسب إلى الكلام بل إلى نظام اللّغة (إننا نحث ليس كما نطلب أو كما نخبر).
- النصّ وحدة ليس للكلام فقط بل للغة أيضا.
- يجب أن يدرس النصّ علم خاص – هو لسانيات النصّ.

[1] عبد الرحمان بودرع: النصّ الّذي نحيا به، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، ط 1، 2018، ص: 2-3.

[2] زينايدا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللّسانيّات العامة، ص: 336.

فجلّ هذه المبادئ تتركز على فكرتين أساسيتين هما: استقلالية اللّسانيّات النصّية من جهة، وتجاوز مفهوم الجملة الّذي ظل مهيمنا على الدّراسات اللّسانية لمدة طويلة إلى مفهوم جديد آخر هو النصّ من جهة أخرى.

5.1.1 مادة علم النصّ:

إذا كان موضوع لسانيات النصّ مثلما ذُكِرَ سابقا هو بنية النصّ وهيكله العام، فما هي مادته الّتي يشتغل عليها؟ يقول اللّساني "فان دايك" van Dijk محاولا الإجابة عن هذا السؤال: "من المفيد أن تحلل في علم النصّ (...) تحليلا منظما أشكال نصّية، وأبنية مختلفة، وشروطها، ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة : المحدثات اليومية، والأحاديث العلاجية، والمواد الصحفية، والحكايات والقصص، والقصائد، ونصوص الدعاية، والخطب، وإرشادات الاستعمال، والكتب المدرسية، والكتابات، والنقوش، ونصوص القانون، والتعليمات، وما أشبه ذلك"[1]، ففان دايك van Dijk يرى أنّ كل هذه الإنتاجات اللّغوية هي مواد للسانيات النصّ، حيث ينبغي على المتخصص في لسانيات النصّ أن يدرسها ويفحصها؛ ليستنبط بذلك السمات والمبادئ والخصائص المشتركة بينها كنصوص، والّتي تسمىّ في لسانيات النصّ بالنصّية.

ولقد ذهب الباحث "سعيد حسن بحيري" في نفس الاتجاه حين قال: "إنّ لا تمييز بين النصوص من وجهة نظر علم اللّغة النصيّ؛ إذ إنّها جميعا متساوية في الخضوع للوصف والتحليل لتفسيرها، ولا يعني ذلك إهمال المتغيرات بين النصوص، بل إنّها تجد عناية لا تقل عن العناية بالبحث عن الثوابت، ومن ثمة فالنصوص الأدبيّة مثلها مثل نصوص العقود والوجود والالتماسات وأشكال الدعاية وغيرها"[2]، فالّذي يفهم من خلال كلام الباحث "سعيد حسن بحيري" أن لا انتقائية داخل مجال اللّسانيات النصّية، حيث تدرس جميع النصوص دون استثناء سواء كانت أدبية أو غير أدبية.

---

[1] فانديك: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص:11.

[2] سعيد حسن بحيري: علم لغة النصّ – المفاهيم والاتجاهات، ص: 101.

6.1.1 الكفاءة النصّية:

إذا كانت الكفاءة اللّغويّة حسب ميشال زكرياء هي "القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة"[1]، أو كما حددها الباحث "محمد الأوراغي" بأنّها "معرفة المتكلم للغة وسطه الاجتماعي المتجانس"[2]، فإنّ الكفاءة النصّية هي كفاءة من نوع آخر، حيث يرى اللّسانيّ "دي بجراند" De Beaugrand أنّها تتضمن المعارف والإجراءات الآتية:[3]

- معرفة رصيد البدائل في النّظم الافتراضيّة.
- معرفة قيود النظام الخاصة بانتقاء البدائل أو تلافيها.
- معرفة المعتقدات والمعلومات والإرهاصات الشائعة في المجموعة الاتصالية أو المجتمع عن العالم الحقيقي.
- معرفة أنواع النصوص.
- إجراءات استخدام النظم الافتراضية عند تفعيلها.
- إجراءات إنتاج النصوص.
- إجراءات استقبال النصوص.
- إجراءات المحافظة على النصّية.
- إجراءات تنظيم الإعلامية.
- إجراءات استكمال معايير التصميم (وهي الكفاءة والتأثير والملائمة).
- إجراءات إعادة استعمال المعلومات التي اشتمل عليها النصّ باستخراجها من المخزون الذهني.
- إجراءات المراقبة والتصرف في المواقف باستعمال النصوص.
- إجراءات بناء الخطط وايجادها ومراجعتها للوصول إلى الأغراض.

---

[1] ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللّغة العربية، ص: 32.

[2] محمد الأوراغي: الوسائط اللّغويّة – أفول اللّسانيّات الكلية، ج 1، ص: 72.

[3] ينظر: دي بجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 110-111.

يفهم من خلال كلام "دي بجراند" De Beaugrand أنّه إلى جانب تمكّن متكلم اللّغة ومستمعها من اللّغة ومستوياتها في الكفاءة اللّغويّة، ينبغي عليه التمكّن ومعرفة كلّ ما له علاقة بالنصوص وإنتاجها، تحليلا ودراسة، تأليفا وقراءة، تلقيا وتأويلا، إذا ما أراد أن يمتلك كفاءة نصّية تتيح له التعامل مع النصوص بسلاسة واحترافية عالية.

2.1 اتجاهات علم النصّ

1.2.1 نحو النصّ:

يحدد هذا الاتجاه بأنّه "الدّراسة الشكليّة لبنية النصّ، وكثيرا ما يترجم هذا المفهوم بمصطلح الأجرومية تمييزا له عن الميدان التقليدي للنّحو"[1]؛ حيث يركز هذا الاتجاه على الجوانب اللّغوية الشكليّة في النصّ، كما يقوم على "دراسة ميزات ترتيب الكلمات وأدوات الربط في أقوال أحد النصوص وبيان المظاهر الشكليّة لترابط النصوص"[2].

كما عُرّفَ أيضا بأنّه "مقاربة تطبق نظريات تطورت لوصف الجملة وعناصرها على مجال النصّ، معتبرة أنّ النصّ لا يختلف في جوهره عن الجملة من حيث يمكن وصفه باعتماد نفس المنهج ونفس الوسائل النظرية، وبالتالي، تمحورت الاهتمامات الأولى حول مسألة الربط بين الجمل"[3]؛ إذ يركز نحو النصّ في ضوء هذا الكلام على العناصر اللّغوية الّتي لها وظيفة الربط بين الجمل والعبارات داخل النصّ.

يلاحظ في هذا الاتجاه، "أنّ النصّ لم يتحرر بعد من سلطة الجملة؛ إذ بقي النصّ – في هذا التصور – سلسلة من الجمل، وإن كان أصحاب هذا الرأي يشترطون كونها سلسلة متّسقة"[4]، فمحور اهتمام هذا الاتجاه هو الاتّساق النصّي؛ أي الأدوات والآليات الّتي يكون بها النصّ متسقا، وسنتعرف عليها في موضعها.

---

[1] حسين خمري: نظرية النصّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص:219.

[2] زينايدا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللّسانيّات العامة، ص:338.

[3] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 57

[4] المرجع نفسه، ص: 58

2.2.1 دلالة النصّ:

يرى اللّسانيان "زينايدا يويوقا" و"يوسف ستيرنين" أنّ اتجاه دلالة النصّ يهتم "بما يسمّى بالافتراضات المسبقة presupposition؛ أي بالمعلومات المعروفة للمتكلم والمستمع والّتي تجعل النصّ مفهوما وذا معنى. إنّ توافق النصّ مع الافتراضات ضروري لكي يتمّ استيعاب النصّ بوصفه مؤثرا ولازما وملائما"[1]، حيث يفهم من خلال كلامهما أنّ اتجاه دلالة النصّ يختص بنظر بالمسائل والقضايا الدلالية للنصّ، مثل: الافتراض المسبق، والعلاقات الدلالية والمنطقية التي تحكم النصّ؛ بمعنى الاهتمام بالنصّ على أساس أنّه وحدة دلالية منسجمة تحكمها مجموعة من العلاقات؛ بحيث يمكن إدراكه ككل متكامل يكمل بعضه بعضا.

3.2.1 التداولية النصّية:

يحدد هذا الاتجاه، بأنّه الاتجاه النصّي الّذي "يتناول الظروف التواصلية الّتي يجب أن يراعيها المتكلم، لكي يحقق النصّ الّذي كوّنه بصورة دقيقة كل ما يجب أن يعبر عنه، وأن يمارس أكبر تأثير على المستمع وفقا لأهداف المتكلم. وفي هذا المجال يمتد علم النصّ خارج إطار اللّسانيات البحتة ويستعمل معطيات اللّسانيات النفسيّة والسوسيولسانيات (اللّسانيّات الاجتماعية)"[2]؛ حيث تمتد الدّراسة النصّية في ضوء هذا الاتجاه إلى أبعاد غير لغويّة، مثل: سياق مثلا، وما إن كان النصّ مناسبا أو موافقا لأهداف وغايات منتجه.

كما حُدِدَ النصّ في هذا الاتجاه بأنّه عبارة عن "سلسلة من الأفعال اللّغويّة المتعلقة ببعضها البعض على أساس بنية هرمية بحيث يمكن تعيين فعل لغوي أساسي للنصّ ككل"[3]، بمعنى أنّ النصّ يتكون من أفعال لغوية أو كلامية جزئية، تخدم الفعل الكلامي الكلي أو الشامل الّذي يريد منتج النصّ تشكيله وتحقيقه من أجل تأدية غرضه التواصلي.

---

[1] زينايدا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللّسانيّات العامة، ص: 342.

[2] المرجع نفسه، ص:345.

[3] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 62.

3.1 المعايير النصّية

1.3.1 التماسك أو الاتّساق النّحوي

يراد بالاتّساق النصي أو التماسك النّحوي تلك" الأدوات الكلامية الّتي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل. ولا سيما الاستبدالات التركيبية الّتي تحافظ على هوية المرجع، ولكنّها تحافظ أيضا على التوازي، وعلى التكرار"[1]، حيث يتضح من خلال هذا الكلام، أنّ المقصود بالاتّساق النصّي هو تلك الأدوات والآليات اللّغوية السطحيّة الّتي تجعل من النصّ كتلة واحدة موحدة؛ بحيث يمكن إدراكه ككل متكامل، وفيما يلي بيان لأهمها:

أ) الإحالة النصية:

يقصد بالإحالة النصّية تلك "الأدوات الّتي تحيل داخل النصّ والّتي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص بها بل على إسنادها لشيء آخر"[2]؛ حيث تكمن وظيفتها الأساسية في اتساق النصّ وترابطه، وتجنب التكرار والحشو فيه، وتنقسم الإحالة النصّية حسب الباحث "جورج يول" George Yule إلى نوعين أساسيين : "بعضهما يلتفت إلى الوراء أي إلى ما سبق في النصّ حتى يفهم ويسميها "هاليداي" و"حسن" علاقات إحالة إلى الوراء، وبعضها يلتفت إلى الأمام، أي إلى ما يلحق في النصّ حتى يفهم وتسمّى إحالة إلى الأمام"[3]، وكلاهما له دور كبير في اتساق النصّ وانسجامه، وتتم الإحالة في النصّ عن طريق العناصر الآتية:

- الضمائر، مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هما، إلى غير ذلك من الضمائر المعروفة في اللّغة.
- أسماء الإشارة، مثل: هذا، هذه، هؤلاء.
- ظروف المكان، مثل: الآن، هنا، هناك.

---

[1] أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2007، ص: 540.

[2] جورج براون وجورج يول : تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ-1997م، ص: 230.

[3] المرجع نفسه، ص: 230.

- ظروف الزمان، مثل: الآن، غدا، البارحة.
- الأسماء الموصولة، مثل: الّذي، الّتي، اللّذان، اللّتان، الذين.
- أدوات المقارنة، مثل: أفضل من، أجمل من، مثل، أكثر من، أقل من، وهكذا...

فهذه العناصر كثيرة في اللّغة، لا يسمح المقام برصدها وعرضها كلّها، وإنّما كان هذا بيانا لأشهرها.

ب) الاستبدال:

يرى الباحث جورج يول George Yule أنّ "نظرة كل من "هاليداي" و"رقية حسن" للاستبدال نظرة بسيطة؛ إذ يريان أنّه يمكن استبدال عبارة بعبارة أخرى، ولا تختص هذه النظرة بهما، فهناك توجه عام في تحليل النصّ يسمّى علم لسانيّات النصّ الاستبدالية"[1]، فالملاحظ إذن، أنّ المقصود بالاستبدال هو تعويض عبارة لغوية بعبارة أخرى مقاربة لها داخل النصّ، فإن أمكن تعويض عبارة بأخرى، أمكن من باب أولى تعويض كلمة بأخرى إن وجدت صلة قرابة بينهما، ولعلّ الفائدة المرجوة من الاستبدال كآلية نصّية اتّساقية، تكمن في تجنب التكرار، والحشو أيضا.

ج) الحذف:

يحدد اللّـــــــــــــــــــــسانيّ "باتريك شارودو" Patrick Charaudeau الحذف يقول: "وهي عملية تقوم على إسقاط عنصر أو عدة عناصر من الجملة حضورها في العادة مطلوب"[2]، كما حدده أيضا الباحثان "هاليداى و"رقية حسن" حين قالا: "الحذف علاقة تتمّ داخل النصّ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النصّ السابق وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية"[3]، حيـــــــــــــث يمكن العثور على العنصر المحذوف في النصّ في مواضع سابقة عن موضع حذفه.

---

[1] جورج يول وجورج براون: تحليل الخطاب، ص: 240.

[2] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر: صلاح الدين شريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008، ص: 203.

[3] Halliday, M.A.K.and R. Hasan (1967) Cohesion in English.p:144.
نقلا عن: محمد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:21.

د) **الوصل:**

يقول الباحث "جورج يول" George Yule موضحا آلية الوصل: "ويتم التعبير عن نمط معروف من العلاقات الترابطية المعلنة بأدوات نحوية تربط ما يقال الآن بما يقال أنفا، مثل الواو، ولكن، وبالتالي، وثمّ"[1]، حيث يفهم من خلال كلامه؛ أنّ المراد بالوصل هو ترابط الجمل والعبارات داخل النصّ مع بعضها البعض عن طريق أدوات نحويّة تسمّى بالروابط، ولعلّ من أبرزها:[2]

- روابط العطف: الواو، أو، بالإضافة إلى ذلك، كذلك، إضافة.
- روابط المقابلة: لكن، إلاّ أنّ، من جهة أخرى، ومع ذلك.
- روابط السببية: هكذا، وكنتيجة لذلك، لهذا السبب، ويترتب على هذا.
- روابط الزمنية: ثم، بعد ذلك، بعد ساعة، أخيرا، في آخر المطاف.

فكلّ هذه الروابط ذات وظيفة اتّساقية، حيث تسمح باتّساق النصّ وترابطه وتماسك جمله مما يسمح بإدراكه ككل متكامل.

هـ) **الاتّساق المعجمي:**

ينقسم بحسب الباحثين "هاليداي" و"رقية حسن" إلى نوعين:[3]

- التكرير reiteration: وهو إعادة ذكر عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلقا أو اسما عاما.
- التضام collocation: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك.

حيث يتركز أساسا في مستوى الكلمات، بمعنى أنّه علاقة نصّية تتم بين الكلمات المكونة للنصّ الواحـد.

---

[1] جورج براون وجورج يول: تحليل الخطاب، ص: 227.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 228.

[3] محمد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 24.

2.3.1 الانسجام النصّي:

يعتقد الباحث صلاح فضل أنّ "تحديد مفهوم عام للتماسك النصيّ أمر عسير؛ نظرا لطبيعة النصّ ذاته؛ ولبينية علم النصّ؛ لأنّه متداخل الاختصاصات"[1]، فهناك عدة علوم تتداخل وتتقاطع مع علم لغة النصّ أو لسانيات النصّ، حيث تجعل من مهمة رصد مفهوم واحد للانسجام النصيّ يقول به جميع المتخصصين في اللّسانيات النصّية أمرا صعبا؛ بسبب اختلاف الخلفيات الفلسفيّة والمنطلقات المنهجية وغايات وأهداف هذه العلوم .

يرى اللّساني "دي بوجراند" De Beaugrande أنّ الانسجام النصيّ "يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي conceptual connectivtty واسترجاعه، وتشتمل وسائل على العناصر المنطقية، كسببية والعموم والخصوص classinclusi ، معلومات عن تنظيم الأحداث، والأعمال، والموضوعات، والمواقف[2]، حيث يراد به ذلك الترابط الدلالي والمفهومي والمنطقي للقضايا المشكلة للنصّ. كما ذهب الباحث "سعيد حسن بحيري" في نفس الاتجاه حين اعتبر أنّ الانسجام النصّي يقوم على "أساس دلالي – محوري مجرد للنصّ (يطلق عليه البنية العميقة للنصّ أيضا)"[3]؛ إذ الشيء الأساسيّ والأهم في الانسجام النصّي هو تلك العلاقات الدلاليّة الخفية الّتي تحكم النصّ، مثل علاقات العموم والخصوص، الجزء والكل، السبب والنتيجة، وغير ذلك من العلاقات المنطقيّة المعروفة.

وأمّا الباحث "محمد خطابي" فقد حدده قال: "تصبح المتتالية متماسكة دلاليا عندما تقبل كل جملة فيها التفسير والتأويل في خط داخلي؛ يعتبر امتدادا بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية أو من الجمل المحددة المتضمنة فيها"[4]، حيث يمكن فهم جمل وعبارات وردت في آخر النصّ،

---

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 243

[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات–، ص: 109.

[4] محمد خطابي: لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 28.

انطلاقا من جمل وعبارات وردت في وسطه أو بدايته، وهذا ما يؤكد على وحدة النصّ وكليته وتكامليته معنا ودلالة.

كما أنّ هناك من الباحثين من يعتبر أنّ "التماسك النصّي ليس مجرد خاصية تجريدية للأقوال ينبغي أن نعالجها في علم الدلالة، أو في نظرية الخطاب، أو في نحو النصّ، ولكنّه ظاهرة تأويليّة ديناميكيّة من الفهم المعرفي تتداخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية"[1]؛ بمعنى أنّه ليس شيئا معطى في النصّ، بل إنّ القارئ أو المؤول هو الّذي يبنيه ويصنعه انطلاقا من فهمه وتأويله للنصّ.

كما لا بدّ من التنبيه في هذا الموضع إلى أنّ الانسجام النصيّ هو الّذي "يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول "موضوع الكلام". وهذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات الّتي تحدد صورة عالم النصّ المصمم بوصفه بناء عقليا، ويمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة: سببية، غائية، قياسية، إلى آخره، ويبدو من جهة أخرى أنّ العلاقات بين المتصورات لا تنشطها دائما التعابير اللّسانيّة الفوقية، ولكنّها تستلزم دائما اللّجوء إلى الاستدلال"[2]، فالانسجام النصيّ هو الّذي يشكل ما يسمّى بالوحدة الموضوعية للنصّ، وهو الذي يسمح بإدراكه كوحدة متكاملة لها بداية ونهاية.

أ) الفرق بين التماسك النصّي والانسجام النصّي:

يرى اللّسانيّان أزوالد ديكرو O.Ducrot وجان ماري سشايفر Jean-marie Schaeffer "أنّ مشكلة الحدود بين التماسك النصّي (الّذي تحققه أدوات لسانية محضة) والانسجام النصي (الّذي يستخدم سيرورات إدراكية غير لسانية) مشكلة معقدة "[3]، فالحدود بينهما غير واضحة.

يعتبر الباحث "سعيد حسن بحيري" أنّ الانسجام النصّي يتخطى "الأبنية النّحويّة السطحيّة للنصوص ويتصل بجمل عالمها الدلالي والشعري، وهو يتجلى في تلك الحالات الّتي قد يبدو فيها

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 243

[2] أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي لعلوم اللّسان، ص: 541.

[3] المرجع نفسه، ص:541

النصّ مفككا من السطح، لكننا لا نلبث أن نتبين وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكها"[1]، عكس الاتّساق النصّي الّذي يتمحور فقط حول الأشكال اللّغويّة السطحية للنصوص.

كما يرى الباحث عبد الرحمان بودرع أنّ "تقليل الروابط اللّفظية يفسح المجال للروابط العقلية والعلاقات الذهنية والقيود المنطقية لتقوم مقام الأدوات اللّفظية وتسدّ مسدها وتغني عنها"[2]، فكلّما قلت الروابط اللّغويّة في النصّ قلَّ الاتّساق وحضر الانسجام، وكلّما زادت حضر الاتّساق وقلَّ الانسجام.

بيد أنّ "ديكرو" O.Ducrot و"سشايفر" Schaeffer يريان أنّ "عددا معينا من الوقائع النصّية الّتي نعدها عموما جزءا من الانسجام، تستطيع أن تفسر بمصطلحات التماسك، أي بمصطلحات لسانية محضة"[3]، وهذا ما يطرح مرة أخرى إشكالية الحدود بينهما.

وعلى أي حال، وبغض النظر عن الفروقات الّتي بينها؛ فإنّهما ضروريان لكل متتالية جملية إذا ما أرادت أن تكتسب صفة النصّية.

ب) مظاهر الانسجام النصّي:

للانسجام النصّي عدة مظاهر لعلّ من أبرزها: [4]

- الترابط: وهو علاقة بين القضايا وليس علاقة بين الجمل أي علاقة دلاليّة، بمعنى أنّها علاقات بين المعاني.
- ترتيب الخطاب: وهو الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، فمثلا: إذا كنا بصدد الحديث عن المراحل الّتي تمر بها حياة الإنسان، فإننا سنبدأ بمرحلة الأرحام، ثمّ مرحلة الولادة، ثمّ مرحلة الطفولة، ثمّ مرحلة الشباب، ثمّ مرحلة الكهولة، ثمّ أخيرا مرحلة الشيخوخة، فهذا هو الترتيب العادي المعروف لحياة الإنسان.

---

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، ص: 124.

[2] عبد الرحمان بودرع: النصّ الذي نحيا به، ص: 16.

[3] أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي لعلوم اللّسان، ص: 541.

[4] ينظر: محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 31-38-40-41.

- الخطاب التام والخطاب الناقص: يقصد بالخطاب التام حسب "فان ديك" أنّ كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب؛ ولأنّ الوقائع الّتي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر؛ فإنّ الخطابات ليست تامة، ولا تحتاج لأن تكون تامة، بمعنى أنّ المعلومات الواردة في الخطاب ما تخضع لعملية انتقاء؛ بحيث لا نجد في الخطاب إلاّ المعلومات الضرورية؛ أي المعلومات المفيدة الّتي يحتاجها المتلقي في عملية فهم النصّ أو الخطاب.
- موضوع الخطاب: يختزل موضوع الخطاب وينظم ويصنف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل، فإذا عُرِفَ موضوع النصّ، سهلت عملية بناء انسجامه وإن بدى مشتتا ومفرق الأجزاء.

ت) وسائل الانسجام النصي:

للانسجام النصّي عدة وسائل وأدوات تساهم في انسجام النصّ وتماسكه؛ بحيث يمكن إدراكه ككتلة واحدة، ولعلّ من أبرزها ما يلي:[1]

- التطابق الذاتي indivudual identity ويقصد به التطابق بين الاسم والضمير المحيل عليه، فمثلا إذا قيل: شرب الولد القهوة الّتي أعدتها ولدته.

فالضمير الّذي في آخر كلمة (أعدتها) يعود على القهوة؛ لأنّه مطابق لها من حيث التأنيث، والضمير الّذي في آخر كلمة (والدته) يعود على الولد؛ لأنّه مطابق له من حيث التذكير.

- علاقات التضمن والعضوية: الجزء – كل، فمثلا: قاعات التدريس جزء من الجامعة وهكذا، أمّا علاقة الملكية فيمكن أن نمثل لها بأنّ أشياء مثل القميص، والقبعة، يمكن أن تكون ملكيات لرجل معين.
- الحالة العادية المفترضة للعوالم: ويقصد به أنّ توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوالم عموما، والحالات الخاصة لأمور أو مجرى الأحداث، مثل عالم العمل.
- الإطار: وهو يميز معرفتنا للعالم فمثلا: إطار المكتب يعنى مجموعة نمطية من ذوات المكتب وأنشطة نمطية في المكتب.

[1] ينظر: محمد خطابي، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 35 – 36 – 37.

- تعالق المحمولات: يقصد بالمحمول الرابط بين موضوعين مختلفين في النصّ.
- علاقات رؤية والتذكر: ويقصد بها ذكر ذوات سابقة سبق ذكرها في مقاطع أولى من الخطاب.

3.3.1 المقبولية:

تحدد المقبولية بأنّها "موقف مستقبل النصّ إزاء كون صورة ما من صور اللّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ ذو سبك والالتحام"[1]، فمستقبل النصّ أو متلقيه هو الّذي بإمكانه أن يحكم على نصّ ما إن كان متّسقا ومنسجما أم لا، وقد يكون ذلك وفق مقاييس ذاتية خاصة به.

4.3.1 القصدية:

يرى اللّساني دي بوجراند أنّ " كل نصّ هو بنية قصدية"[2]، أي قصد به أن يكون على هذا النّحو أو ذاك، كما "يعني القصد موقف صاحب النصّ الذي يستخدم التماسك والانسجام، ومقاصده من بناء النصّ على نحو مخصوص، فإذا أسقطنا القصد من حساب المعايير النصّية انفصم التواصل الذي هو عروة كبرى من عرى النصّ، وتأثر التماسك والانسجام"[3]، فالقصد موجود في أوّل النصّ، وفي وسطه، وفي نهايته، وفي مخططه العام، وفي معانيه ومقاصده ومراميه، فالنصّ كائن قصدي بامتياز.

5.3.1 رعاية الموقف:

يراد برعاية الموقف "العوامل الّتي تجعل النصّ مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النصّ في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره"[4]، كما قد يقصد به أيضا "العوامل الّتي تجعل النصّ مناسبا لمقام معين، وللمقام تأثير في الفهم والتأويل لا ينكر"[5]، فالسياق له دور كبير في

[1] دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 104

[2] أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي لعلوم اللّسان، ص: 541

[3] عبد الرحمن بودرع، النصّ اللّغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النص، ص: 157.

[4] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 104.

[5] المرجع نفسه، ص: 157.

إدراك النصّ وفهم ما أُشْكِلَ من معانيه، كما يمكن أن يستعمل النصّ في وصف وتغيير واقع معين، فلا يمكن فصل النصّ عن سياقه الّذي ورد فيه.

6.3.1 التناص:

تعتبر "الكتابة هي السياق الّذي يتمّ فيه التناص، ليست الحروف والكلمات فقط هي الّتي تعيننا على الكتابة، بل هناك مجموعة من المقطوعات النصّية الّتي قرأنها ونستطيع أن نقطعها ونحولها كما نرغب[1]؛ أي نقوم بإذابتها واستعمالها في إنتاج نصوص جديدة.

كما قد يقصد بالتناص "العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة "[2]؛ حيث يراد به تلك التداخلات الّتي نجدها بين نصّ وآخر، فقد تكون هذه التداخلات واضحة يسهل تميزها، وقد تكون عميقة يصعب رصدها، فالتناص مبدأ أساسيّ من مبادئ النصّ، إذ يقال "كل نصّ تناص"[3]، بمعنى أنّ النصّ ما هو إلاّ نتاج لنصوص أخرى وردت قبله.

7.3.1 الإعلامية/الإخبارية:

يقول الباحث عبد الرحمان بودرع: "تقتضي الإخباريّة أنّ مضمون النصّ يحمل جديدا يختبر به المخاطَب"[4]، حيث يمكن أن يفهم من خلال هذا الكلام أنّ الإعلاميّة هي المعلومات الجديدة الّتي يحصلها القارئ أثناء قراءته للنصّ.

يقتضي هذا الكلام أنّ المتلقي أو قارئ النص غير عالم بهذه المعلومات، جاهل بها، وإلاّ فإنّ مفهوم الإعلاميّة سيفقد فائدته؛ إذ لا إعلامية ولا إخبارية إلاّ عن مجهول.

---

[1] رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، ط1، 2000، الجزائر، ص: 236.

[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص: 104

[3] المرجع نفسه، ص: 236.

[4] عبد الرحمان بودرع، النص اللّغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النص، ص: 157.

8.3.1 أوجه قصور نظرية المعايير النصية:

على الرغم من النجاحات والشهرة الّتي حققتها نظرية المعايير النصّية لصاحبها دي بوجراند De Beaugrande في مجال الدّراسات النصّية المعاصرة، إلاّ أنّ هذا لم يحل دون توجيه النقد إليها، وتلك هي عادات العلم وتقاليده؛ إذ يتمثل أبرز مظهر للضعف في هذه النظرية في كون أنّ "قائمة المقاييس النصّية السبعة غير متجانسة؛ أي راجعة إلى تقاليد نظرية مختلفة (Feilke 2000)"[1]، فدي بوجراند قام بدمج مجموعة مختلفة من المفاهيم في قالب واحد، فمعيار رعاية الموقف أو السياق مثلا: هو معيار تداولي؛ بمعنى أنّه خارج نصيّ، ومعيار القصدية مختلف فيه، "هل القصد تابع لمؤلف النص؟ أم للنصّ؟ أم لقارئ النصّ؟"[2] ومعيار الانسجام أيضا، هل الانسجام معطى في النصّ؟ أم القارئ أو المؤول هو الّذي يمنح النصّ انسجامه؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المشروعة، بالإضافة إلى احتكام بعض هذه المعايير إلى الذاتية؛ إذ "يمكن أن يختلف الاستعداد لتقبل نصّ ما من متلق لآخر بحسب خلفياته المعرفيّة والثقافيّة والنفسيّة. فما يراه الواحد نصّا مفيدا يعتبره الآخر كلاما لا معنى له"[3].

كما تجدر الإشارة في هذا الموضع إلى أنّ "هذه المقـــاييس السبعة المذكورة على شهرتها وانتشارها لدى أهل الاختصاص، ليست هي الوحيدة الّتي طورها علماء النصّ، فهناك مقاربات أخرى لتحديد النصّ من خلال مقاييس للنصّية، منها مثلا: مقياس الموضوعاتية (thématicité)"[4]، فلكلّ نصّ مثلما هو معلوم موضوع يعالجه؛ ومن المستحيل أن نتحدث عن نصّ دون موضوع، وهذا ما أكّده البـــاحث "ماكيلداي" Mackeldey حين قال: "إنّ وجود موضوع يعتبر ميزة من ميزات

---

[1] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 66.

[2] ينظر: أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004، ص: 23.

[3] المرجع السابق، ص: 66.

[4] المرجع نفسه، ص: 67.

النـص؛ إذ إنّه لا يوجد نصّ ليس له موضوع"[1]، فالموضوع هو عامل مشترك بين جميع النصوص، بيد أنّ الملاحظ هو عدم إدراج "دي بوجراند" De Beaugrande لمعيار الموضوعاتية ضمن المعايير النصيّة التي أتى بها، وهذا يطرح أكثر من سؤال؟

كما يجب ألا ينسى أنّ "أغلب المقاييس المذكورة لتحديد النصّ تمثل في نفس الوقت مجالات بحث ومنطلقات مختلفة يمكن منها مقاربة دراسة النصّ"[2].

وعليه، فإنّ المستفاد من خلال ما سبق هو أنّ ما أتى به اللّساني "دي يوجواند" De Beaugrande في مجال المعايير النصّية ما هو إلاّ عمل توفيقي حاول الباحث من خلاله أنّ يحل مشكلة النصّية، الّتي تبقى مشكلة صعبة قابلة للبحث والمدارسة الدائمة.

4.1 علاقة لسانيات النصّ بعلوم أخرى

1.4.1 لسانيات الجملة ولسانيات النص:

يرى اللّساني "كلاوس برينكر" Klaus Brinker أنّ اللّسانيّات النصّية ترجع "سواء من الناحية النظرية – المفهومية أو المنهجية إلى حدّ بعيد إلى تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي – التحويلي"[3]، فاللّسانيّات النصّية في نظره ما هي إلاّ تطور واستمرار للسانيات الجملة، حيث يقول في هذا الصدد: "النّظام القاعدي للغة لا يوجه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب، بل بناء النصّ أيضا (تكوين النص)، ويؤسس على أوجه اطراد عامة يفسرها النظام اللّغويّ"[4]، وهكذا يتضح أنّ "كلاوس برينكر" Klaus Brinker من دعاة الاستمرارية والتكاملية بين لسانيات الجملة ولسانيات النصّ.

وأمّا الباحث "الأخضر الصبيحي" فله رأي علم مخالف حيث يقول: "ليست اللّسانيّات النصّية، كما قد يعتقد مكملا للسانيات الجملة، أو توسيعا لمجالها ليشمل مستوى أعلى وبنفس

[1] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 67.

[2] المرجع نفسه، ص: 67.

[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، ص: 30.

[4] كلاوس برينكر: التحليل اللّغوي للنصّ، تر: سعيد حسن بحيري، ص: 30

وسائل الدّراسة والتحليل، وإنّما هي إعادة بناء اللّسانيّات من منطلق جديد موضوعه الوحدة الطبيعيّة للتعامل اللّغوي بين المتكلمين ألا وهي النص"[1]، فالّذي قد يفهم من خلال كلامه، أنّه يقول بالقطيعة؛ بمعنى أنّ اللّسانيّات النصّية هي علم جديد له الحق في دراسة اللّغة، ويكون ذلك من خلال النصّ، أمّا لسانيات الجملة فقد تجاوزها الزمن ولم تعد ذات فائدة كبرى.

يَعتبرُ الباحث "عبد الرحمان بودرع" أنّ اللّسانيّات النصّية تجاوزت لسانيات الجملة حيث قال: "فكان الانتقال إلى "نحو النصّ" أو "لسانيات النصّ" انتقالا أحدث ظهور ظواهر طبيعية غير مصطنعة هي النصّ Text. قد تشتمل وقائع استعمال اللّغة على تركيب سطحي من الكلمات المفردة أو الجمل المفردة، ولكنّها تقع في نصوص؛ أي في أشكال لغويّة ذات معنى قصد بها التواصل وإجراءات الاستعمال، بدلا من التركيز عن الصيغ المجردة من الذهن"[2]؛ إذ تقوم اللّسانيات النصّية بحسبه على مفهوم واقعي يمكن ملاحظته ألا وهو النصّ، عكس لسانيات الجملة الّتي قامت على مفهوم افتراضي مصطنع هو الجملة، وهذا هو أهم فرق بين العلمين.

كما سمح هذا التجاوز بحسب الباحث عبد الرحمان بودرع "بتفاعل مستويات التحليل الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية، الّتي أصبحت تعمل متضافرة لاقتحام فضاء النصّ وبنيته الداخلية"[3]، بحيث أصبح ينظر لهذه المستويات على أساس أنّها متكاملة في البحث اللّساني النصّي؛ لتقصى بذلك النظرة التجزيئيّة لمكونات الظاهرة اللّغويّة الّتي كانت سائدة ما قبل ظهور اللّسانيّات النصّية.

ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من الاختلاف الحاصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النصّ في المنهج، والموضوع، والغايات، والأهداف، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي إمكانية التساند والتطالب بينهما، فالدارس لعلم النصّ لا بدّ من أن يكون له علم ومعرفة بأصناف الكلم، ووظائفها، ودلالاتها، وكيفية

[1] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ ومجال تطبيقه، ص: 59.

[2] عبد الرحمان بودرع، النصّ اللّغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النصّ، ص: 151.

[3] ينظر: عبد الرحمان بودرع: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 4

استعمالها؛ ولا يتأتى له ذلك إلاّ من خلال الإلمام بلسانيات الجملة، وعليه فيكمن اعتبار لسانيات الجملة بمثابة رافد أساسي من روافد لسانيات النصّ.

2.4.1 علم النصّ والخطابة (الريطوريقا):

تحدد الخطابة بأنّها "العلم النظري والتطبيقي لممارسة الكلام في الجمهور أمام مستمعين يساورهم الشك، وبحضور معارض، يسعى الخطيب بخطابه إلى فرض تمثيلاته وصياغاته وإلى توجيه فعل"[1]، فالخطابة مثلما يظهر من خلال هذا التعريف تتطلب خطيبا، وخطابا أو خطبة، وجمهورا مستمعا؛ حيث يحاول الخطيب من خلال خطابه إقناع جماهيره بما يذهب إليه من أفكار ومعتقدات، وقد تكون الخطبة مكتوبة؛ أي عبارة عن نصّ، وقد تكون منطوقة؛ أي عبارة عن كلام شفوي في سياق واقعي حي.

يعتبر النصّ الشيء الرئيسي في اللّسانيات النصّية؛ "إذ إنّه يمثل الموضوع الأساسي والمركزي للسانيات النصّ كما تدلنا على ذلك تسميتها، وأمّا في الريطوريقا التقليدية فنجد ظاهرة النصّ ضمن دراسة المراحل المختلفة لإعداد خطبة وخاصة في مرحلة العبارة (Elocutio) الّتي هي مرحلة التعبير"[2]، وبهذا يتضح أنّ النصّ في ضوء الخطابة ما هو إلاّ مرحلة أو خطوة واحدة من مراحل صناعة الخطبة وتوجه بها للجمهور.

لا بدّ من الإشارة في هذا الموضع، إلى "أنّ التفكير التقليدي الريطوريقي يراعي مراحل إنتاج النصّ، ويهتم بكل من المنتج (الخطيب)، والمتلقي (الجمهور)، ومن ثمّة بالإطار التواصلي، فهو نموذج توجيهي (prescriptif) أكثر منه وصفي، ويقتصر على مجال تواصلي معين، وعلى نوع مخصوص من النصوص"[3]، فالتفكير الخطابي مثلما يتضح من خلال هذا الكلام، هو تفكير توجيهي؛ بمعنى أنّ هناك قواعد وضوابط مسبقة ينبغي على الخطيب عن يتبعها في صناعة خطبته، كما أنّ هناك نوعا

[1] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: حمادي صمود وعبد القادر المهيري، ص: 490.

[2] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 53.

[3] المرجع نفسه، ص: 53.

من النصوص يشتغل عليها هذا النوع من التفكير، بعكس التفكير اللّساني النصّي الّذي هو تفكير وصفي وعلمي، وبعيد تماما عن التوجيه، كما أنّه لا يقتصر على نوع محدد في الدّراسة، بل يشتغل على جميع النصوص بدون استثناء.

إنّ هذه الاختلافات بين المجالين لا تنفي إمكانية التساند والتكامل بينهما؛ إذ العلاقة بينهما علاقة تداخل وتساند، حيث لا بدّ للخطيب أن يكون عالما بطرق إنتاج النصوص وصناعتها، كما لابدّ لعالم لغة النصّ أن يكون عارفا بالخطابة وشؤونها، وما تتركه الخطب في متلقيها.

3.4.1 علم النصّ والأسلوبية:

يرى الباحث الهادي محمد الطرابلسي أنّ "الأسلوبية ممارسة قبل أن تكون علما أو منهجا، أساسها البحث في طرافة الإبداع وتميز النصوص، وطابع الشخصية الأدبية لكل مؤلف مدروس"[1]، فالأسلوبية تهتم بالجمالية والإبداعية والأدبية في النصوص، وكذا بالسمات المميزة الّتي ينماز بها كل أديب أو عمل أدبي عن آخر، حيث يمكن اعتبار الأسلوب "شكلا متميزا للاستعمال اللّغوي على مستوى الجمل والنصّ أيضا"[2]، فلكلّ كاتب أو أديب طريقته وبصمته الخاصة به الّتي تلمس من خلال أعماله وإنتاجاته الأدبية.

تعتبر "الأسلوبية علما سابقا للسانيات النصّ، ذلك أنّها اهتمت باختيار إمكانيات متنوعة لغوية على مستوى الطرق المختلفة للتعبير عن نفس الفكرة، وكما في المقاربة الريطورقية نلاحظ هنا أيضا فصلا منهجيا بين الفكر والتعبير عنه، بين الشكل والمضمون"[3]، فالملاحظ أنّ الأسلوبية فصلت في دراستها للنصوص بين الجانبين التعبيري والفكري، عكس اللّسانيات النصّية الّتي لم تفصل بين الجانبين واهتمت بالنصّ في شموليته، كما أنّها لم تركز على النصوص الأدبية فقط مثلما فعلت الأسلوبية، بل درست جميع النصوص بدون إقصاء.

---

[1] محمد هادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1992، ص: 7.

[2] فان ديك: علم النصّ – مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 168.

[3] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 53- 54.

4.4.1 علم النصّ والبلاغة:

تعد "البلاغة فن، الفن يعني هنا الصنعة، (...) البلاغة منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام. وبصفتها منهجا فإنّها تتميز بمجموعة من القواعد؛ هذه القواعد ليست مرصوفة بطريقة تعسفية، بل لقد ربط بينها من زوايا نظر قائمة على أساس منطقي"[1]، فالمراد بالبلاغة هنا، أنّها مجموعة من القواعد والضوابط المعروفة سلفا، والّتي ينبغي أن يتقيد بها منتج النصّ إذا ما أراد أن يكون نصّه بليغا، وهذا ما يسمّى بالبلاغة المعيارية.

يؤكد اللّسانيّ الهولنديّ "فانديك" van Dijk الفكرة السابقة يقول: "لا تتسم البلاغة الكلاسيكية بأنّها نظرية إلاّ بقدر محدود، أي: بأنّها علم، بل بأنّها وصفية – معيارية على الأرجح، أي: بأنها فن أو مهارة، ومن ثم فإنّ قواعدها هي بالأحرى أشبه بالأحكام بالنظر إلى خطاب أو حديث مثالي"[2]، وهذه صفة شائعة لا طالما وصفت بها البلاغة الكلاسيكية.

إنّ البلاغة الكلاسيكية "تعالج مجموعة من الظواهر وخصائص النصّ/معالجة خاصة، وهي تلك الّتي لها طبيعة مغايرة إلى حد ما باعتبارها متغيرات (بدائل) للاستعمال اللّغوي الّتي أطلق عليها متغيرات (بدائل) أسلوبية"[3]، والّتي قد تسمّى في العرف البلاغي بالتشبيهات، والاستعارات، والكنايات، وغيرها من فنون القول المعروفة، ولم تكن البلاغة تهتم بالنصّ في شموليته؛ بمعنى أنّها نظرت إليه نظرة مجزئة، عكس اللّسانيّات النصّية الحديثة الّتي اهتمت بالنصّ في كليته. إنّ ما يحسب للساني "فان دايك" van Dijk حسب الباحث "عبد الرحمان بودرع" أنّه جعل "علم النصّ يأخذ من البلاغة مفاهيمها وتطبيقاتها، ولكنّه منع أن تنتقل معيارية البلاغة الغربية القديمة إلى علم النص"[4]، إذ كان واعيا بالبلاغة الكلاسيكية ونقائصها.

---

[1] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النصّ، تر: محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1999، ص: 23.

[2] فان ديك: علم النص – مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 186.

[3] المرجع نفسه، ص: 183.

[4] عبد الرحمان بودرع: النصّ الذي نحيا به، ص: 2.

إنّ النظرة الكلاسكية في البلاغة لم تستمر طويلا، حيث ظهرت عدة محاولات تنادي بضرورة تحرر البلاغة من المعيارية، وبذلك "لم يعد الهدف الأول للبلاغة إنتاج النصوص بل تحليلها"[1]؛ حيث أصبحت البلاغة "تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير. وعندما نفكر حسب المفاهيم البلاغية فإننا ننظر، مبدئيا، إلى النصّ من زاوية نظر المستمع/القارئ ونجعله تابعا لمقصدية الأثر"[2]، حيث بعد أن كان يهتم في البلاغة الكلاسيكية بسمات معينة في النصّ، أصبح يهتم في البلاغة المعاصرة بالأثر الّذي يتركه النصّ في المتلقين.

5.4.1 علم النصّ وعلم النفس الإدراكي:

يقول اللّساني الهولندي فان دايك van Dijk : "يعنى علم النفس الإدراكي بإيضاح الأداء الفعلي للنظام اللّغوي المجرد، ومن ثم فسوف توصف من خلال مفاهيم معينة أحوال وعمليات إدراكية معينة؛ كيف يكتسب هذا النّظام اللّغوي وبخاصة القواعد والاستراتيجيات الّتي تطبق حين ينتج مستخدم لغة ما نصّا أو يفهمه"[3]، فعلم النفس الإدراكي بحسب ما يفهم من كلام اللّساني "فان دايك" van Dijk يختص بالنظر بطرق اكتساب اللّغة وانتاجها وفهمها واستيعابها، ومن ثمّة فإنّه يوفر لعالم لغة النصّ معرفة تمكنه من فهم العمليات والإجراءات الّتي يتبعها النّاس في إنتاج النصوص وفهمها، وهذا ما أكّده نفس الباحث حين قال: "بالنسبة لعلم لغة النصّ؛ فإنّه من المهم أن يظفر المرء بإيضاح لكيفية إمكان مستخدم لغة ما أن يقرأ أو أن يسمع منطوقات لغوية معقدة، مثل: النصوص وأن يفهمها، وأن يستخرج معلومات محددة، وأن يخزن هذه المعلومات (على الأقل بصورة جزئية) في الذاكرة وأن يعيد إنتاجها مرة أخرى"[4]، فعَالِمُ لغة النصّ لا غنى له عن علم النفس الإدراكي إذا ما أراد أن يفهم كنه النصّ، فالنصّ فضاء تنعكس فيه كل أحوال الإنسان، الذهنيّة، والنفسيّة، والاجتماعيّة، وحتّى العمليات الإدراكيّة والمعرفيّة.

---

[1] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النصّ، تر: محمد العمري، ص: 23.

[2] المرجع نفسه، ص: 24.

[3] فانديك: علم النص – مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 24.

[4] المرجع نفسه، ص: 24.

6.4.1 علم النصّ وعلم النفس الاجتماعي:

من المعلوم بمكان أنّ النّاس لا يستعملون اللّغة أو النصوص في حياتهم اليومية لتعبير عما يختلج نفوسهم من مشاعر وأفكار فقط، "بل يسعون إلى إيجاد اتصال من خلال تفاعل اجتماعي بوجه خاص، حيث ينبغي أن يؤثر المتحدث في السامع من خلال المنطوق، النصّ على وجه التحديد، لا نريد أن يعرف السامع ما نعرف (نقدم له معلومات)، بل إنّنا نريد بناء على ذلك أن يفعل ما نقول، فنحن نطلب ونأمر ونوصي، وحين نعبر عن ذلك في نصّ فإننا نقيم حدثا اجتماعيا"[1]، فالنصّ لا ينقل أو يصور واقعا معينا فحسب، بل ينقل مضامين وأفعال لها إمكانية التأثير في الواقع أو المجتمع وتغيير سلوكه.

لابدّ من التنبيه في هذا الموضع، إلى أنّ "علم النصّ يسعى إلى إيضاح كيف يتلقى أفراد أو جماعات تلك المضامين ويستوعبونها من خلال أبنية نصّية خاصة، وكيف تؤدي هذه المعلومة إلى بناء الرغبات والقرارات والأفعال، مثل: كيف نغير سلوكنا الشرائي تحت تأثير نصّ دعائي معين"[2]، فعلم النصّ يوفر معرفة مقيدة لعلم النفس الاجتماعي فيما يخص الأبنية النصّية التي لها دور في تغيير الواقع، كما أنّ علم النفس الاجتماعي يوفر هو الأخير لمنتج النصّ معرفة سياقيّة نفسيّة اجتماعيّة تساعده على تفضيل أساليب نصّية وإبلاغيه معينة، واستبعاد أخرى.

يتضح من خلال ما سبق، أنّ العلاقة بين لسانيات النصّ وعلم النفس الاجتماعي هي علاقة تساند وتظافر واستفادة مشتركة، وهذا ما يعزز فكرة أو مبدأ تداخل الاختصاصات.

المبحث الثاني: لسانيات النصّ في المنجز اللّغوي العربي القديم

نسعى في هذا المبحث إلى التركيز على تجليات لسانيات النصّ بمختلف مفاهيمها وأدواتها وآلياتها التحليلية في المنجز اللّغوي العربي القديم، حيث سيتم التركيز على البلاغيين العرب القدامى والمفسرين، وعلماء مناسبات آي القرآن وسوره، باعتبارهم المؤسسين لما يمكن أن يسـمّى

[1] فانديك: علم النص – مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 26

[2] المرجع نفسه، ص: 27.

بلسانيات نصّية عربيــة.

1.2 لسانيات النصّ عند البلاغيين العرب القدامى

تعدّ البلاغة العربية القديمة من أهم العلوم اللّغوية الّتي اهتم فيها بأدوات وآليات تماسك النصوص وانسجامها، وإن لم يذكر ذلك صراحة، فإطلالة يسيرة على أمهات هذا العلم تكشف ذلك وتدلّل عليه، صحيح أنّ الهدف الرئيسيّ للبلاغيين العرب القدامى هو صناعة علم يعرف به كيف يكون الكلام بليغا، ومؤثرا، ومقنعا في نظر متلقيه، إلاّ أنّ هذا الهدف لم يكن الوحيد، وإنّما رافقته غاية ضمنية أخرى هي: كيف يكون النصّ نصّا؟ ناهيك أن يكون بليغا أو غير بليغ، فالتطرق لأدوات ووسائل تماسك النصّ وانسجامه عند البلاغيين العرب القدامى هو ضرورة لا مناص منها؛ لأنّ هذه الأخيرة ذات وظيفتين رئيسيتين الأولى: هي اتّساق النصّ وانسجامه، وهي الّتي سنركز عليها في هذا المطلب، والثانية هي: بلاغته وتأثيريته في متلقيه وقرائه، فالوظيفتين تكملان بعضهما البعض، ولا يمكن التطرق لإحداهما دون الأخرى، فهما وجهان لعملة واحدة، وهذا الّذي يفسّر تناول البلاغيين العرب القدامى بكثرة لأدوات وآليات ترابط النصوص وانسجامها، مقارنة بالعلوم اللّغوية الأخرى، فمثلما قيل : علم النصّ أو لسانيات النصّ هي الوريث الشرعيّ للبلاغة.

تكمن الغاية المتوخاة في هذا المطلب في رصد أهم أدوات وآليات تماسك النصوص وانسجامها عند البلاغيين العرب القدامى، وكذا الكشف عن أهم طروحاتهم النصّية، وذلك للتأكيد على أنّ البلاغيين العرب القدامى قد سبقوا نظراءهم اللّسانيين النصّيين بقرون في مجال النصّ والنصّية.

1.1.2 الفصل والوصل:

يقول "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) موضحا أهمية الوصل والفصل في البلاغة العربيّة: "اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وممّا لا يتأتى لتمام الصواب فيه

إلاّ الأعراب الخلّص، وإلاّ قوم طبعوا على البلاغة"[1]، وأمّا "الخطيب القزويني" (ت739هـ) فقد حاول أن يحددها قال: "الوصل عطف بعض الجمل على البعض، والفصل تركه"[2]، حيث يظهر من خلال كلام "القزويني" (ت739هـ) أنّ الوصل هو ظهور حرف عطف يصل بين جملتين، وأمّا الفصل فهو تركه، وللفصل والوصل قواعد وشروط تحكمهما كما سيأتي تبيانها.

أ) شروط الوصل:

لقد حاول "عبد القاهر الجرجاني" (471هـ) تلخيص أهم شروط الوصل في ضربين اثنين:[3]

-أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، فإذا قلت: مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جرّ بأنّها صفة للنكرة.

-وأمّا الضرب الثاني فهو أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك: (زيد قائم، وعمرو قاعد)، فإننا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى جامع. وذلك أنّا لا نقول: زيد قائم وعمر قاعد، حتّى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتّى يكونا كالنظريين والشريكين؛ بحيث إذا عرف السامع حال الأوّل، عناه أن يعرف حال الثاني.

يتضح من خلال كلام "الجرجاني" (ت471هـ) أنّ الوصل أو العطف (بالواو) بين الجملتين يكون إمّا بسبب إشراك الثانية في الحكم النّحوي للأولى، أو بسبب وجود جامع غير نحوي يتمثل في السببية والشراكة بين الجملتين بحيث يكون لهما نفس الأهمية عند المستمع أو المخاطَب.

ولقد أكّد "الخطيب القزويني" (ت739هـ) هذين الشرطين قال: "فإذا أتت جملة بعد جملة، فالأولى إمّا أن يكون لها محل من الإعراب، أو لا، وعلى الأوّل إن قُصِدَ تشريك الثانية لها في حكمه

---

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، القاهرة – مطبعة المدني، مصر، ط3، 1992، ص: 222.

[2] القزويني، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932، ص:174-175.

[3] المصدر السابق، ص: 223-224.

عطفت عليها كالمفرد، فشرط كونه مقبولا بالواو ونحوه أن يكون بينهما جهة جامعة، نحو زيد يكتب ويشعر، أو يعطي ويمنع، (...) وإلاّ فصلت عنها"[1]، بحيث إن انعدم الشرطين السابقين كان الفصل متعينا.

كما ذكر أيضا "الخطيب القزويني" (ت739هـ) شرطين آخرين متعلقين بالإبهام والخبر والإنشاء حيث قال: "وأمّا الوصل لدفع الإبهام فكقولهم: لا وأيدك الله. وأمّا للتوسط فإذا اتفقتا خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط لجامع"[2]؛ إذ لا بدّ من الوصل إن كنا بإزاء دفع الإبهام، وكذا إن كنا بإزاء جملتين متفقتين خبرا وإنشاء.

ت)شروط الفصل:

للفصل شروط توجبه، فمتى توفرت هذه الشروط وجب الفصل، وإلاّ عدّ الكلام غير بليغ، بل قد يؤثر عدم احترام هذه الشروط على المعنى، فيفسد ويخرج إلى وجوه أخرى لم يردها المتكلم، وفيما يأتي بيان لأهم هذه الشروط:

- **الصفة والتأكيد:**

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) موضحا هذا الشرط: "كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالّتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئا سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد. فإذا قلت (جاءني زيد الظريف)، و(جاءني القوم كلهم)، لم يكن (الظريف) و(كلهم) غير زيد وغير القوم"[3]، فالصفة والتأكيد مانعان للوصل موجبان للفصل.

[1] القزويني، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ص:174-175.

[2] المصدر نفسه، ص: 190.

[3] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، ص: 227.

- **الحكاية والرواية:**

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): "ومما هو أصل في هذا الباب أنّك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها"[1]، حيث يمثل له بالآية القرآنية (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونْ) سورة البقرة الآية (15).

ولقد أضاف "الجرجاني" (ت471هـ) ضمن نفس السياق قال: "والظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنْ) الآية (14)، وذلك أنّه ليس بأجنبي منه، (...) ثم تجده بأنّه قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر أوجب ألا يعطف، وهو أنّ قوله: (إنّما نحن مستهزؤن)، حكاية عنهم أنّهم قالوا، وليس بخبر من الله تعالى"[2]؛ لذلك ينبغي التمييز جيدا بين الحكاية والخبر لتفادي الوقوع في الزلل.

-الخبر لا يعطف على الإنشاء: كما نبّه "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) لمسألة أخرى قال: "على أنّ في هذا أمرا آخر، وهو أن قوله: (أنؤمن) استفهام، لا يعطف الخبر على الاستفهام"[3]؛ إذ في ذلك إشارة واضحة منه إلى أنّ الخبر لا يعطف على الإنشاء، والعكس صحيح.

- **السؤال المقدر:**

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) موضحا هذا الشرط: "وإذا استقريت وجدت هذا الّذي ذكرت لك، من تنزيلهم الكلام إذا جاء بعقب ما يقتضي سؤالا، منزلته إذا صُرّحَ بذلك السؤال كثيرا، فمن لطيف ذلك قوله:

زَعَمَ العَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُواْ، وَلَكِنْ غَمْرَتِي لاَ تَنْتَهِي

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، ص:231.

[2] المصدر نفسه، ص:231-232.

[3] المصدر نفسه، ص:233.

لما حكى عن العواذل أنّهم قالوا: (هو في غمرة)، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك، وما جوابك عنه؟، أخرج الكلام مخرجه إذا ذلك قد قيل له، وصار كأنّه قال: أقول: صدقوا أنا كما قالوا، ولكن لا مطمع لهم في فلاحي"[1].

ولقد ذهب "الخطيب القزويني" نفس مذهب "الجرجاني" عندما تحدث عن حالات وشروط الفصل حيث قال: "أمّا كمال الانقطاع فلاختلافهما خبرا وإنشاء لفظ ومعنى (...) أو معنى فقط، نحو: مات فلان رحمه الله، أو لأنّه لا جامع بينهما كما سيأتي. وأمّا كمال الاتصال فلكون الثانية مؤكدة للأولى لدفع توَهُّمِ تَجَوُزٍ أو غلط، نحو: لا ريب فيه"[2]، كما ذكر أيضا شرط السؤال المقدر إذ قال: "وأمّا كونها كالمتصلة بها فلكونها جوابا لسؤال اقتضته الأولى، فتنزل منزلته فتفصل عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال. (...) ويسمّى الفصل لذلك استئنافا"[3]، فالسؤال المقدّر مقتض للفصل موجب إيّاه؛ لأنّ الخبر لا يعطف على الإنشاء، والعكس كذلك.

ت) أنواع العطف بالواو بين الجملتين:

ينقسم العطف بين الجمل إلى ثلاثة أقسام هي:

- **عطف جملة على جملة:** وهو نموذج العطف العادي المعروف الّذي تطرقنا إلى أحواله سابقا، حيث يقع بين جملتين، مثاله: محمد مجتهد وخالد عالم.
- **عطف جملة على جملة بينهما جملة أو جملتان:**

لقد وضّح "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) هذا القسم قال:[4] اعلم أنّه مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنّه قد يأتي بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينهما وبين هذه الّتي تعطف جملة أو جملتان، مثال ذلك قول المتنبي:

---

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، ص:235-236.

[2] القزويني، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ص:179-180.

[3] المصدر نفسه، ص: 186.

[4] المصدر السابق، ص:244.

تَوَّلَوْ بَغْتَةً، فَكَأَنَّ بَيْنَا تَهَيَبَنِي، فَفَا جَأَنِي اغْتِيَالاَ

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمْ ذَمِيلاً وَسَيْرُ الدَمْعِ إِثْرُهُمْ انْهِمَالاً

قوله (**فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمْ**)، معطوفة على (**تولوا بَغْتَةً**)، دون ما يليه من قوله (ففاجأني)؛ لأنّ إن عطفناه عن هذا الّذي يليه أفسدنا المعنى؛ لأنّه غير مرتبط به، وإنّما هو مرتبط بما يليه، وهذا كثير في الشعر وغيره من الأجناس الأدبية واللّغويّة.

- **عطف مجموعة جمل على أخرى:**

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عن هذا القسم: "فأمر العطف إذن أن تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضا على بعض، ثمّ تعطف مجموع هذه على تلك"[1]، وقد مثلّ له بالمثال السابق قال: "وها هنا شيء آخر دقيق، وهو أنّك إذا نظرت إلى قوله: (**فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمْ ذَمِيلاً**) وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطا آخره بأوّله"[2]؛ إذ مسّ العطف البيت الشعري ككل.

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ البلاغيين العرب القدامى كانوا على وعي بالأدوات الّتي تربط بين جمل النصّ الواحد، وخصوصا أدوات العطف؛ إذ شرحوا ذلك جيدا، وبينوا القواعد والشروط الّتي تحكم آلية الربط عن طريق حرف العطف (الواو)، وهذا مما يعكس دقة ملاحظاتهم وفكرهم اللّغوي النصّي، وكذا أسبقيتهم في الدّراسات اللّسانيّة النصّية، وإن لم يسمّوها بتسميتها الّتي هي عليها اليوم، فمثلما قيل: إنّ غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم.

2.1.2 مفهوم الحذف عند العسكري:

يحدد أبو هلال العسكري (ت395هـ) الحذف يقول: "فحذف فضول الكلام هو أن يسقط

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، ص: 245.

[2] المصدر نفسه، ص: 245.

من الكلام ما يكون الكلام مع إسقاطه تاما غير منقوص، ولا يكون في زيادته فائدة"[1]، وأمّا ابن بناء المركشي العددي فقد حدده قال: "الحذف، وهو أن يقتصر على عمدة الكلام ويحذف منه ما هو فضـــلة أو كالفضلة لدلالة السياق عليه، كقوله تعالى: (كلا سوف تعلمون)، فالواقع عليه العلم متروك، كأنّه قال: عاقبة آمركم"[2]، فالواضح من خلال التعريفين السابقين أنّ الحذف يقع في فضول الكلام، بمعنى في الأشياء الزائدة؛ ويكون ذلك إمّا لعدم فائدتها بالنسبة للمخاطَب، أو لدلالة السياق عليها.

أ) وجوه الحذف عند العسكري:

لقد حاول "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) تلخيص معظم حالات الحذف الّتي تقع في الكلام حيث أجملها في النقاط الآتية:[3]

- تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له، كقوله تعالى (وَسْأَلِ القَرْيَةَ) الآية (82) سورة يوسف أي أهلها.
- أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ويضمر للآخر فعله، وهو قوله تعالى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ) الآية (71) سورة يونس، معناه وادعوا شركاءكم.
- أن يأتي الكلام على أنّ له جوابا فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطَب، كقوله عز وجل: (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) الآية (20) سورة النور، أراد لعذبكم.
- حذف الكلمة والكلمتين، كقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الآية (23) سورة الإسراء، أي ووصى بالوالدين إحسانا.

---

[1] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر، تح: على محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، مصر، ط2، 1971، ص: 38.

[2] ابن بناء، المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، تح: رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، دار البيضاء، المغرب، د ط، 1985، ص: 146.

[3] ينظر: المصدر السابق، ص:.190-189-188-187

- القسم بلا جواب كقوله تعالى (ق وَالقُرآنِ المجِيدِ بَلْ عَجِبُواْ) الآية (1) و (2) سورة ق، معناه والله أعلم (ق وَالقُرْآنِ المجِيدِ لَتُبْعَثُنَّ).
- ومن الحذف إسقاط (لا) من الكلام في قوله تعالى (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّواْ) الآية (176) سورة النساء؛ أي لأنّ لا تضلوا.
- ومن الحذف أن تضمر غير مذكور كقوله تعالى (حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ) الآية (32) سورة ص، يعني الشمس بدأت في المغيب.

يلاحظ من خلال جملة هذه العناصر أنّ "أبا هلال العسكري" (704هـ) كان أكثر تفصيلا في ذكر حالات الحذف ووجوهه، عكس اللّسانيين "هاليداي" و"رقية حسن" اللّذين اكتفيا فقط بذكر أنواع ثلاثة عامة للحذف هي: حذف الفعل داخل المركب الفعلي؛ وحذف الاسم داخل المركب الاسمي؛ والحذف الّذي يقع داخل شبه الجملة؛ كما انتبه أيضا "العسكري" لمسألة حذف الحرف في الجملة، وهي الحالة الّتي لم يشر إليها "هاليداي" و"رقية حسن"، وهذا مما يدل على أنّ البلاغيين القدامى كانوا على وعي تام بأداة الحذف كآلية تقع في الكلام سواء كان منطوقا أو مكتوبا، حيث وصفوها وحددوا أهم وجوهها؛ ليتضح بذلك سبقهم في الدّراسات اللّسانيّة النصّية والخطابية عموما.

3.1.2 التكرير عند السجلماسي:

يحدد السجلماسيّ (704هـ) التكرير يقول: "هو إعادة اللّفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعدا"[1]، يتضح من خلال تعريف "السجلماسي" (704هـ) للتكرير أنّه يقسمه إلى نوعين رئيسيين: أحدهما يكون بتكرير اللّفظ الواحد مرتين فصاعدا، والثاني يكون بتكرير المعنى الواحد مرتين فصاعدا؛ ليُعلم بذلك أنّ التكرير عنده إمّا معنوي أو لفظي.

[1] السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري: المنزع البديع في تجنيس الأساليب، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980، ص :476.

ولقد قسّم السجلماسي التكرير اللّفظي إلى نوعين اثنين هما:[1]

أ) **الاتحاد:** والمراد به إعادة اللّفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق مرتين فصاعدا؛ إذ قسمه بدوره إلى قسمين فرعيين هما:

- البناء: وهو إعادة اللّفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق المتحدّ المعنى كذلك مرتين فصاعدا خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول.
- التجنيس: وهو إعادة اللّفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق لمعنيين متباينين مرتين فصاعدا لمجرّد الإعراب لا لعلَّة.

ب) **المقاربة:** والمقصود به إعادة اللّفظ الواحد بالنوع مرتين فصاعدا، وقد قسمه إلي قسمين فرعيين هما:

- التصريف: وهو إعادة اللّفظ الواحد بنوع المادة فقط في القوليين ببنائين مختلفي الصورتين مرتين فصاعدا.
- المعادلة: وهي إعادة اللّفظ الواحد بنوع الصور فقط في القول بمادتين مختلفتي البناء مرتين فصاعدا.

وأمّا التكرير المعنوي والّذي يسميه مناسبة أيضا فيقع عنده في "تركيب القول من جزأين فصاعدا، كل جزء منهما مضاف إلى الآخر ومنسوب إليه بجهة ما من جهات الإضافة، ونحو ما من أنحاء النّسبة"[2]؛ ليتضح بذلك أنّ التكرير المعنوي عنده ليس هو تكرير نفس المعنى للفظين في موضعين مختلفين، وإنّما هو علاقات الإضافة والنّسبة الّتي تجمع بين الألفاظ.

ولقد قسمّ "السجلماسي" (704هـ) المناسبة بين أجزاء القول إلى أربعة أنواع هي:[3]

- إيراد الملائم: وهو أن يأتي بالشيء وشبيهه مثل: الشمس والقمر، والسرج واللجام.

---

[1] ينظر: السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري: المنزع البديع في تجنيس الأساليب، ص:477-478-482-498-499-508.

[2] المصدر نفسه، ص: 518.

[3] المصدر نفسه، ص:518-519.

- إيراد النقيض: وهو أن يأتي بالأضداد مثل: الليل والنهار، والصبح والمساء.
- الانجرار: وهو الإتيان بالشيء وما يستعمل فيه مثل: القوس والسهم، والفرس واللّجام.
- التناسب: وهو الإتيان بالأشياء المتناسبة، مثل: القلب والملك، فنسبة القلب في البدن هي نسبة الملك في المدينة.

فكل هذه الأنواع يعتبرها "السجلماسي" (704هـ) صورا وأشكالا من أشكال المناسبة أو التكرير المعنوي الّذي يقع في الكلام.

4.1.2 التكرير عند ابن بناء المراكشي:

لم يحد ابن بناء المراكشي (721هـ) كثيرا عن نظيره "السجلماسي" (704هـ) عندما حاول تحديد مفهوم التكرير قال: "وأمّا التكرير فمنه تكرير في اللّفظ والمعنى واحد، ويقال له المواطأة، ومنه تكرير في اللفظ والمعنى مختلف، ويقال له المشاركة"[1]، فمن الواضح عنده أنّه يقسم التكرير إلى نوعين رئيسيين، يكون الأوّل في إعادة اللّفظ والمعنى واحد، ويكون الثاني في إعادة اللّفظ والمعنى مختلف.

يرى "ابن بناء المراكشي" (721هـ) أنّ المحمود من أقسام المشاركة هو التجنيس وهو بحسبه قسم من أقسام البلاغة؛ إذ ينقسم عنده إلى عدة أقسام من أهمها:[2]

- المطابقة: وهو ما يكون فيه اللّفظ الثاني هو الأوّل بعينه، كقوله:

واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل مستأنس عنتريس

فالهوجل الأوّل الأرض، والثاني الناقة.

- تجنيس الكناية: وهو الّذي يقوم فيه اللّفظ الأوّل مقام الثاني، مثل قول الشاعر:

وهاجرة قطعت لوصل أخرى، فالهاجرة الأولى القائلة، والثانية: امرأة.

[1] ابن بناء المراكشي: الروض المريع في صناعة البديع، ص:157.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 163-164-165-166- 167- 168-169.

- تجنيس المحاذاة: كقول الله تعالى (فمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) الآية (194) سورة البقرة، وهذا النوع كله يقصد به المقابلة لذلك استعير للمعنى (الثاني) اللّفظ من المعنى الأول.
- تجنيس المضارعة: وهو أن يكون بين اللّفظين مقاربة في السمع أو في الخط، فقد يكون بموافقة الحروف في المخارج، كقوله تعالى: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) الآية (26) سورة الأنعام.
- تجنيس السمع: ويكون بتقارب الحروف في المخارج، كقوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) الآية (22) سورة القيامة.
- تجنيس التصحيف: وهو الّذي يكون في صورة الخط كقوله تعالى (وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) الآية (104) سورة الكهف.
- تجنيس التصريف والاشتقاق: ويكون بالاتفاق في المادة مع اختلاف البناء، كقوله تعالى: (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) الآية (37) سور النور، فتتقلب فعل، والقلوب اسم، وهما معا مشتقان من مادة واحدة.
- الترصيع: وهو أن يتفق اللّفظان في الوزن فيكونان مسجوعين، وفي الحرف الّذي يختمان به، وفي مناسبة الوضع، كقوله تعالى: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) الآية (22) سورة النمل.
- الموازنة: وهو أن يتفق اللّفظان في الوزن، ويسمّى في اللّغة سجعا، وفي المناسبة الوضع خاصة كقوله تعالى: (فَاصْبِرِ الصَّبْرَ الجَمِيلَ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبا) الآية (6) سورة المعارج.

كان هذا ذكرا مبسطا لأبرز أنواع التكرير عند "ابن بناء المراكشي" (721هـ) ؛ حيث يظهر بذلك اهتمامه الكبير بموضوع التكرير، خصوصا ما يسمّى عنده بالتجنيس؛ إذ تطرق لأهم أنواعه وصوره وأشكاله الّتي يأتي عليها؛ لأنّه يعتبره مبحثا أساسيا من مباحث البلاغة.

بناء على ما سبق، ومن خلال عرض مفهوم التكرير وأنواعه عند كل من "السجلماسي" و"ابن بناء المراكشي"، وبعقد مقارنة بسيطة بين ما أتى به علماء لسانيات النصّ الغربيون خصوصا "هاليداي" و"رقية حسن"، وما جاء به البلاغيون العرب والمسلمون خصوصا "السجلماسي" و"ابن

بناء المراكشي" في هذا المجال، يظهر مدى عمق البلاغيين العرب في دراستهم لظاهرة التكرير؛ إذ ذكروا العديد من أنواعه، وتقسيماته، وتفريعاته، وكذا صوره، بخلاف "هاليدي" و"رقية حسن" اللّذين اكتفيا فقط بذكر أنواع محددة منه؛ وهذا مما يدل على أنّ البلاغيين العرب والمسلمين القدامى كانوا جهابذة في الدراسات النصّية والبلاغية؛ إذ لا ينبغي الاستهانة أبدا بما قدموه في هذا الباب.

5.1.2 الطروحات النصّية عند حازم القرطاجني:

لعلّ من أهم الطروحات النصّية في البلاغة والنقد العربي القديمين ما أتى به البلاغيّ والناقد "حازم القرطاجنيّ" في كتابه الشهير "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"؛ حيث تطرق فيه لأهم المبادئ والقوانين والقواعد الّتي تحكم القصيدة أو النصّ الشعري العربيّ ذا الجودة العالية، سواء على مستوى المضمون، أو على مستوى الأسلوب؛ إذ يمكن وصف ما جاء به "حازم" في هذا الباب بتنظيرات في مجال النصّ والنصّية؛ حيث قدمّ شبكة من المفاهيم والمصطلحات الّتي تعبّر عن مفهومه للنصّ والنصّية، مثل: الفصول، والغرض والعبارة، والاتصال والانفصال، وكذا النظم والأسلوب، حيث سنتعرف عليها كلّ بحسب موضعه.

يقول حازم القرطاجني (684هـ): "اعلم أنّ الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظور نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤتلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ"[1]، فالقرطاجني يشبّه في هذا الموضع الأبيات والفصول الشعرية بالحروف الّتي تؤلف الكلمات، والألفاظ الّتي تؤلف العبارات، وفي ذلك إشارة واضحة منه لمفهوم بنيوية القصيدة أو النصّ الشعري إذ قال: "وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص: 287

يجب"[1]، ففكرة بنيوية النصّ أو القصيدة الشعرية حاضرة في ذهن "حازم القرطاجنيّ" (684هـ)؛ إذ ستظهر بشكلي جلي في القادم من جهوده وإسهاماته النصّية.

أ) قوانين اتصال الفصول وانفصالها:

قبل التطرق للقوانين الّتي تحكم الفصول عند "حازم القرطاجني" لا بدّ من التعرف على مفهوم الفصول لديه، حيث قال الباحث "محمد العبد" إنّ "الفصول عنده: هي ما نتعارفه بالمقاطع الّتي يستقل كل مقطع منها في القصيدة العربية المركبة بغرض"[2]، وأمّا الباحث محمد خطابي فرأى أنّها "بيتان، في غالب الأحيان، إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين"[3]؛ إذ الواضح من خلال تعريف الباحثين أنّ مفهوم الفصل عند "حازم القرطاجني" يقوم على وحدة المعنى، أو الغرض، سواء جاء هذا الفصل في بيت شعري واحد، أو بيتين، أو أربعة أبيات، فالمهم هو أن يعبر الفصل عن معنا وغرض واحد؛ بحيث يمكن تمييزه عن غيره من الفصول المجاورة له.

وقد حاول "حازم القرطاجني" (684هـ) تحديد القوانيين الّتي تحكم فصول القصيدة الشعرية قال: والكلام فيما يرجع إلى ذوات الفصول، وإلى ما يجب في وضعها وترتيب بعضها من بعض يشتمل على أربعة قوانين:[4]

القانون الأول: في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها.

القانون الثاني: في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها البعض.

القانون الثالث: في ترتيب ما يقع في الفصول.

القانون الرابع: فيما يجب أن يقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وتختتم به.

فالملاحظ أنّ هذه القوانين بحسب الناقد "حازم" تختص بمواد الفصول الشعرية ومضامينها، وطريقة

---

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 287

[2] محمد العبد: النصّ والخطاب والإجراء، الأكادمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص:146.

[3] محمد خطابي: لسانيات النصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 150.

[4] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 288.

نظمها، وكذا العلاقات المتبادلة بينها، مما يسمح بإدراكها كمنظومة عامة تحكم القصيدة الشعرية العربية القديمة.

يعلق "القرطاجني" (684هـ) على القانون الأوّل يقول: "فأمّا الأوّل في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها، فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات، حسنة الاطّراد، غير متخاذلة النسج، غير متميز بعضها عن بعض التميز الّذي يجعل كل بيت كأنّه منحاز بنفسه، لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية، أو معنوية، يتنزل بها منزلة الصدر من العجز، أو العجز من الصدر، والقصائد الّتي نسجلها على هذا مما تستطاب"[1]؛ إذ الشيء الأهم حسب هذا القانون هو تناسب المسموعات والمفهومات، ووحدة النسج، مما يسمح بإدراك الفصول كبنية لفظية ومعنوية واحدة، وفي ذلك إشارة واضحة من "حازم القرطاجني" إلى مفهومي الاتّساق والانسجام، اللّذين تقوم عليهما النصّية حسب علماء النصّ الغربيين؛ إذ يقابل البنية اللفظية عند "حازم" مفهوم الاتّساق النصيّ، ويقابل البنية المعنوية عنده مفهوم الانسجام النصيّ بحسب اصطلاح علماء النصّ المعاصرين، وهذا مما يدلّ على أنّ اللّغويين العرب القدامى قد عرفوا جيدا مفهوم النصّ والنصّية.

ولقد حاول "حازم القرطاجني" توضيح القانون الثالث قال: "فأمّا القانون الثالث في تأليف بعض البيوت إلى بعض، فيجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله (...)، ويجب أن يردف البيت الأوّل من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل، مثل: أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل، أو بعضه مقابلا لبعضه، أو يكون مقتضى له مثل: أن يكون مسببا عنه، أو تفسيرا له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر"[2]، يفهم من خلال تعليق "حازم" في هذا الموضع، أنّ القانون الثالث يختص حسبه بالعلاقات الّتي تحكم توارد الفصول مع بعضها البعض؛ إذ ذكر "حازم" أمثلة حية على هذه العلاقات، مثل: علاقة التقابل، والسببية، والاقتضاء، والتفسير، وكذا المحاكاة؛ إذ تعود معظم هذه العلاقات للطبيعة الدلالية للنصّ حسب علماء لسانيات النصّ الغربيين.

---

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 288.

[2] المصدر نفسه، ص: 289-290.

يواصل "حازم" التعليق على القوانيين السابقة يقول: فأمآ القانون الرابع في وصل الفصول ببعض فالتأليف في ذلك على أربعة:[1]

- ضرب متصل العبارة والغرض
- ضرب متصل العبارة دون الغرض
- ضرب متصل الغرض دون العبارة
- ضرب منفصل الغرض والعبارة

يستشف من القانون الرابع الّذي جاء به "حازم" انتباهه لعلاقات الاتصال والانفصال الّتي تحكم أبيات وفصول القصيدة الشعرية العربية؛ حيث تتمحور هاتان العلاقتان حول الغرض والعبارة، فتارة يكونان متصلين وتارة يكونان منفصلين؛ إذ قرر "حازم القرطاجني" أن القصيدة الّتي تكون فصولها متصلة الغرض، والعبارة، هي الأحسن على الإطلاق؛ لأنّها تشكل وحدة واحدة، حيث جعل هذا الضرب في مقدمة تصنيفه، وأمّا القصيدة الّتي تكون فصولها منفصلة الغرض والعبارة معا، فهي الأسوأ على الإطلاق؛ إذ جعل هذا الضرب الأخير في تقسيمه حيث قال عنه: "وأما الضرب الرابع وهو الّذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له، (...)، فإنّ النظم الّذي بهذه الصفة متشتت من كل وجه، وإنّما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من النسيب إلى المدح"[2].

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ "حازما القرطاجني" كان على وعي تام بمسألة النصّية وخصائصها، وما يرجع فيها للجانب اللّغوي والدلالي، وإن لم يذكرها صراحة؛ حيث نصّ في العديد من المواضع على أنّ القصائد الشعرية العربية القديمة ذات الجودة الرفيعة، والمقبولية العالية عند النقاد والبلاغيين، هي ما كانت متماسكة الفصول، متصلة العبارات والأغراض، مما يجعل منها كتلة واحدة موحدة.

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:290.

[2] المصدر نفسه، ص: 291.

ب) الاتّساق والانسجام عند القرطاجني:

يعدّ "حازم القرطاجنيّ" من البلاغيين والنقاد القلائل الّذين ذكروا مفهومي الاتّساق والانسجام النصيّ بشكل واضح؛ وإن وصفهما بتسمية أو اصطلاح آخر يخالف مهما معروفين به في الدرس اللّساني النصيّ المعاصر، يقول "حازم" في هذا الصدد: "النظم في الألفاظ الّذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها البعض وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب"[1]، فالنظم عنده يختص بمسائل الربط اللّغوي بين الجمل والعبارات المكونة للنصّ، وأمّا الأسلوب فقد قال عنه: "ولما كان الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ، وجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد، والتناسب، والتلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد، ما يلاحظ في النّظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"[2]؛ إذ يرى أن الأسلوب يختص بوظيفة التماسك المعنوي والانتقال من معنى أو مقصد إلى آخر، والشروط الّتي تحكم ذلك.

يختم "حازم" كلامه السابق بالقول صراحة إنّ "الأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللّفظية"[3]، وهذا الّذي يرادف تماما مفهومي الاتّساق والانسجام النصّي عند علماء لسانيات النصّ المعاصرين، فالأسلوب عند حازم هو الانسجام النصيّ، والنظم عنده هو الاتّساق النصيّ؛ ليتأكد بذلك مرة أخرى أنّ البلاغيين والنقاد العرب القدامى قد عرفوا جيدا هذين المفهومين اللّذين تقوم عليهما اللسانيات النصّية، مما يعزز مقولة أسبقية اللّغويين العرب والمسلمين في مجال الدّراسات النصّية مقارنة بنظرائهم الغربيين.

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص: 363.

[2] المصدر نفسه، ص: 364.

[3] المصدر نفسه، ص: 364.

2.2 لسانيات النصّ عند المفسرين

نهدف في هذا المبحث إلى تناول أهم مفاهيم الاتّساق النصّي الّتي تطرق إليها المفسّرون أثناء تفسيرهم للقرآن العظيم، فالنصّ القرآني مثلما هو معلوم يشكل وحدة واحدة متماسكة، تكمل بعضها البعض، ويفسّر بعضها البعض الآخر، ومن ثمّة فخاصية الاتّساق حاضرة فيه؛ وهذا ما أكدّه المفسّرون عندما ذكروا تقريبا معظم مظاهره في تفاسيرهم، وإن لم يستعملوا نفس المصطلح، فمثلما قيل: إنّ غياب المصطلح لا يعني غياب المفهوم.

1.2.2 أسماء الإشارة:

جاء في تفسير قوله تعالى: (أَلَرَ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمْ) الآية (1) سورة يونس، عند الزجاج (ت311هـ) قوله "أي الآيات الّتي جرى ذكرها هي آيات الكتاب الحكيم"[1]؛ بمعنى أنّ اسم الإشارة (تلك) يعود على الآيات الّتي تمّ ذكرها، وأمّا القرطبي (ت671هـ) فقد أورد في تفسيرها قولين اثنين حيث قال: "قال مجاهد وقتادة: أراد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة؛ فإنّ (تلك) إشارة إلى غائب مؤنث. وقيل: تلك بمعنى هذه؛ أي هذه آيات الكتاب الحكيم"[2]، فإن عاد اسم الإشارة (تلك) على التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة فنحن بإزاء إحالة نصية خارجية، وأمّا إن أوريد به (هذه) فإننا سنكون بإزاء إحالة نصّية بعدية.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيكُمُ المِيتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَبْعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) الآية (3) سورة المائدة. في تفسير الزمخشري (ت538هـ) قال: "(ذَلِكُمْ فِسْقٌ) الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرّم عليهم؛ لأنّ المعنى: حرّم عليكم تناول

[1] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجرير عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988، ج 3، ص: 5.

[2] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي: الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، ط2،1964، ج8، ص:305.

الميتة وكذا وكذا"[1]؛ أي أنّ اسم الإشارة (ذلكم) في الآية الكريمة حسب الزمخشري (ت538هـ) يعود إمّا على (تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ)، أو على تناول ما حرّم الله، وسواء أعاد على الأولى أم الثانية، فإنّ الإحالة في هذه الآية تمت بشكل قبلي.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الْمُبِينِ) الآية (2) سورة يوسف عند الزمخشري (ت538هـ) قال: "(تلك) إشارة إلى آيات السورة و(الكتاب المبين) السورة أي: تلك الآيات الّتي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم"[2]، فالظاهر من خلال كلام الزمخشري أنّ اسم الإشارة (تلك) يعود على الآيات الّتي سيأتي بيانها بعد هذه الآية. كما جاء في تفسير نفس الآية عند الماتردي قال: "(ذكر تلك، وهي كلمة إشارة إلى شيء سبق ذكره، ولم يتقدم فيه ذكر شيء يشار إليه، وذكر آيات- أيضا- وليس هنالك ذكر آيات أو شيء يكون آية في الظاهر، لكنّه يشبه أن يكون قوله: (تلك) بمعنى هذه آيات، ويجوز استعمال تلك مكان هذه، على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا"[3].

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءاتَيْنَهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) الآية (83) سورة الأنعام عند الزمخشري قال: "(وتلك) إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ) إلى قوله (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ومعنى (أتيناها) أرشدناه إليها ووفقناه لها"[4]، فاسم الإشارة (تلك) في الآية يعود على جميع ما ذكر سابقا إلى غاية قوله تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ)، وهذه هنا إحالة قبلية جمعية، بمعنى تعود على مجموع، لا على شيء مفرد.

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل محمود شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ج6، ص:278.

[2] المصدر نفسه، ج12، ص: 502.

[3] الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج 6، ص: 204.

[4] المصدر السابق، ج 7، ص: 353.

ولقد جاء في تفسير الآية الكريمة (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) سورة البقرة الآية (253) عند الشيخ طاهر بن عاشور قال: "لما انبأ باختبار الرسل إبراهيم وموسى وعيسى وما عرض لهم مع أقوامهم وختم ذلك بقوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) . جمع ذلك كله في قوله (تلك الرسل) لفتا إلى العبر التي في خلال ذلك كله"[1]، فاسم الإشارة في هذا الموضع يعود على الرسل وقصصهم مع أقوامهم، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ترابط آي القرآن مع بعضها البعض؛ إذ ينبغي على القارئ إذا ما أراد أن يعرف المقصود بـ (تلك) في هذه الآية أن يرجع إلى الآيات الّتي وردت قبلها، والّتي ذكر فيها حال سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى مع أقوامهم.

2.2.2 الضمائر:

جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) الآية (61) سورة الأنعام. أنّ قوله تعالى: "(وهو القاهر فوق عباده) يعني فوقية المكانة والرتبة لا فوقية المكان والجهة، على ما تقدم بيانه أوّل السورة. (وَيُرْسِلُ عَلَيَكُمْ حَفَظَة) أي من الملائكة"[2]، فمن الواضح إذن، أنّ الضمير (هو) يعود على الله جلّ شأنه وتبارك سلطانه، فهو وحده المتصرف في شؤون عباده العالم بما ينفعهم ويضرهم، وكذا المناسب لأحوالهم.

كما جاء في تفسير قوله تعالى (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) الآية (24) سورة مريم، عند ابن وهب (197هـ) قوله: "الماء الّذي كان تحتها"[3]، بمعنى تحت مريم عليها السلام، فالظاهر أنّ الضمير في كلمة (تحتها) يعود عليها بشكل قبلي؛ حيث ذكر اسمها بشكل صريح في الآية رقم (16) من

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984، ج 3، ص: 7.

[2] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي: الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص: 6.

[3] ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن مسلم المصري: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تح: ميكولش موارني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج 1، ص: 20.

نفس السورة قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)، كما أنّ السورة كاملة سميت باسمها.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (يَسْئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) الآية (4) سورة المائدة عند الزمخشري (538هـ) قال: "فإن قلت: إلام رجع الضمير في قوله: (واذكروا اسم الله عليه)؟ قلت: إمّا أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح، أي سموا عليه عند إرساله"[1]، وسواء أعاد الضمير في كلمة (عليه) على (ما أمسكن)، أو على (الجوارح)، فإننا في هذا الموضع بإزاء إحالة قبلية عاد فيها الضمير على أشياء ذكرت قبله.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) الآية (43) سورة آل عمران، عند التستري (ت283هـ) قال: "(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أي لله فصلي، وإياه بالإخلاص فاعبدي، وإليه بالدعاء فاقنتي وتضرعي"[2]، فهذه هنا إحالة داخلية قبلية؛ لأنّ الضمير في كلمة (رَبِّكِ) يعود قبليا على مريم عليها السلام.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) عند الرازي (ت604هـ) قال: "الضمير في قوله: من مثله إلى ماذا يعود وفيه وجهان: أحدهما: أنّه عائد إلى (ما) في قوله: (مما نزلنا على عبدنا)؛ أي فأتوا بسورة مما هو صفته في الفصاحة وحسن النظم، والثاني إنّه عائد إلى (عبدنا)؛ أي فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا أميّا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء"[3]، وسواء أعاد على الأولى، أم الثانية، فإننا بإزاء إحالة نصّية قبلية داخلية.

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، ج6، ص: 279.

[2] التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع : تفسير التستري، جمع: أبو محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423، ص: 48.

[3] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، ج:2، ص: 349.

ولقد جاء في تفسير الآية الكريمة الآتية: (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) الآية (253) سورة البقرة، عند المفسر "الطاهر ابن عاشور" أنّه "يجوز أن يكون الضمير المضاف إليه في قوله (مِنْ بَعْدِهِمْ) مراد به جملة الرسل"[1]؛ بمعنى أنّ الضمير في قوله (مِنْ بَعْدِهِمْ) يعود قَبْلِيّا على كلمة (الرسل) الّتي وردت في الآية السابقة، وفي ذلك إشارة واضحة على وعي المفسرين بترابط آي النصّ القرآني مع بعضه البعض.

3.2.2 العطف:

جاء في تفسير قوله تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ به مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتِبَاعَ الْظَنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا) الآية من (157) سورة النساء عند المفسر الطاهر ابن عاشور قال:" (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا) يجوز أن يكون معطوفا على قوله (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ) ويجوز أن يعطف على قوله (مَا لَهُمْ به مِنْ عِلْمٍ)"[2]، فإن كان معطوفا على (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ) فإننا بإزاء عطف جملة على جملة بينهما جمل، وإن كان معطوفا على (مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ)، فإننا بإزاء عطف مباشر، وفي ذلك إشارة واضحة على وعي "طاهر ابن عاشور" بأنواع العطف وشروطه وأثره في ترابط وتماسك آي النصّ القرآني وسوره.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (يَسْئَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) الآية (4) سورة المائدة. عند الزمخشري (538هـ) قال: "(وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ) عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات"[3]، وهذا عطف من قبيل عطف جملة على جملة بطريقة مباشرة.

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص: 9.

[2] المرجع نفسه، ج 6، ص: 22.

[3] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: تفسير الكشاف، ج6، ص: 278.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الْظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) الآية (1) سورة الأنعام. عند الزمخشري (538هـ) قال: "فإن قُلْتَ: علام عطف قوله: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)؟ قلتُ: إمّا على قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على معنى أنّ الله حقيق بالحمد على ما خلق؛ لأنّه ما خلقه إلاّ نعمة، (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) فيكفرون نعمته، وإمّا على قوله: (خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ) على معنى أنّه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه"[1]، كما يمكن أن يطال العطف قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ) و(خَلَقَ الْسَّمَاوَاتِ) معا.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدَ وَلاَ ءَآمِّينَ البَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً) من الآية (2) من سورة المائدة عند البيضاوي (ت685هـ) قال: "(وَلاَ الْهَدْيَ) ما أهدي إلى الكعبة، جمع هدي كجدي في جمع جدية السرح. (وَلاَ القَلاَئِدَ)؛ أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنّها أشرف الهدي"[2]، فالظاهر من كلام البيضاوي (ت685هـ) أنّ (وَلاَ القَلاَئِدَ) معطوفة على (وَلاَ الْهَدْيَ)، فنحن إذن، بإزاء عطف مفرد على مفرد في هذا الموضع.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) من الآية (6) سورة إبراهيم عند البيضاوي (ت685هـ) قال: "(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف؛ لأنّه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة، ومعطوف عليه التذبيح ههنا"[3]، فمن الواضح إذن، أنّ (وَيُذَبِحُونَ

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود : تفسير الكشاف، ص: 318-319.

[2] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418، ج 06، ص: 317.

[3] المصدر نفسه، ج13، ص: 215.

أَبْنَاءَكُمْ) معطوفة على (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)؛ إذ نحن في هذا الموضع بإزاء عطف جملة على جملة.

كما جاء أيضا في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ) من الآية (9) سورة إبراهيم عند البيضاوي قال: "(وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ) جملة وقعت اعتراضا، أو (الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) عطف على ما قبله و(لاَ يَعْلَمُهُمْ) اعتراض"[1]، بمعنى أن (الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) معطوفة على (قوم نوح وعاد وثمود).

4.2.2 التكرير:

لقد انتبه المفسّر العلامة "طاهر ابن عاشور" إلى التكرير في الآية الكريمة الآتية: قال تعالى: (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) سورة النساء الآية (156)، حيث قال: "وأعيد مع ذلك ذكر حرف الجر الّذي يغني عنه حرف العطف قصدا للتأكيد"[2]، يرى ابن عاشور في هذه الآية أنّ حرف العطف (الواو) مغنٍ عن حرف الجر، إلاّ أنّ إعادة ذكر حرف الجر مرة أخرى والّذي كان قد ذكر سابقا في قوله تعالى: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) إنّما جاء للتأكيد على أنّ كفرهم، أي بنوا إسرائيل هو الّذي كان سببا في الطبع على قلوبهم.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (فَبِأَيِّ ءالآء رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ) الآية (13) سورة الرحمن عند الرازي (ت604هـ) قال: "ما الحكمة في تكرير هذه الآية وكونه إحدى وثلاثين مرة؟ نقول: الجواب عنه من وجوه: إنّ فائدة التكرير التقرير"[3]، ولقد جاء في تفسير نفس الآية عند "محمد متوالي الشعراوي" قال: "وهذه الآية: (فَبِأَيِّ ءالآء رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ) تكررت في القرآن عدة مرات، وهذا له مزية وحكمة، كما في قوله تعالى في السورة قبلها: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ) (17) القمر ومثل (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) القمر، ومثل هذا التكرار له حكمة، ويضيف جديدا،

[1] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 13، ص: 216.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 6، ص: 18.

[3] الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، ج: 29، ص: 347.

وإلاّ كان زيادة، والقرآن منزه عن هذا"[1]؛ حيث يظهر من خلال كلام "الشعراوي" أنّ التكرار حاصل في القرآن، وليس معنى هذا الزيادة، بل إنّ التكرار يأتي في القرآن لحكم وفوائد ومزايا معلومة، ولقد أضاف ضمن نفس السياق قال: "فالأسلوب هنا حينما يكرر (فَبِأَيِّ ءالآء رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ) (13) (الرحمن) تأسيس لكل نعمة مخصوصة، فمع كل نعمة يعيد هذا الأسلوب، فيجعل كل نعمة على حدة مسئولا عنها بهذا السؤال"[2]، بحيث يذكر في كل مرة نعمة من نعمه —سبحانه وتعالى– على خلقه، ثمّ يتبعها بهذه الآية؛ ليؤكد لخلقه أنّه رحمان ورحيم بهم، فكيف لهم أن ينكروا ويجحدوا بكل ما أنعم عليهم؛ إذ يستحيل أن يفعل ذلك عاقل.

5.2.2 المناسبة:

جاء في تفسير الآية القرآنية الآتية، قال تعالى: (لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ شَيءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) الآية (92) سورة آل عمران، عند المفسر "الطاهر ابن عاشور" أنّ "مناسبة موقع هذه الآية تلو سابقتها، أنّ الآية السابقة لما بينت أنّ الّذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظم ما ينفق، بينت هذه الآية على ما ينفع أهل الايمان من بذل المال، وأنّه يبلغ بصاحبه مرتبة البر، فبين الطرفين مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة"[3]، وهذا ما يقوي انسجام دلالة الآيتين مع بعضهما البعض حتّى تتضح الصورة بشكل أحسن.

6.2.2 الحذف:

جاء في تفسير القرطبي (ت671هـ) لقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ) الآية (100) سورة النساء قال: "(فَبِمَا نَقْضِهِم) خفض بالباء و(ما) زائدة مؤكدة كقوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) وقد تقدم، والباء متعلقة بمحذوف، التقدير: فبنقضهم ميثاقهم لعنّاهم؛ عن قتادة وغيره. وحذف لعلم السامع"[4]، فالظاهر من خلال تفسير القرطبي (ت671هـ) لهذه الآية أنّ كلمة (لَعَنَّاهُمْ) لم تذكر، وذلك لعلم

[1] محمد متولي الشعراوي: الخواطر– تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، مصر، القاهرة، ص: 13818.

[2] المرجع نفسه، ص: 13818.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص: 5.

[4] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص: 7.

السامع أو المخاطب بها، فالعرب كثيرا ما تحذف ما هو معلوم للسامع؛ وذلك للخفة في الإبلاغ، والقرآن الكريم مثلما هو معلوم نزل بلسان عربي مبين.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الآية (105) سورة آل عمران عند المفسر الطاهر ابن عاشور قال: "وحذفت مفاعيل يدعون ويأمرون وينهون لقصد التعميم أي يدعون كل أحد كما في قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُواْ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ)"[1]، فالحذف في هذه الآية الكريمة مسّ حسب المفسّر "الطاهر بن عاشور" مفاعيل الأفعال الثلاثة الواردة في الآية، وكان ذلك لغرض فائدة التعميم، بمعنى دعوة جميع النّاس على الإطلاق، فالحذف لا يحدث مثلما هو معلوم إلاّ لغرض فائدة معينة.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) الآية (2) سورة الأعراف عند الزمخشري قال: "(كِتَابٌ) خبر مبتدأ محذوف أي هو كِتَابٌ"[2]، بمعنى أنّ المبتدأ حذف في هذه الآية وقدر بـ (هو) فنحن إذن، بإزاء حذف اسمي.
كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ) الآية (4) سورة الأعراف عند الزمخشري قال: "(فجاءها) فجاء أهلها، (...) فإن قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو: الأهل قبل القرية، أو قبل الضمير في (أهلكناها)؟ قلت: إنّما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة، فإنّ القرية تهلك كما يهلك أهلها، وإنّما قدرناه قبل الضمير في (فجاءها) لقوله (أو هم قائلون)"[3]، فالمضاف بحسب "الزمخشري" حذف قبل الضمير في كلمة (فجاءها) وهو (الأهل)، وكلمة (أهل) هي اسم، فنحن إذن، بإزاء حذف اسمي في هذه الآية.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَاسِرُونَ) الآية (14) سورة يوسف عند الزمخشري (538هـ) قال: "القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب)

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص: 40.
[2] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، ج: 8، ص:355.
[3] المصدر نفسه، ج: 8، ص: 355-356.

واللام مواطئه للقسم وقوله: (إنا لخاسرون) جواب للقسم"[1]، ومثلما تقدم فإنّ القسم وجه من وجوه الحذف عند البلاغيين وهو كثير في اللّغة.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكِمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الآية (63) سورة الأعراف عند الزمخشري قال: "(أَوَ عَجِبْتُمْ) المهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم"[2]، فالمعطوف عليه محذوف في هذه الآية، وقد قدره الزمخشري (538هـ) بـ (كذبتم).

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) الآية (83) سورة يوسف عند الرازي قال: "فيه قولان: الأول: المراد واسأل أهل القرية إلاّ أنّه حذف المضاف للإيجاز والاختصار، وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب (...) والثاني: قال أبو بكر الأنباري المعنى: اسأل القرية والعير والجدار والحيطان فإنّها تجيبك وتذكر صحة ما ذكرناه لأنّك من كبائر الأنبياء"[3]. كما جاء في تفسير قوله تعالى: (قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) الآية (85) سورة يوسف عند البيضاوي (ت685هـ) قال: "قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ أي: لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه، فحذف (لا) كما في قوله: فقلت يمين الله أبرح قاعدا، لأنّه لا يلتبس بالإثبات، فإنّ القسم إذا لم يكن معه علامات الإثبات كان على النفي"[4]، فالملاحظ في هذا المثال هو حذف حرف (لا) وهذا شائع في كلام العرب خصوصا في القسم، فنحن إذن في هذا الموضع بإزاء حذف حرفي.

3.2 لسانيات النصّ وعلوم القرآن وعلم مناسبات القرآن

لما كان موضوع علوم القرآن النصّ القرآني ذاته؛ فإنّ ذلك يقتضي لا محالة وجود اجتهادات نصّية ضمن هذا الموروث العلمي القرآني؛ ولذلك، آثرت هذه الدراسة أن تخصص جانبا منها لتلك

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، ج: 12، ص: 506.

[2] المصدر نفسه، ج: 8، ص: 367.

[3] الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج: 18، ص: 495.

[4] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 3، ص: 174.

الإسهامات، حيث ستركز على المفاهيم اللّغوية النصّية الّتي يمكن أن تكون مقاربة أو مقابلة لنظيرتها الغربية، وذلك بغية الكشف عن جهود علماء القرآن في مجال النصّ والنصّية، وكذا تسليط الضوء على نظرتهم الكليّة للنصّ القرآني، حيث كانوا يعتبرونه مكملا ومفسرا لبعضه البعض، فالقرآن الكريم هو كل متكامل موحد منسجم في نسيجه اللّغوي، وفي معانيه ودلالاته، ومقاصده وغاياته؛ لذلك وجب على كل من أراد أن يمارس التفسير أن تكون لديه إحاطة بأنّ القرآن الكريم ليس مجرد آيات، وسور، وفقط، وإنّما هو منظومة وكتلة واحدة ينبغي النظر إليها في كليتها.

1.3.2 ترتيب سور القرآن:

يقول ابن الزبير الغرناطي: "اعلم أولاّ أنّ ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيف –صلى الله عليه وسلم– وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين، وإنّما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه"[1]، فترتيب الآيات في السور هو ترتيب وقفيّ من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا اختلاف في ذلك بين أهل العلم على الإطلاق، وإنّما الاختلاف في ترتيب السور مع بعضها البعض، حيث قال "الغرناطي" (ت708هـ) حول هذه المسألة: "ذهب مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب. فيما اعتمده واستقر عليه مذهبه، والجمهور من العلماء، إلى أنّ ترتيب السور إنّما وقع باجتهاد الصحابة، وأنّ رسول الله فوض ذلك إلى أمته بعده، وذهبت طائفة من العلماء إلى أنّ ذلك وقع بتوقيفه وأمره، ولكل من الطائفتين جهات تعلق، وكلا القولين والحمد لله لا يقدح في الدين، ولا يثمر إلاّ اليقين"[2]، فنحن أمام رأيين علميين، الأول: يرى أنّ ترتيب السور هو ترتيب غير توقيفي؛ إذ الصحابة الكرام هم الّذين تكفلوا بترتيب السور بالحال الّتي هي عليها اليوم، مثلما هو موجود في مصحف عثمان رضي الله عنه، وهذا مذهب مالك والقاضي أبي بكر الطيب، وجمهور من علماء، والثاني: يرى أنّ ترتيب

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د ط، 1990، ص: 182.

[2] المصدر نفسه، ص: 182.

السور في القرآن الكريم هو ترتيب توقيفي مثله مثل ترتيب الآيات، وكلا القولين لا يقدح في الآخر مثلما قال "ابن الزبير الغرناطي" (ت708هـ).

وسواء أكان ترتيب السور باجتهاد الصحابة، أو بتوقيف من النبي –صلى الله عليه وسلم– فإنّ ذلك ينطوي لا محالة على تناسبات بين آي القرآن مع بعضها البعض، وكذا سور القرآن مع بعضها البعض، وهو ما أكّده ابن الزبير الغرناطي عندما قال: "اعلم أنّ الأمر في ذلك كيفما قدر فلا بدّ من رعي التناسب، والتفات والتواصل والتجاذب"[1]، فالتناسب والتواصل والتجاذب حاصل بين آي القرآن الكريم وسوره لا محالة، وهو ما سيظهر بشكل جلي مع ما يسميه علماء القرآن بعلم مناسبات القرآن.

2.3.2 علم مناسبات القرآن:

يحدد الزركشي (794هـ) المناسبة يقول: "المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها؛ ومرجعها والله أعلم، إلى معنى ما رابط بينهما: عام وخاص، عقلي أو حسي أو خيالي؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني؛ كالسبب والنتيجة، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه، أو التلازم الخارجي؛ كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[2]، فعلم المناسبة بحسب "الزركشي" يهتم بالعلاقات الّتي تربط بين آي القرآن وسوره مثل: السبب والنتيجة، والعلة والمعلول، والنظيرين، وغير ذلك من العلاقات الّتي يتوصل إليها عن طريق إعمال العقل في فهم القرآن الكريم ومحاولة تفسيره، وأمّا الإمام البقاعي (885هـ) فقد حدد علم المناسبة قال: "فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 183.

[2] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، مصر، د ط، د س، ج 1، ص: 35.

غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[1]، فموضوع علم مناسبة القرآن كما يراه الإمام "البقاعي" هو تلك العلل الّتي تحكم ترتيب آي القرآن وسوره مما يجعل منه كلمة واحدة، وهذا ما نصّ عليه الزركشي عندما قال: "وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعا وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده قصيرة، قال القاضي أبو بكر بن عربي في: (سراج المريدين): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كلكمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم"[2]، فعلم مناسبات القرآن علم خصب تدرك به مواضع اتّساق معان وانتظام مباني آي القرآن وسوره، ولم يحظ هذا العلم باهتمام كبير عند المفسرين؛ إذ إنّ اهتمامهم كان منصبا على تفسير آيات القرآن الكريم واستنباط الأحكام منها، حيث قال الزركشي في هذا الصدد: "وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته؛ وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[3]، فالفخر "الرازي" كان من المفسرين القلائل الذين انتبهوا لفوائد هذا العلم الشريف؛ إذ أغلب لطائف القرآن موجودة في ترتيبات آي القرآن وسوره.

بناء على ما سبق نستنتج، أن علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره كانوا على وعي تام بالعلاقات المعنوية واللّغوية الّتي تحكم آي القرآن الكريم وسوره، مما جعل منهم رواد في هذا الباب؛ إذ انتبهوا إلى وجود علاقات وقواعد وآليات تحكم النصوص، وهو ما توصّل إليه علماء لسانيات النصّ المعاصرون وسموه بالانسجام النصّي للنصوص.

3.3.2 علاقات تفصيل إجمال:

لعلّ من ضمن أكثر العلاقات الدلالية حضورا في القرآن الكريم علاقة (تفصيل إجمال)؛ إذ قال "جلال الدين السيوطي" حول هذه المسألة: "القاعدة التي استقرأتها من القرآن: أنّ كل سورة تفصيل

[1] البقاعي، أبو الحسن إبراهيم: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: محمد عبد الحميد و عبد الوحيد خان، الجامعة النظامية، حيدر آباد، دار المعارف العثمانية، دس، د ط، ج 1، ص: 6.

[2] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 36.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص: 36.

لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استمر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة"[1]، فعلاقة (إجمال تفصيل) حاضرة بقوة بين آي القرآن وسوره، فما أُجمِل في آية أو في سورة من سور القرآن فُصِّلَ في أخرى، وما فُصِّلَ في آية أو سورة أُجْمِلَ في أخرى، وهكذا، فاسيوطي يرى مثلا: أنّ "جميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة؛ فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلا؛ فإنّها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله؛ ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ذكر النّاس كيفية تضمنها مجملا لما تفصل في الكتاب العزير بجملته"[2]، فالفاتحة إجمال لجميع ما تم تفصليه في القرآن الكريم، ولهذا سميت بأم الكتاب.

ولم يحد الباحثون المعاصرون كثيرا عما جاء به الأوائل حول بيان أهمية سورة الفاتحة وعلاقاتها بسور القرآن الكريم؛ إذا قال الباحث "أمحمد الصافي المستغانمي"* حول هذه المسألة: "جمعت الفاتحة الكليات الإيمانية الكبرى لدين الإسلام، فهي عناوين للدين الخاتم الذي اصطفاه الله للإنسانية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"[3]، فالفاتحة حسب الباحث "أمحمد صافي المستغانمي" جامعة لكليات الدين الكبرى، "وهذه الكليات الإيمانية الكبرى جاء ذكرها وتفصيل القول فيها في الكثير من السور المكية والمدنية"[4].

يتضح من خلال ما سبق، أنّ علماء مناسبات القرآن الكريم كانوا على معرفة تامة بعلاقة (إجمال تفصيل)؛ الّتي كان لها دور بارز في الانسجام والربط بين آي القرآن الكريم وسوره، مما جعل

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر: أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة، دط، دس، ص: 78.

[2] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: البرهان في تناسب سور القرآن، ، ص: 187

* عالم لغوي ومفسر جزائري من مواليد مدينة مستغانم سنة 1965 بالجزائر، له العديد من الكتابات في مجال اللغة العربية والدراسات القرآنية والتفسير، عرف ببرنامج في رحاب سورة الذي تقدمه قناة الشارقة، يشغل حاليا منصب الأمين العام لمجمع اللّغة العربية بالشارقة في الإمارات العربية المتحدة.

[3] أمحمد الصافي المستغانمي: جواهر الدرر في علم مقارنات السور- رؤية تأصيلية للروابط المضمونية واللغوية لمجموعة الأسر القرآنية، دار ابن كثير، ط1، 2018، بيروت، لبنان، ص: 80.

[4] المرجع نفسه، ص: 80.

منه كلا متكاملا، يكمل بعضه بعضا، ويفسر بعضه البعض الآخر.

4.3.2 أمثلة عن علاقات تفصيل إجمال:

يقول ابن الزبير الغرناطي في بيان التناسب بين سورة الفاتحة وسورة البقرة: "لما قال العبد بتوفيق ربه (اهْدِنَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمَ) قيل له: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَقِينَ) الآية (2) سورة البقرة. هو مطلوبك وفيه أربك"[1]، فالله سبحانه وتعالى لما دعاه عبده بالهداية في سورة الفاتحة استجاب له في قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَقِينَ) فالهداية متضمنة في كتاب الله أي: في القرآن الكريم. ولقد أورد ابن الزبير الغرناطي مثالا آخرا جاء فيه: "أعقب تعالى تفصيل أحوال هؤلاء بقوله: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ) البقرة 124، ليبين أحوال المصطفى من أهل الصراط المستقيم فأنبأ تعالى بحال إبراهيم، وإتمام ما ابتلاه من غير توقف ولا بحث عن علة (...) فالصراط المستقيم حال إبراهيم عليه السلام ومن ذكر من الأنبياء والرسل"[2]، فإذا أراد العبد أن يعرف ما هو الطريق المستقيم فهو حال إبراهيم عليه السلام وسائر من ذكر من الأنبياء والرسل في سورة البقرة، وغيرها من السور القرآنية.

كما ذكر "جلال الدين السيوطي" (ت911هـ) أنّ الله –سبحانه وتعالى– بيّن في سورة البقرة "الطوائف الثلاث الّذين ذكرهم في الفاتحة، فذكر الّذين على هدى من ربّهم، وهم المنعم عليهم، والّذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضّالون، والّذين باءوا بغضب من الله، وهم المغضوب عليهم"[3]، بمعنى أنّ تفصيل سورة الفاتحة جاء في سورة البقرة من خلال ذكر صفات المؤمنين والضالين وكذا المغضوب عليهم.

---

[1] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 190.

[2] المصدر نفسه، ص: 191-192.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر: أسرار ترتيب القرآن، ص: 56.

ولقد حاول "السيوطي" أن يختصر علاقة (إجمال تفصيل) بين سورة الفاتحة وسورة البقرة في النقاط الآتية قال:[1]

- (الْحَمْدُ لِلَّهِ) تفصيله: ما وقع فيها من الأمر بالذكر في عدة آيات، ومن الدعاء في قوله: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) الآية (186) سورة البقرة.
- (رَبِّ العَالَمِينَ) تفصيله قوله: (اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونْ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا).
- (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة 4 تفصيله: ما وقع من ذكر يوم القيامة في عدة مواضع؛ ومنها قوله: (وَإِنْ تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمُ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) الآية (284) سورة البقرة. والدين (في الفاتحة): الحساب (في البقرة).
- (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية، وقد فصّلت في البقرة أبلغ تفصيل، فذكر فيها: الطهارة، والحيض، والصلاة، والاستقبال، وطهارة المكان، والجماعة، وصلاة الخوف، وصلاة الجمع، والعيد، والزكاة بأنواعها؛ (...) وأنواع الصدقات، والبر، والحج، والعمرة، والبيع، والإجارة، والميراث (...) فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في هذه السورة.
- (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) شامل لعلم الأخلاق. وقد ذكر منها في هذه السورة الجم الغفير؛ من التوبة، والصبر، والشكر، والرضا، والتفويض، والذكر، والمراقبة، والخوف، وإلانة القول.
- (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) إلى آخره. تفصيله: ما وقع في السورة من ذكر طريق الأنبياء، ومن حاد عنهم من النصارى؛ ولهذا ذكر في الكعبة أنها قبلة إبراهيم، في الصراط التي أنعم عليهم، وقد حاد عنها اليهود والنصارى معا؛ ولهذا قال في قصتها: (يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) (142) سورة البقرة، تنبيها على أنّها الصراط الّذي سألوا الهداية إليه.

كان هذا ذكرا مختصرا من قبل (السيوطي) لتجليات علاقة (إجمال تفصيل) بين سورتي الفاتحة والبقرة؛ ليتأكد بذلك أنّ سورة البقرة شارحة ومفصلة لجميع ما ورد في سورة الفاتحة.

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر: أسرار ترتيب القرآن، ص: 78-79-80-81.

5.3.2 أنواع المناسبات بين سور وآي القرآن:

من المعلوم أنّ المناسبة بين آي القرآن الكريم وسوره لا تأتي على نمط أو شكل واحد، وإنّما هناك عدة أنواع من المناسبات سنحاول إجمالها في العناصر الآتية:

أ) مناسبة البداية لما أتى في معظم السورة:

يقول "السيوطي" (ت911هـ) موضحا هذا النوع من المناسبة: "وأمّا سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين النّاس، (..) ولهذا افتتحت بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (1) ثمَّ (2) قال: (وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ). فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة، والافتتاح، وبراعة الاستهلال؛ حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام؛ من نكاح النساء ومحرماته، والمواريث المتعلقة بالأرحام"[1]، فالآية الأولى والثانية من هذه السورة دالتان على معظم ما سيأتي فيها من أحكام متعلقة بالأسرة والميراث، وغيرهما من الضوابط المحددة لعلاقة الرجل بالمرأة في الإسلام.

ب) مناسبة وضع السور بعد بعضها البعض:

أشار "السيوطي" (ت911هـ) إلى هذا النوع من المناسبة في سياق حديثه عن علاقة سورة الأعراف بسورة الأنعام قال: "أقول وضع هذه السورة عقب سورة الأنعام فيما ألهمني الله سبحانه: إنّ سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق، وقال فيها: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ) الأنعام (2)، وقال في بيان القرون: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ) الأنعام (6)، وأشير فيها إلى ذكر المرسلين، وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل، ذكرت هذه السورة عقبها؛ لأنّها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها"[2]، وهذا النوع من المناسبة هو من قبيل علاقة (إجمال تفصيل) الّتي تطرقنا إليها سابقا.

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر: أسرار ترتيب القرآن، ص: 54.

[2] المصدر نفسه، ص: 101.

كما ذكر "الزركشي" (794هـ) في مثال آخر حول هذا النوع من المناسبة قال: "ومن لطائف سورة الكوثر أنّها كالمقابلة للّتي قبلها؛ لأنّ السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة؛ فذكر هنا في مقابلة البخل: (إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ) أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة (فَصَلِّ) أي دم عليها؛ وفي مقابلة الرياء (لِرَبِّكَ)؛ أي لرضاه لا للنّاس، وفي مقابلة منع الماعون: (وَانْحَرْ)؛ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي؛ فاعتبر هذه المناسبة العجيبة"[1]، فكل سورة من سور القرآن الكريم إلاّ ولها علاقة بالّتي قبلها، فالقرآن الكريم كل متكامل.

ت) مناسبة اسم السورة للغرض منها:

يقول الإمام "البقاعي" (885هـ) موضحا هذا النوع من المناسبة: "وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها"، بمعنى أنّ اسم السورة مناسب للغرض العام منها، ولا يتم تحديد هذه المناسبة إلاّ من خلال التدبر في آيات السورة ونظر في اسمها ومحاولة إيجاد العلقة بينهما.

ث) مناسبة افتتاح سورة للغرض العام منها:

يقول الإمام "الزركشي" (794هـ) مبينا هذا النوع من المناسبة: "وأمّا الكهف فإنّه لما احتبس الوحي، وأرجف الكفار بسبب ذلك، أنزلها الله ردا عليهم، وأنّه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم، بل أتم عليه بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة"[2]، فسورة الكهف كانت بمثابة نعمة أنعم الله بها على نبيه (صلى الله عليه وسلم)؛ بسبب تشكيك المشركين في نبوته ورسالته نظرا لانقطاع الوحي لفترة محددة، فأتاهم الرد من الله –سبحانه وتعالى– وأنزل هذه السورة الّتي افتتحت بالحمد، وأتم الله –سبحانه وتعالى– نعمته بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها الغرض العام منها، ومتدبر في سورة الكهف يجدها كلها نعما من الله تعالى على أنبيائه وعباده الصالحين.

يتضح من خلال أنواع المناسبات السابقة، أنّ علماء مناسبات آي القرآن وسوره انتبهوا لمعظم

[1] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 39.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 39.

المناسبات الّتي تربط آي القرآن وسوره، واللطائف التي تترتب عن ذلك؛ إذ لا بدّ للمفسر من العلم بها؛ لأنّها تساعده على فهم كتاب الله واستخراج حكمه وأسراره وأحكامه، فعلم مناسبات آي القرآن ضروري لكل مفسر إذا ما أراد أن يكون تفسيره كاملا شاملا، كما أنّه يعكس النظرة الكلية للقرآن الكريم ككل متكامل.

بناء على ما سبق، نستنتج أنّ علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره كانوا مثلهم مثل نظرائهم البلاغيين، والمفسرين العرب والمسلمين القدامى على وعي تام، وكامل، بالبعد الكلي المتكامل للنصوص، فها هم قد أشاروا لأهم العلاقات والآليات الّتي تجعل من القرآن الكريم كلا متكاملا، يكمل بعضه بعضا، ويفسر بعضه البعض الآخر، مثل: علاقة السبب والنتيجة، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، والتفصيل والإجمال، والعام والخاص، وهذا مما يؤكد مرة أخرى على حضور النظرة الكلية للقرآن الكريم في أذهان علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره؛ إذ جسّدتها العلاقات والمفاهيم السابقة، وعليه فيمكن أن يقال: إنّ علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره قد سبقوا علماء اللسانيات النصّية بقرون في مسألة انسجام النصّ وكليته، إن على مستوى اللّغة، وإن على مستوى الدلالة.

الفصل الثاني

التداولية وتحليل الخطاب

وتمظهراتهما في الموروث اللّغوي العربي القديم

تمهيد:

نسعى في هذا الفصل من هذه الدراسة إلى التركيز على تحليل الخطاب أولا، والتداولية ثانيا، وذلك من خلال تسليط الضوء على مختلف المفاهيم الخاصة بهما، وكذا مختلف متعلقاتهما، بدءا بالنشأة، والموضوع، والمجال، والاتجاهات، وكذا الأدوات والآليات التحليلية الّتي تستعمل في التحليل التداولي للخطاب، وصولا إلى رصد تمظهرتهما في الموروث اللّغوي العربي القديم، وذلك انطلاقا من مقولة أنّ اللّغويين العرب القدامى قد عرفوا جيدا التداولية وتحليل الخطاب، وسبقوا في ذلك نظرائهم الغربيين المحدثين بقرون.

المبحث الأول: التداولية وتحليل الخطاب النشأة والتأسيس.

1.1 تحليل الخطاب المفهوم والمجال

1.1.1 نشأة تحليل الخطاب:

يرى العديد من الباحثين أنّ البدايات الأولى لما صار يعرف فيما بعد بتحليل الخطاب كانت "ضمن مؤلفات باختين، حيث نجد بحثا في مفهوم الخطاب discourse وحديثا عن أجناس الخطاب genres de discours، وهذه المفاهيم فيما نرى ليست الأهم والأعمق في فكر باختين، إلاّ أنّها تكفي للدلالة على المهاد النظري الّذي تتحرك فيه هذه المتصورات"[1]، فميكائيل باختين كان من المهتمين بمجال الخطاب ومتعلقاته؛ كمنتجه، ومتلقيه، وسياق إنتاجه، إضافة إلى إتيانه بمفهومي الحوارية، وتعدد الأصوات، اللّذين يعتبران من أهم المفاهيم في تحليل الخطاب الأدبي المعاصر.

كما ثمّة رأي علمي آخر مفاده؛ أنّ الإرهاصات الأولى لتحليل الخطاب كانت مع المقالة الشهيرة لهاريس Harris؛ إذ يعد تحليل الخطاب في ضوء هذا الرأي "من المصطلحات الّتي دخلت مجال البحث العلمي والثقافة العالمية بتأثير من الدراسات اللّسانية، وينسب هذا المصطلح إلى "زليج هاريس" Z.Harris الّذي عنون بحثا له بهذا المصطلح سنة 1952، وإن كان قد نحى به منحا نحويا

[1] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص: 92.

أبعده إلى حدّ كبير عن مفهوم تحليل الخطاب بالمعنى الشائع في اللّسانيات الحديثة"[1]، فتحليل الخطاب الهاريسي إذن، هو تحليل نحوي صرف، عكس التصورات والمفاهيم الّتي أتى بها "مكائيل باختين" الّتي تمحورت حول قضايا السياق والتداول والتخاطب.

ومهما يكن من أمر، فإنّ تحليل الخطاب مجال متداخل الاختصاصات، حيث ساهمت العديد من العلوم والتخصصات في نشأته وتكوينه، ومن ثمّة يصعب نسبه إلى مجال دون آخر؛ إذ تعتبر جميع العلوم المجاورة له مساهمة في نشأته وتطوره بالشكل الّذي هو عليه اليوم، وهذا ما يؤكد مقولة تضافر الاختصاصات وتكاملها.

2.1.1 مفهوم تحليل الخطاب:

إنّه لمن الصعب جدا، أن يجد المرء وهو يتصفح مختلف الأدبيات اللّسانية، والأدبية، والنقدية، تعريفا واحدا لمصطلح تحليل الخطاب؛ وذلك راجع لكثرة المتصورات والنظرات المختلفة لهذا المجال الجديد نسبيا؛ إذ "خلال البحث، سرعان ما يدرك المرء أنّ تحليل الخطاب ليس مقاربة واحدة، ولكنّه سلسلة من المقاربات المتداخلة الاختصاصات، يمكن أن تستعمل في استقصاء عديد المجالات الاجتماعية المختلفة في أنواع عديدة ومختلفة من الدراسات"[2]، وهذا ما انتبه إليه اللّساني "بور" Burr عندما قال: "إنّ هذا المصطلح هو مظلة تغطي مجموعة واسعة من ممارسات البحث الفعلية بأهداف وخلفيات نظرية مختلفة تماما، الكلّ يأخذ اللّغة محور اهتمامه"[3]، فيتضح بذلك أنّ السمة المميزة لتحليل الخطاب هي تداخل الاختصاصات وتضافرها؛ حيث يرى الباحث "عماد عبد اللطيف أنّ "تحليل الخطاب هو أشبه بالبحيرة الّتي تلتقي عندها مصبات كل العلوم الإنسانية تقريبا، فهو يستمد

[1] محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016، ص: 5.

[2] ماريان يورغنسن و لويس فيليبس : تحليل الخطاب– النظرية والمنهج، تر: شوقي بوعناني، مر: محمد المومني، هيئة البحرين للثقافة والأثار، ، المنامة، البحرين، ط1، 2019، ص: 13.

[3] Paul Baker and Sibonil ellec : Key terms in discourse analysis , continuum international Publishing group , p: 32.

معظم جهازه المفاهيمي والاصطلاحي من هذه العلوم"[1]، فمحلل الخطاب لا يتوانى في الاستعانة بمختلف النظريات، والمفاهيم، الّتي يمكن أن تساعده في تحليل الخطاب الّذي هو بصدد الاشتغال عليه.

يذهب الباحث "محمد خطابي" إلى القول بأنّه "من الممكن أن نسمّي كل مقاربة تتخذ لها موضوعا للوصف وحدة لغوية أكبر من الجملة تحليلا للخطاب، بمعنى أنّ تصنيف هذه المقاربة، أو تلك، ضمن تحليل الخطاب، ينبني أساسا على الوحدة اللّغوية المحللة وحجمها"[2]، بيد أنّ تصنيف مقاربة في تحليل الخطاب، أو إلغاء أخرى، على أساس معايير شكلية، قد يكون غير مفيد؛ ففي بعض الأحيان تكون الخطابات في شكل جمل، أو ملفوظات قصيرة، مثل عبارة: ممنوع التدخين الّتي قد نجدها داخل قاعة الامتحان، أو داخل المحكمة؛ إذ تعد ملفوظا، أو خطابا صادرا من جهة لها سلطة، وموجه إلى جهة أخرى، تقع تحت سلطة الجهة الأولى – على الأقل في الظرف الّذي قيل فيه هذا الملفوظ أو الخطاب – تفيد بمنع التدخين داخل قاعة الامتحان، أو جلسة المحاكمة، وعليه فإنّ المعايير الشكلية لا تسعف كثيرا في تحديد مفهوم تحليل الخطاب.

وهكذا يبقى مصطلح تحليل الخطاب عصيّا عن الضبط؛ حيث نجد أنّ كلاّ من "جاك موشلارل" و"آن ريبول" بعد عرضهما لتعريفات مختلفة لهذا المصطلح في معجمها الموسوم "بتحليل الخطاب"، قررا أنّ هذا المصطلح عندهما "يطلق بصفة عامة، على العلاقة الّتي بين النصّ والمقام"[3]، وهو نفس ما ذهب إليه الباحث "محمد يونس علي" عندما قال: "يركز تحليل الخطاب على علاقة النصّ والسياقات الاجتماعية والعقدية والثقافية الّتي استعمل فيها، وكيف انعكست هذه العلاقة في ثنايا النصّ، كما يحاول الكشف عن المسالك والوسائل المستعملة في تأليف الخطاب مرورا بالوقوف

[1] عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، (مجلة فصول)، العددان 84 و85، خريف شتاء 12. 2013، ص: 509

[2] محمد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 47.

[3] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، ص: 44.

على الافتراضات الّتي ينطلق منها المؤلف، وصولا إلى تحليل شخصيته، وتفسير أدواته اللّغوية"[1]، فالسياق، خصوصا الاجتماعي، له دور كبير في تحليل الخطاب؛ إذ لا يمكن تصور تحليل لخطاب معين، من دون النظر إلى سياق وروده.

تعتقد مجموعة غير قليلة من الباحثين، أنّ "تحليل الخطاب مجرد مستوى من مستويات التحليل اللّغوي، يتمّ فيه تجاوز وحدة الصوت أو الحرف (الّتي يدرسها علم الصوت والصوتيات)، ووحدة الكلمة الّتي يدرسها (علم الصرف من زاوية البنية وعلم المعجم من زاوية الدلالة)، ووحدة الجملة الّتي يدرسها (علم النحو)، ووحدة النصّ الّتي يدرسها (علم النص) إلى وحدة الخطاب؛ أي الملفوظات في واقع تداولها الفعلي، حيث تدرس ظواهر إنشاء الخطاب وانتاجه واستهلاكه في لحظة تاريخية، وسياق اجتماعي محدد"[2]، وبهذا يتضح، أنّ تحليل الخطاب يقوم على دراسة الملفوظات والخطابات في واقعها وسياقها الحالي والاجتماعي الّذي استعملت فيه.

ولقد ذهب الباحث "خليفة الميساوي" في نفس الاتجاه حيث قال: "وأجمع الدارسون أمام هذا الطرح الإشكالي، على أنّ تحليل الخطاب لا يخرج عن دائرة العلوم اللّسانيّة الّتي تحاول الإجابة عن مشكلات متنوعة، حسب المقاربات والمجالات الّتي تتصل بالخطاب وأبرزها من يتكلم؟ وكيف يتكلم؟ وماذا يتكلم؟"[3]؛ إذ يفهم من خلال كلام الباحث "الميساوي" أنّ هذه الاهتمامات تتعلق أساسا بالجوانب السياقية للإنتاجات الكلامية والخطابية.

ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من اختلاف آراء الباحثين حول ما يندرج ضمن تحليل الخطاب، وحول ما يخرج عنه، تبقى هناك أسئلة جوهرية في مجال تحليل الخطاب لا يمكن تجاوزها، ولعلّ من أبرزها:

---

[1] محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، ص: 22.

[2] عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ص:.510

[3] خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتجيات الخطاب –، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012، ص:44.

من هو المخاطب؟ ومن هو المخاطب؟ وفي أي سياق أنتج الخطاب؟ وما هي دواعي وأسباب إنتاج هذا الخطاب أو ذاك؟ ما هو موضوع الخطاب؟ وما شكله؟ وما هي المعاني الجزئية والمقاصد الكلية الّتي يتضمنها الخطاب؟ ماهي الاستراتيجية الخطابية الّتي أنتج في ضوئها الخطاب؟ ما هي الأشياء الّتي صرح بها الخطاب؟ والأشياء الّتي سكت عنها؟ وما هو الغرض والقصد العام من الخطاب.

قد تبدو هذه الأسئلة لأول وهلة سطحية في شكلها، لكنّ التوقف معها، وتدبّر فيها، يكشف عن مدى عمقها ودقتها؛ إذ هناك علوم مستقلة بذاتها، ونظريات عديدة حاولت الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، ولعلّ أهم مجال أو تخصص حاول الاضطلاع بهذه المهمة، هو ما يعرف بالتداوليات.

يظهر من خلال ما تقدم، أن مجال تحليل الخطاب هو مجال تداولي سياقي في صميمه؛ إذ أكدا الباحثين "جورج يول" G.Yule و"براون" Browne هذه الفكرة قالا: "إنّ أي مقاربة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية تنتمي بالضرورة إلى ذلك المجال من الدراسة اللّغوية الّذي يسمّى علم المقاصد، وممارسة تحليل الخطاب تقتضي بالضرورة القيام بـ دراسة للتركيب والدلالة، ولكنّها أساسا تتضمن القيام بدراسة المقاصد"[1]؛ إذ أهم شيء في التحليل هو القصود والمقاصد الجزئية والكلية الّتي يتضمنها الخطاب، فهي المطلب، والمرام، والغاية الّتي تبذل في تحصيلها كل الجهود.

يتأكد من خلال ما سبق، أنّ الهدف العام من تحليل الخطاب في هذه الدراسة هو رصد مختلف المعاني، والقصود، والمقاصد الجزئية والكلية الّتي يتضمنها الخطاب كموضوع للدراسة والتحليل، ولعلّ أبرز منهج يسمح بتحقيق هذه الغاية هو المنهج التداولي؛ وذلك يعود بالدرجة الأولى للعدة النظرية والإجرائية الّتي يحتويها الدرس التداولي عامة، والّتي تسمح بتحليل الخطابات، وفهمها، وتأويلها، وتحديد غاياتها ومراميها.

3.1.1 تعريف الخطاب:

أ) لغة: جاء في معجم مقاييس اللّغة "لابن فارس" عن مادة (خ ط ب) ما يأتي:" خاء والطاء والباء

[1] ج. براون، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص: 32

أَصلان: أَحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك. (...) والخطبة الكلام المخطوب بهِ"[1].

وأمّا معجم لسان العرب "لابن منظور" فقد أتى فيه حول هذه مادة ما يلي: "والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقَد خاطبه بالكلام مخاطبة، وهما يتخاطبان. (...). والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب(...) والمخاطَبة، مفاعلَة من الخطاب والمشاورة "[2].

وأمّا معجم تاج العروس "لزبيدي" فقد وردت فيه إشارة لمادة (خ ط ب) وهذا نصّها: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقَد خاطبه بالكلام وهما يتخاطبان، قال الله تَعَالَى "وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظلَمُوا[3].

غني عن البيان، أنّ معنى مادة (خ ط ب) في المعاجم الثلاثة يدور حول التخاطب والكلام، ومراجعته، والتواصل من خلاله، والكلام لا يكون إلاّ بين طرفين، متكلم ومستمع، ويكون في الغالب شفويا حضوريا، في مكان معين، وزمان معين.

ب) اصطلاحا:

ما ينطبق على مصطلح تحليل الخطاب في صعوبة رصد تعريف واحد موّحد له، ينسحب على مصطلح الخطاب نفسه؛ حيث يرى الباحث رشيد بن مالك أنّه "موضوع المعرفة الّذي تسعى إلى تحقيقه الألسنية الخطابية، يرادف الخطاب من هذا المنظور النصّ، لا بدّ من أن نشير هنا إلى أنّ بعض اللّغات الأوروبية الّتي لا تملك مقابلا لمصطلح الخطاب في الفرنسية والإنجليزية احتفظت بالنصّ"[4]، بيد أن المتعارف عليه أنّ الخطاب شيء، والنصّ شيء آخر، للنصّ علم خاص يضطلع بدراسته هو

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللّغة، ج2، باب الخاء، كتاب الخاء والطاء وما يمثلهما، ص: 198.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج4، باب الخاء، ص: 135.

[3] الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تح: علي الهلالي، دار التراث العربي، الكويت، مصر، ط2، 1987، ج 2، فصل الخاء، باب الباء الموحدة، ص: 475- 476.

[4] رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص: 59.

اللّسانيات النصّية، وللخطاب أيضا مجالات تقوم بدراسته مثل اللّسانيات التلفظية، والتداوليات، وتحليل الخطاب، ومن ثمة لا مجال للمرادفة بينهما.

ولقد حاول الفيلسوف "ميشال فوكو" M.Foucaut تحديد مفهوم للخطاب قال: "نسمّي خطابا مجموعة الملفوظات الّتي تنتمي إلى نفس التشكيل الخطابي (1969 ب153)، فالخطاب الشيوعي هو مجموعة الخطابات الّتي ينتجها الشيوعيون، كما هو نظام الّذي يسمح بإنتاجها، وبإنتاج نصوص أخرى تنعت بأنها شيوعية"[1]؛ يلاحظ في تعريف "فوكو" انتباهه لخاصية رئيسية في الخطاب هي الملفوظية، بيد أنّه نحى به منحا غير لغوي عندما وصفه بالنّظام الفكري الّذي يسمح بإنتاج نصوص متنوعة تحكمها إديولوجية واحدة.

وأمّا "دي بوجراند" De Beaugrande فرأى أنّ بنفينست Benvenist حدد الخطاب بأنّه "الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"[2]، فمن الواضح –إذن– أنّ بنفينست كان يقصد بالخطاب عملية التلفظ ذاتها.

كما حدد الخطاب أيضا بوصفه "إقحاما للنصّ في مقامه (ظروف إنتاجه وتقبله)"[3]، وفي ذلك إشارة واضحة لأهمية السياق في مفهوم الخطاب.

يعتبر الباحث "عبد الرحمن الحاج الصالح" أن الخطاب هو "الكلام الحاصل بالفعل بين متخاطبين، وهو باللغات الأَجنبِية discours"[4]، إذ الخطاب في نظره يتميز بالشفوية، والواقعية، والحضورية، والحيوية، عكس النصّ الّذي يمتاز بالثبات والسكونية. واستعمل مصطلح الخطاب أيضا "للإشارة إلى

[1] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 181.

[2] جمعان عيد الكريم: إشكالات النصّ، نادي الأدبي برياض والمركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط1، 2009، ص: 35

[3] المصدر السابق، ص: ص:181.

[4] عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، 2012، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص: 13.

سياقات معينة تستعمل فيها اللّغة، وضمن هذا المعنى يصبح مشابها لمفاهيم مثل: نوع النصّ"[1]، كأن يقال مثلا: خطاب قانوني، أو خطاب سياسي، أو خطابي ديني، أو خطاب إعلامي، إلى غير ذلك من مجالات الحياة المعروفة.

كما حدد أيضا بأنّه "ما يصطفيه المخَاطِب في كلامه المنجز الخاص من المخزون الجمعي الذهني للغة"[2]؛ أي ذلك الاستعمال الفردي الخاص للغة، وتلك الاختيارات الّتي يختارها المتكلم من مخزونه اللّغوي، مثل كلمات معينة، وطرق تركيب محدد تتيح له إبلاغ ما يريد إبلاغه.

كما حاول كلا من "زينادا يويوقا" و"يوسف ستيرنين" تعريف الخطاب قالا: "يستخدم مصطلح الخطاب Discourse مؤخرا للإشارة إلى النصّ الّذي ينظر إليه من الجانب التداولي مع حساب جميع العوامل فوق اللّسانية الخاصة بتوظيفه"[3]؛ إذ الخطاب حسبهما صار يقصد به في الدّراسات الخطابيّة والتداولية المعاصرة، النصّ، ولكن منظورا إليه من زاوية التداول والسياق الخارجي والتلفظ والتخاطب.

ولعلّ المرء في هذا السياق، وفي خضم كثرة التعريفات لهذا المصطلح يطرح السؤال الآتي: ما سبب تعدد تعريفات هذا المصطلح؟.

تجيب الباحثة "مونية عبيدي" عن هذا السؤال تقول: "إنّ التعدد في تحديد مفهوم الخطاب يعود بالأساس إلى تعدد مجالات الخطاب، وتعدد الاتجاهات التي تمثل منطلقا لكل تعريف، لذلك يجب أن نضع كل مقاربة في فهم الخطاب ضمن إطارها الفلسفي والفكري؛ لنتمكن من فهمها الفهم

---

[1] Paul Baker and Sibonil ellec : Key terms in discourse analysis , continuum international Publishing group , p: 31.

[2] عبد الرحمان عبد السلام محمود: النصّ والخطاب من الإشارة إلى الميديا – مقاربة في فلسفة المصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015، بيروت، لبنان. ص: 114.

[3] زينادا يويوقا، يوسف سترنين: اللّسانيّات العامة، تر: تحسين رزاق عزيز، ص: 346.

السليم"[1]، وبهذا يظهر أنّ سبب تعدد التعريفات لهذا المصطلح هو اختلاف المنطلقات النظرية، والفكرية، والمنهجية، التي يصدر عنها كل تعريف.

وأمام هذا الاختلاف والتعدد في المفاهيم والمتصورات لهذا المصطلح، ليسعنا في هذا الموضع إلاّ أن نحدد المراد بالخطاب في هذه الدراسة، إذ هو عبارة عن "متتالية غير اعتباطية من الملفوظات"[2]، تحمل معانيا، وقصود منسجمة وفق استراتيجية محكمة، موجهة من قبل متكلم أو كاتب، إلى مستمع أو قارئ، لا يمكن إدراكها ككتلة واحدة إلاّ في ضوء سياق إنتاجها وتلقيها.

ت) خصائص الخطاب:

لقد حاول اللّسانيان دومنيك منغنو وباتريك شارودو تحديد خصائص عامة للخطاب تميزه عن سائر الكيانات اللّغوية المقاربة له، ولعلّ من أهمها ما يأتي: [3]

-الخطاب موجه: لأنّه مصمم حسب مرمى المتكلم. إنّ المتكلم يبني فعلا حسب غاية ويعتبر سائرا نحو جهة ما.

-الخطاب شكل من أشكال الفعل: (...) إنّ كل ملفوظ هو عمل (وعد، اقترح، أكد، سأل) يهدف إلى تغيير وضعية.

-الخطاب متفاعل: إنّ أوضح تجلي لهذه التفاعلية هي المحادثة حيث ينساق المتكلمان بين ملفوظاتهما، ويتلفظ كلاهما حسب موقف الآخر.

-الخطاب مظروف بمقامه: بمعنى أنّه وليد السياق والمقام الّذي أنتج فيه.

-الخطاب متكفل به: ليس الخطاب خطابا إلاّ إذا كان راجعا إلى جهة تعرض نفسها في آن واحد باعتبارها مصدر التحديدات الشخصية، والزمانية، والفضائية، وتبين ما هو الموقف الّذي تتوخاه مما

[1] منية عبيدي: تحليل الخطاب النقدي- نماذج من الخطاب الإعلامي، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016، ص: 21.

[2] جاك موشلارل وآن ريبول: لماذا يحتاج تحليل الخطاب إلى نظرية ذهنية، تر: ذهبية حمو الحاج، دراسات وبحوث مختارة: تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016، ص: 158

[3] ينظر: باتريك شارودو ودومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص: 182-183-184.

تقـول ومن مخاطبـها.

-الخطاب محكوم بمعايير: إنّه ككل سلوك اجتماعي يخضع لمعايير اجتماعية.

الخطاب واقع بين خطابات: لا يكون له معنى إلاّ داخل عالم خطابات أخرى يشق لنفسه طريقا خلالها.

كما يتميز الخطاب أيضا بأنّه "رسالة منسوجة لغويا، موجهة من باث إلى مستقبل مشتركين في قواعد اللّغة، وفي المعجم الذهني، والأعراف التداولية، وكلما تعددت الخطابات وتعدد المتكلمون ازداد أمر الخطاب وضوحا"[1]، بمعنى أنّه عبارة عن بنية لسانيّة موحدة أنجزت بغرض التواصل والتخاطب. فالملاحظ –إذن– أنّ الخطاب ذو أبعاد متعددة، لغوية، واجتماعية، وتداولية، بل وحتى سيميائية.

4.1.1 علاقة لسانيات النصّ بتحليل الخطاب:

يعلق كل من "جاك موشلارل" G.Mocschler و"آن ريبول" Reboul على هذه العلاقة يقولان: "وتوفر اللّسانيّات النصّية، وهي فن مساعد لتحليل الخطاب، جملة مفاهيم خاصة، وتكوّن إطارا يمكن أن يقع الرابط داخله بين الأعمال المعتنية بالتركيب الأكبر، والعائدات القبلية، وروابط، والأزمنة الفعلية، والحذف، والأبنية المفصولة "[2]، حيث يتضح بهذا، أنّ اللّسانيّات النصّية ما هي إلاّ رافد مساعد من روافد تحليل الخطاب، خصوصا إذا تعلق الأمر بالخطاب اللّغوي؛ إذ لا مناص من الاستعانة بهذا العلم، إذا ما حاول محلل الخطاب النظر إليه من الداخل؛ أي من خلال العلاقات النحوية والدلالية الّتي تحكمه كبنية لسانيّة.

ولقد ذهب الباحث "عبد الرحمن بودرع" في نفس الاتجاه عندما قال: "وحينما نبحث في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب، فإننا نبحث في ضميمة أو تركيبة تتألف من دراسة الخطاب وتحليله على أساس اللّسانيّات المتعلقة بالنصّ؛ فلسانيات النصّ وتحليل الخطاب تعني تحليل الخطاب ذي الأصول اللّغوية، وبمنهج لساني يفترض أنّ الخطاب بني وركبّ مراعيا البناء اللّساني ومعايير التركيب

[1] عبد الرحمن بودرع: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 5.

[2] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 335.

اللّغوي"[1]، حيث يظهر من خلال هذا القول، أنّ لسانيات النصّ هي جزء من تحليل الخطاب، خصوصا إذا كنا بإزاء خطاب لغوي؛ إذ يقتضي التحليل العلمي للخطاب اللّغوي البدء أولاّ ببنيته اللّسانيّة، والعلاقات الّتي تحكمها، مثل: علاقات الاتّساق، والانسجام، ثمّ بعد ذلك النظر في علاقات الخطاب بواقعه وسياق إنتاجه؛ أي بتواصليته وتداوليته.

ولقد أكّد الباحث "عبد الرحمن بودرع" في موضع آخر ما ذهب إليه سابقا قال: "لا شكّ أنّ تحليل الخطاب ذي الأساس اللّغوي، لا يقوم ولا يتحصل إلاّ بشرط المرور على طريق لسانيات النصّ؛ لأنّ هذه اللّسانيّات مرحلة في بناء الجسم اللّغوي الّذي للنصّ، فإن لم يتحقق شرط البناء اللّغوي المتماسك الّذي يؤلف بين أجزاء النصّ المنجز ومؤلفاته، فلا يتصور خطاب يستحق التحليل، فبناء النصّ أكبر رافد لقيام الخطاب"[2]؛ إذ لا غنى لمحللي الخطاب اللّغوي عن اللّسانيّات النصّية؛ لأنّهم سوف يتعاملون مع النصّ الّذي يعتبر أكبر رافد لإنتاج الخطاب.

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ اللّسانيات النصّية ما هي إلاّ علم مساعد من العلوم الّتي يعتمد عليها محللو الخطاب، ويكون ذلك بحسب نوعية الخطاب موضوع التحليل، ومن ثمّة، فلا مجال للمرادفة بينها وبين تحليل الخطاب؛ لأنّ تحليل الخطاب مجال يشمل ويستدعي عدة علوم، بحسب الحاجة أولاّ، وبحسب نوعية الخطاب المراد تحليله ثانيا، فإذا كنّا مثلا بإزاء خطاب في شكل صورة، فلا حاجة لمحلل الخطاب في هذا الوضع باللّسانيّات النصّية؛ لأنّ الخطاب المراد تحليله ليس بلغة أولاّ، وليس بنصّ ثانيا، وإنّما يحتاج المحلل في هذه الحالة إلى مناهج وطرق ومفاهيم غير لغوية؛ لأنّ الخطاب موضوع التحليل في هذه الحالة هو خطاب غير لغوي.

5.1.1 خطابية النصّ:

تعد الخطابية (بكسر الخاء) من أهم المفاهيم الّتي تم التطرق إليها بشكل كبير في البحوث

[1] عبد الرحمان بودرع: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 4

[2] عبد الرحمان بودرع: النصّ الذي نحيا به، ص: 40

النصّية، والتداولية، والبلاغية، ومن ثمّة سيجد الباحث لها عدة مفاهيم وتصورات؛ حيث يراد بها في بعض المواضع "دور النصّ الواحد ضمن منظومة معينة من النصوص المكونة لوحدة تواصلية تبلورت في ممارسات المجتمع عبر التاريخ"[1]؛ إذ يفهم من خلال هذا الكلام أنّ المقصود بخطابية النصّ هي انتمائه لمجموعة من النصوص الّتي تشكل وحدة تواصلية واحدة، كما توصف الخطابية أيضا بأنّها "مجموعة النصوص المتعلقة بمجال معين من حيث تمثل نظام التفكير واحتجاج"[2]، كأن تكون هذه النصوص مثلا: دينية، أو إعلامية، أو فلسفية، إلى غير ذلك ...، بيد أنّ السؤال الّذي يطرح في هذا الموضع هو: على أي أساس يمكن القول بأنّ مجموعة معينة من نصوص ما تشكل خطابا أو تشكيلة خطابية واحدة؟ يجيب الباحثان "مارقوت هاينيمان" و"فولفقانق هاينيمان" على هذا السؤال يقولان: "ثمة عاملين أساسيين يحدد على أساسهما الخطاب ويقرر في ضوئهما انتماء النصّ الفردي إلى مجموعة (أي خطاب معين)، هما الاشتراك في الموضوع من ناحية، والعامل البراغماتي من ناحية أخرى"[3]، فوحدة الموضوع، ووحدة الغاية التواصلية، شرطان أساسيان للقول بأنّ مجموعة نصوص معينة تشكل خطابا أو تشكيلة خطابية واحدة.

في الحقيقة، إنّ المعيرين السابقين لا يسعفان كثيرا في تحديد ما إن كانت مجموعة معينة من نصوص تشكل خطابا أم لا، وذلك راجع لتعددية المواضيع داخل النصّ الواحد من جهة، ولاختلاف الغايات التواصلية من جهة أخرى، وبالتالي لا يمكن اعتبارهما معيرين نهائيين في تصنيف مجموعة من النصوص ضمن خطاب واحد.

إنّ المراد بالخِطابية النصّ في هذه الدراسة هي تجاوز التحليل من مستوى النصّ إلى مستوى الخطاب؛ لأنّ تحليل البنية اللّغويّة وحدها لا تكفي في فك شفرات النصّ والوقوف على أسراره والمقصد منه، ولذلك لا بدّ من استحضار مقصدية المتكلم، وإدماج أطراف التخاطب، والسياق

[1] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص:4.

[2] المرجع نفسه، ص: 74.

[3] المرجع نفسه، ص: 73.

المقامي للقول، وظروف الإنجاز[1]، من أجل فهم سليم لمعان ودلالات وأهداف وغايات الخطابات.

فالواضح من خلال ما سبق إذن، أنّ خطابية النصّ هي ارتباطه بسياقه وظروف إنتاجه وتلقيه، ولا يتم ذلك إلاّ بمعرفة منتجه، ومستقبله، ومكان وزمان إنتاجه، وذلك من أجل تحليله وفهمه وتأويله التأويل صحيح الموافق لما أراده منه منتجه.

6.1.1 علاقة الكلام بالخطاب:

للكلام دور كبير في حياة الإنسان، حيث يعتمد عليه الفرد في قضاء حوائجه؛ فالإنسان مثلما هو معلوم كائن ناطق، يعبر عن أفكاره وما يختلج مشاعره عن طريق النطق والتكلم مع الغير؛ حيث "أشارت الدّراسات الّتي قام بها العلماء من مختلف البلدان إلى أنّ الإنسان يتكلم في اليوم من نصف ساعة إلى ساعة، وهذا يعني أنّ الإنسان يضيع في الحوار سنتين ونصف من عمره"[2]، فالكلام يشغل حيزا كبيرا في حياة الإنسان، يحدد التكلم، أو الكلام الخارجي بأنّه "ظاهرة مادية بدنية فيزيائية"[3]، فهو عبارة عن أصوات ينتجها جهاز النطق الإنساني وتكون هذه الأخيرة خاضعة لنظام لغوي ما، كما عرّف أيضا بأنّه "المنطوق الفردي"[4]، وذلك تمييزا له عن اللّسان الّذي يكون جماعيا بالمفهوم السوسيري، من مفيد التنبيه في هذا الموضع إلى أنّ الكلام ينقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:[5]

-الكلام المرتفع: وهو الكلام الاعتياديّ الّذي يتوافق ارتفاعه مع الموقف التواصلي.

-الكلام المهموس: هو كلام ذو مستوى منخفض، يستعمل في مواقف خاصة لا يمكن فيها استعمـــال الكـــلام المرتفع.

---

[1] هشام بحيري: تحليل الشاهد الشعري بين النصّية والخطابية- شواهد خزانة الأدب أنموذجا، ص: 109.

[1] حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، ص:109.

[2] زينادا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللسانيات العامة، تر: تحسين رزاق عزيز، ص: 307.

[3] المرجع نفسه، ص:308.

[4] جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص: 134.

[5] المرجع السابق، ص: 308.

-التكلم الداخلي (غير المسموع): هو كلام مبني وفق قواعد الكلام الخارجي جميعها، لكنّه ذو صوت مغلق، وتكون أجهزة النطق في هذه الحالة مفعّلة ولكن هناك أمر بإغلاق الصوت.

يلاحظ من خلال ما سبق، أنّ أنواع الكلام ثلاثة تخضع للسياق أو للموقف التواصلي، ففي بعض الحالات يكون الكلام المهموس أنسب من الكلام المرتفع العادي، وفي حالات أخرى يكون الكلام المرتفع هو الأنسب، وهكذا، بحسب السياق والمقام والظروف المحيطة بالمتكلم.

ويرى الباحث عبد الرحمن الحاج صالح، وهو باحث لسانيّ جزائريّ أنّ "لفظة كلام تدلّ على مجموع ما يتكلم به قوم وطريقتهم في الكلام، وهو قريب مما تدلّ عليه لفظة لسان، إلاّ أنّ في مدلوله معنى الطريقة الخاص بقوم في الكلام"[1]، حيث يقارب الباحث "الحاج صالح" في مقولته هذه بين الكلام واللّسان والطريقة الخاصة في الكلام الّتي هي اللهجة، والمعروف أنّ هذه الأصناف مختلفة، فلكل منها ماهيته ومجاله الخاص به.

يختلف الكلام عن الخطاب بحسب الباحث الحاج صالح في أنّ "للفظة الكلام مجالا دلاليا واسعا، وأمّا لفظة خطاب فأضيق منها، فللكلام مدلولات لا دخل للخطاب فيها مثل قولهم: كلام العرب ومثل: الكلام المستغني الدال عند سيبويه على الجملة المفيدة"[2]، فالكلام إذن أعمّ من الخطاب، فكل خطاب كلام، وليس كل كلام خطاب؛ لأنّ "الخطاب لا يكون إلاّ في مخاطبة، وهذا اللّفظ نفسه مصدر خاطب، فلا يتصور خطاب إلاّ في حال خطابية مع مخاطب معين"[3].

إنّ الخطاب ممارسة كلامية خاصة، وواعية، ومقصودة، مبنية وفق استراتيجية مضبوطة لتحصيل غايات وفوائد تواصلية واجتماعية معينة، ومن ثمّة فلا مجال للمرادفة بينه وبين الكلام الّذي هو شيء عـادي يجيده كـل متحدث ومتكلم.

[1] عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص: 13.

[2] المرجع نفسه، ص: 13.

[3] المرجع نفسه، ص: 13.

7.1.1 الفرق بين النصّ والخطاب:

يعتبر مصطلحا النصّ والخطاب من أبرز المصطلحات الّتي استعملت بشكل فضفاض؛ حيث يوصف النصّ أحيانا بأنّه خطاب، ويوصف الخطاب في أحيان أخرى بأنّه نصّ، يعلق "الباحثان زينادا يويوقا" و"يوسف ستيرنين" على هذه الإشكالية يقولان: "ليس هناك حتّى يوم النّاس هذا تمييز واضح بين مضمون مصطلحي الخطاب والنصّ رغم وجود نزعة ملحوظة لاستعمالهما، إنّ المهم بالنسبة للخطاب هو المواقف الّتي يجري فيها النشاط الكلامي، وفعالية تأثيره على المتلقي، والأهمّ للنصّ بنيته الداخليّة"[1]، حيث يفهم من خلال كلام الباحثين السابقين أنّ الخطاب والنصّ شيئان مختلفان؛ إذ يغلب على الخطاب ارتباطه بسياق إنتاجه وتقبله، بينما يغلب على النصّ ارتباطه ببنيته الداخلية، وبالتالي فإنّ المرادفة بينهما غير دقيقة، كما قام نفس الباحثين برصد مجموعة من الفروقات بين المصطلحين أجملاها في الجدول الآتي: [2]

الخطاب	النصّ
شفوي	مكتوب
حوار	منولوج
ممتد متواصل	قد يكون قصيرا أيضا
تناسق بين أفعال الكلام	تماسك سطحي للكلمات والجمل
احتواء على وسائل دعم الكلام	غير موجود

يظهر من خلال الجدول أعلاه، أنّ الخطاب يتميز بالشفوية، والمحاورة، وأفعال الكلام؛ أي الأفعال القصدية، وكذا وسائل دعم الكلام الّتي يقصد بها العلامات والإشارات باليد، والجوارح، وقسمات الوجه وغيرها، بينما يتميز النصّ بالكتابة، والحوار الداخلي، والقصر، وتماسك كلماته وجمله، بالإضافة إلى انعدام وسائل دعم الكلام.

[1] زينادا يويوقا، يوسف ستيرنين: اللّسانيّات العامة، تر: تحسين رزاق عزيز، ص: 346.

[2] المرجع نفسه، ص: 346.

إنّ الاختلاف الحاصل بين المفهومين لا يعني غياب التداخل والتكامل والاستفادة المشتركة والمتبادلة بينهما، "فالنصّ يختلف عن الخطاب من جهات، ويوافقه من جهات؛ فهو يوافق الخطاب من حيث إنّه يمده بشروط البناء اللّغوي والنسيج التركيبي، ويضمن له شروط النشأة، ولكنّه يخالفه في الانتقال به من بناء مغلق ساكن "أثبتته الكتابة" كما قال ريكور، إلى بناء متحرك بين المتكلم والمخاطَب في سياق معين"[1]، فمن الواضح –إذن– "أنّ الخطاب يحمل في صلبه النصّ اللّغوي في بناءه وتماسكه، ويزيد عليه بإدماج أطراف التخاطب، ومقاصد الخطاب، وظروف الزمان والمكان الّتي تنجز فيها أفعال الكلام"[2]، وهو نفس ما ذهبت إليه الباحثة "مونية لعبدي" حين قالت: "أنّ ما يميز الخطاب عن النصّ أو الجملة هو هذه المستويات التداولية المتمثلة في المقاصد، والعلاقات والإحالات والوظائف"[3]؛ إذ أهمّ شيء في الخطاب هو تلك المعاني والعلاقات، والمقاصد الجزئية والكليّة الّتي لا يتأتى الوصول إليها إلاّ من خلال وضع الخطاب في سياقه، وظروف إنتاجه وتقبله، فالخطاب مثلما هو معلوم "لا يدلّ إلاّ في وسط مقامي، وفي إحالة على المرجع، وقد يتسع الطرف المتلقي فيصير جمعا؛ فاللّغة تثبت النصّ نسيجا ناظما، والخطاب بناء نصيّ تثبته القرائن اللّغويّة والتداولية في الواقع المحيط بالخطاب"[4].

ولقد حاول الباحث "عبد الرحمن بودرع" التطرق للعلاقة المعقدة بين مصطلحي النصّ والخطاب قال: "إنّ الخطاب عندما ينجز من صلب النصّ فإنّ الشروط التداولية المقيِدة تتخفف؛ فيتسع عدد القراء والمتلقين، وتتداوله الأيادي، ويتسع نطاق تلقيه، ولكن عند تحليل الخطاب يوضع الخطاب في سياقه وظروف قوله في ضوء إعادة بناء السياق Recontextualization؛ لأنّ الناقد

---

[1] بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقيبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، 2001، ص: 106.

نقلا عن: عبد الرحمن بودرع، من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 5.

[2] عبد الرحمان بودرع: النص الّذي نحيا به، ص: 40

[3] منية عبيدي: تحليل الخطاب النقدي– نماذج من الخطاب الإعلامي، ط1، دار الكنوز، 2016، ص: 20.

[4] عبد الرحمن بودرع: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 5.

المحلل يحتاج إلى استكشاف القرائن المصاحبة "[1]، إذ عملية تحليل الخطاب تقتضي ما يسمّى بتسييق الخطاب، حيث لا بدّ من إعادة بناء سياق الخطاب من جديد، وذلك بغية معرفة معانيه، ومقاصده، وأغراضه، ومراميه.

وعلى أي حال، وعلى الرغم من كثرة تداول المصطلحين في الأدبيات اللّسانية والنقدية بطريقة توحي وكأنّهما مترادفين، إلاّ أنّ الحقيقة غير ذلك، فلكل منهما خصائصه ومميزاته الّتي تميزه عن الآخر، وإن كان التكامل بينهما غير منفي، فالنصّ مثلما هو معروف موضوع للسانيّات النصّية، بينما الخطاب هو موضوع للتداوليات وتحليل الخطاب.

8.1.1 وظيفة محلل الخطاب:

لقد حاول الباحث "جورج يول" G.Yule في كتابه "تحليل الخطاب" تلخيص وظيفة وعمل محلل الخطاب في النقاط الآتية: [2]

- يركز محلل الخطاب على الوظيفة الّتي يقوم بها أو الغرض الّذي يرمي إليه عنصر ما من المادة اللّغويّة، وكذلك بالكيفية الّتي تعالج بها تلك المادة سواء من قبل الباث أو المتلقي، وكنتيجة طبيعية لذلك، سيهتم محلل الخطاب بنتائج التجارب الجارية لفهم عملية المعالجة اللّسانيّة النفسيّة للخطاب، وذلك على نحو لا نجد مثله لدى نحاة الجملة.
- في تحليل الخطاب –كما في علم المقاصد– يتجه اهتمام محلل الخطاب إلى ما يفعله النّاس وهم يستعملون اللّغة، كما يفسر الظواهر اللّغوية في الخطاب بوصفها وسائل مسخرة لما هم بصدد فعله.
- يعالج محلل الخطاب مادته اللّغويّة بوصفها مدونة (نصّا) لعملية حركية، استعملت فيها اللّغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل المتكلم، أو كاتب، للتعبير عن معان، وتحقيق مقاصد

[1] عبد الرحمان بودرع: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، ص: 5.

[2] ج. براون، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص: 31-32-33- 35-249-253.

(الخطاب). وانطلاقا من هذه المادة، يسعى المحلل إلى وصف مظاهر الاطراد في الإحداثات اللّغويّة الّتي يستعملها النّاس لإيصال تلك المعاني والمقاصد.

- إنّ محلل الخطاب يتوخى بالضرورة منهجا مقاصديا في دراسة اللّغة كما هي مستعملة.
- يتحتم على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الّذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب.
- يهتم محلل الخطاب أولا، وقبل كل شيء، بدراسة بيانات ناتجة عن استعمالات حقيقية للتعبيرات اللّغوية في إطار سياقات قابلة للتعريف، ولأغراض خاصة، لا بالاستعمالات الممكنة لهذه التعبيرات.
- إنّ محلل الخطاب شأنه في ذلك شأن السامع و(القارئ)، عليه طول الوقت أن يقبل حقيقة كون المسميات المعرفة الّتي يستعملها المتكلم (أو الكاتب) تهدف إلى الإحالة على شخص في العالم.

يتضح من خلال جملة هذه العناصر، أنّ الشغل الشاغل لمحلل الخطاب هو تحديد وضبط معاني الخطاب، ومقاصده الجزئية والكلية، فهي المقصد، والمرام، والمطلب العام من خلال عمله كلّه.

9.1.1 الكفاءة الخطابية:

يقسم اللّساني ومحلل الخطاب "باتريك شارودو" الكفاءة إلى ثلاثة أنماط رئيسية هي:[1]

– الكفاءة المقامية: وهي الّتي تقتضي من شخص الّذي يتواصل أن يكون قادرا على بناء خطابه حسب هوية أطراف التبادل، وغائية التبادل، والقول المعني، والظروف التبادل المادية.

– الكفاءة الخطابية: وهي الّتي تقتضي من كل شخص أن يكون قادرا على التصرف في التعرّف على طرق الإخراج الخطابي الّتي تعكس الإكراهات المقامية، وعلى معارف الدراية والمعتقد، الّتي يفترض أنّها مشتركة، وتقوم شاهدا على تموقع محدد.

[1] ينظر: باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 113.

– الكفاءة السيميائية اللّسانية: وهي الّتي تقتضي من كل شخص يتواصل أن يكون قادرا على التصرف في – التعرف على أشكال الكلمات وقواعد توليفها ومعناها.

يلاحظ من خلال أنواع الكفاءات الّتي ذكرها "شارودو" Charaudeau أنّ الكفاءة الخطابية تتلخص في مقدرة المرء على التحكم في طرق صناعة الخطاب وإخراجه بما يتوافق وسياق التواصل والتخاطب.

10.1.1 الاستراتيجيات الخطابية:

قبل التطرق لمصطلح الاستراتيجية الخطابية ينبغي أولاّ التعرف على المقصود بمصطلح الاستراتيجية؛ إذ حددها الباحث "عبد الهادي بن ظافر الشهري" بأنّها "خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود، وبما أنّها كذلك؛ أي خطة، فهي ذات بعدين؛ أولهما: البعد التخطيطي، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثنيهما: البعد المادي الّذي يجسد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا، ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيسي، فهو الّذي يحلل السياق، ويخطط لفعله؛ ليختار من الإمكانات ما يفي بما يريد فعله حقا، ويضمن له تحقيق أهدافه"[1]، فالاستراتيجية عامة مثلما هو واضح من خلال كلام "عبد الهادي بن ظافر الشهري" ذات بعدين رئيسيين: الأوّل تخطيطي، والثاني مادي، فهما مدار صناعة الاستراتيجية وبناؤها.

وأمّا الاستراتيجية في مجال الخطاب، أو ما يسمّى بالاستراتيجية الخطابية، فقد حددت بأنّها "عبارة عن المسلك المناسب الّذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيد إرادته، والتعبير عن مقاصده، الّتي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللّغويّة وغير اللّغويّة، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل"[2]، وأمّا الباحث "محمد يونس علي" فيرى أنّها "طريقة في التعبير ترتبط بخطة ذهنية بسيطة أو مركبة، ترمي إلى استثمار بعض المعطيات الوضعية، أو السياقية، أو القدرات المنطقية، أو الأصول التخاطبية، أو الوسائل الخطابية المتاحة، أو

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 53.

[2] المرجع نفسه، ص: 62.

أكثر من نوع منها لتحقيق غاية أو أكثر من غايات التخاطب"[1]، فالاستراتيجية الخطابية هي تلك الطريقة أو الخطة الّتي يبني عليها المتكلم خطابه، وتكون خاضعة وموافقة للسياق الخطاب ومتطلباته، وهادفة إلى تحقيق أغراض المتكلم وغاياته.

11.1.1 موضوع الخطاب:

يرى الباحثان "كينن" keenen و"شيفلن" Schlieffen أن موضوع الخطاب هو القضية الّتي تحظى بالاهتمام المباشر في النصّ[2]، كما تمت الإشارة لموضوع الخطاب أيضا بأنّه "نظير للعنوان"[3]، بيد أنّ ذلك ليس معمما على جميع النصوص، فبعض النصوص لا يجد المرء أي علاقة بين عنوانها والموضوع الّذي تعالجه، مثل: النصوص الروائية مثلا، كما تمّ وصفه أيضا بأنّه هو الّذي "يختزل وينظم ويصنف الإخبار الدلالي للمتتاليات ككل"[4]؛ بمعنى أنّه عبارة عن فكرة عامة مختزلة للمتتاليات أو الفقرات المكونة للنصّ ككل، وهذا الوصف أقرب شيء إلى الصواب، فموضوع الخطاب ليس شيئا معطى أو جاهزا في الخطاب أو النصّ، إنمّا يجب على القارئ أو المحلل البحث عنه، ولا يتم له ذلك إلاّ من خلال القراءة المتكررة للنصّ إلى غاية تحديد موضوعه بدقة؛ إذ يتم ذلك في الغالب بشكل حدسي؛ لأنّه نتاج قراءة متواصلة للنصّ موضوع التحليل.

2.1 التداولية المفهوم والمجال

1.2.1 نشأة التداولية:

تعود البدايات الأولى لظهور ما سيعرف فيما بعد في الدراسات اللّسانية والنقدية بالتداولية، إلى مجال فلسفة اللّغة، حيث يقول الباحث "عبد الرحمن الحاج صالح" في هذا الصدد: "وظهر الاهتمام بظواهر التخاطب كموضوع علمي أوّل ما ظهر- لا عند اللّسانيين، بل عند بعض فلاسفة اللّغة

---

[1] محمد محمد يونس على: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى- نحو بناء نظرية المسالك والغايات، ص: 77-78.

[2] ينظر: ج. براون و ج. يول، تحليل الخطاب: تر: محمد لطفي الزليطني ومنير تريكي، ص: 87

[3] المرجع نفسه: ص: 87

[4] محمد خطابي: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:42.

الأمريكيين، ومنهم المؤسس لعلم السيميـــاء (semiotics) وموضوعه الدراسة العلمية للأدلة أيا كان نوعها، وهو شارل ساندريس بيرس"[1]، لتظهر التداولية فيما بعد بجلاء، حيث حدد لها موضوعها، وموضعها من العلوم الّتي تدرس اللّغة، وكان ذلك "في سنة 1938، عندما ميز الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس charles morris في مقال كتبه في موسوعة علمية، بين مختلف الاختصاصات الّتي تعالج اللّغة وهي: علم التركيب (وبالإجمال النّحو الّذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة (الّذي يدور على الدلالة الّتي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه)، وأخيرا التداولية الّتي تعنى في رأي موريس بدراسة العلاقة بين العلامات ومستخدميها"[2]، ليتواصل فيما بعد ظهورها وتطورها بشكل لافت مع فيلسوف اللّغة "جون أوستين" G.Austin سنة 1955، عندما ألقى محاضرات "وليام جيمس" الّتي ستكون بوتقة التداولية اللّسانية، وستمثل فيها قطب الرحى طوال ثلاثين سنة[3].

لا بدّ من الإشـــارة في هذا الموضع إلى أنّ أهم شيء توصل إليه فيلسوف اللّغة "أوستن" من خلال مناقشته لمحاضرات "وليام جيمس" هو تقسيم الجمل إلى وصفية: وهي الّتي تحتمل الصدق والكذب. وإنشائية: وهي الّتي لا تحتمل الصدق والكذب مثل: جمل الاستفهام، والأمر، والتعجب وغيرها[4]، حيث يحسب لأوستن انتباهه لظاهرة جديد في اللّغة تتمثل في المنطوقات الّتي تغير الواقع، كما أتى بنظرية جديدة في هذا المجال ستعرف بنظرية الأفعال الكلامية، والّتي سنتطرق إليها فيما يأتي من هـــذه الدارسة.

[1] عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص: 210.

[2] جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 29.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص: 31.

2.2.1 مفهوم التداولية:

عرفت التداولية بأنّها "دراسة استعمال اللّغة ومستعملي العلامة في المواقف"[1]، كما حاول الباحث "فرانسيسكو راموس" F.Ramose تحديدها قال: "تهتم التداولية إذن، بالمظاهر السياقية لإنتاج واستقبال الخطاب"[2]؛ إذ تركز التداولية في نظره على عملية إنتاج القول أو الخطاب، وكذا عملية تلقيه، كما حددت التداولية أيضا بأنّها "دراسة تهتم باللّغة في الخطاب، وتنظر في الوسيمات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي"[3]، ولقد قام الباحث "جورج يول" G.Yule برصد أربع تعريفات للتداولية، محاولا بذلك رصد مختلف الظواهر الّتي تندرج ضمن نطاق اختصاصها، وهذه التعريفات هي:[4]

- التداولية هي دراسة المعنى الّذي يقصده المتكلم.
- التداولية هي دراسة المعنى السياقي.
- التداولية هي دراسة كيفية ايصال أكثر مما يقال.
- التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي.

يلاحظ تمحور التعريفات الّتي جاء بها "جورج يول" G.Yule للتداولية حول مباحث القصدية، والمعاني المضمرة، وكذا الإشاريات، بالإضافة إلى قضايا أخرى سيأتي بيانها في موضعها.

كما حددت التداولية أيضا بأنّها "نظرية استعمالية من حيث دراستها للّغة في إطار استعمال الناطقين بها؛ انطلاقا من أنّ المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولا مرتبطا بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، بل صناعة المعنى تكمن في تداول اللّغة واستعمالها بين المتكلم والسامع في سياق

---

[1] ماجد الماشطة وأمجد الركيبي: مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018م-1439، ص: 19.

[2] فرانثيسكو يوس راموس: مدخل إلى دراسة التداولية – مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل، تر: يحي حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع – العراق، ط1، 2014، ص: 31.

[3] فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى هوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط 1، 2007م، ص: 18.

[4] جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010، ص: 19-20.

محدد، (مادي، واجتماعي، ولغوي، ومؤسساتي) وصولا إلى المعنى الكامن في خطاب ما"[1]، فواضح –إذن– حسب هذا التعريف أنّ التداولية تهتم بالمعنى الخطابي؛ أي المعنى التداولي الناتج عن عملية التواصل والتخاطب ضمن السياق الاستعمالي، وليس بالمعنى الحرفي الناتج عن دلالة الكلمات أو الجمل خارج مجال الاستعمال.

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ التداولية مجال بحثيّ جديد إذا ما قورنت باللّسانيات الحديثة؛ حيث حاول الباحثون المهتمون بهذا العلم الجديد التركيز على قضايا لم تحظى بالاهتمام في مجال علوم اللّسان، مثل قضايا التخاطب والتواصل، فالتداولية إذن، هي ذلك العلم الجديد الّذي يهتم باللّغة في الاستعمال؛ بمعنى أنّها تركز على العملية التخاطبية والتواصلية ككل؛ إذ لا يمكن فصل اللّغة عن واقعها، وأي محاولة في ذلك تعتبر تجزيئا وتشويها للغة كموضوع للدّارسة العلميّة.

3.2.1 موضوع التداولية:

بما أنّ التداولية علم جديد يهتم بالظواهر التواصلية الّتي كانت مهملة في الدرس اللّساني، فإنّ السؤال الّذي يطرح في هذا الموضع هو: ماهي أهم الإشكالات الّتي تسعى التداولية لمعالجتها؟ لقد حاول الباحث "حسن بادوح" تحديد أهم هذه الإشكاليات، مع تحديد إجابات لها حيث قال: ينبغي للتداولية أن تجيب عن الأسئلة الأتية:[2]

- ماذا نفعل عندما نتكلم؟ (فعل الكلام).
- ماذا نقول عندما ما نتكلم؟ (مقول الكلام).
- من يتكلم؟ (المتكلم).
- مع من يتكلم؟ (المخاطب).
- لماذا يتكلم بهذا الشكل، وليس بذلك؟ (صيغ الكلام).

---

[1] مرتضى جابر باقر: اللّسانيّات التداولية في الخطاب القانوني – قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، الرباط، المغرب، دار الأمان، ط1، 2015، ص: 18.

[2] حسن بدوح: المحاورة– مقاربة تداولية، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، ط1، 2012، ص: 9.

- كيف يمكن أن نقصد إلى إبلاغ معنى غير الذي يدل عليه منطوق الكلام؟ (إشكالية القصد).
- هل يمكن الاقتصار على المعنى الحرفي لفهم كلام ما؟ (مستويات المعنى).
- ماهي الاستعمالات الممكنة للغة؟ (استعمالات اللغة).

تلكم هي أهم الإشكالات الّتي يسعى الدرس التداولي للإجابة عنها؛ إذ تتعلق في مجملها بأطراف العملية التواصلية، والقصد، والأفعال الكلامية.

ولقد حاول نفس الباحث رصد أهم القضايا الّتي تتناولها التداولية بالدراسة والتحليل قال: "وقد تمّ تحديد بعض القضايا اللّغوية الّتي تضعها التداولية موضوعا دراسيا لها وفي مقدمتها الأفعال اللّغوية، الحجاج la argumentation، والمدولات المسكوت عنها les sous- entendus، والقواعد الحوارية les loix de la conversation، بالإضافة إلى خوضها في العديد من القاضيا الّتي كانت تنتمي إلى مجال الدراسي لعلم الدلالة، وحتى المنطق، مثل: الإحالة la réference، والاقتضاء la présupposition، والجهات les inodalités"[1]، فكل هذه الظواهر هي من صميم الدرس التداولي ومن مباحثه؛ إذ عليها يتوقف برنامجه البحثي، وبها يقوم.

4.2.1 مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية حسب الباحث "مسعود صحراوي" في النقاط الأتية:[2]

- دراسة استعمال اللّغة فهي لا تدرس "البنية اللّغويّة ذاتها، ولكن تدرس اللّغة حين الاستعمال في الطبقات المختلفة؛ أي باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد؛ لتحقيق غرض تواصلي محدد.
- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

[1] حسن بدوح: المحاورة- مقاربة تداولية، ص: 8-9.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ص: 26-27.

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- شرح أسباب فشل المعالجة اللّسانية الصرفة في معالجة الملفوظات.

فالتداولية كمجال بحثي جديد في اللّغة تسعى إلى تدارك النقائص الّتي عانت منها العلوم اللّغويّة واللّسانيّة السابقة في دراسة اللّغة.

3.1 اتجاهات التداولية:

1.3.1 تداولية أفعال الكلام:

تمثل هذا الاتجاه أعمال فيلسوف اللّغة "أوستين" وكذا تلميذه "سيرل" Searl، حيث ظهر هذا الاتجاه أوّل ما ظهر مع فيلسوف اللّغة "أوستين"؛ عندما توصل إلى أنّ الأقوال أو الملفوظات اللّغويّة تنقسم إلى نوعين اثنين، وليست نوعا واحدا مثلما كان يعتقد سابقا، وهذان النوعان هما:[1]

- **الأقوال التقريرية** Constative locutions**:**

وهي الأقوال الّتي تصف وقائع العالم، وتكون إمّا صادقة أو كاذبة.

- **الأقوال الأدائية** Performative locutions**:**

وهي الأقوال الّتي تنجز في سياقات خاصة للدلالة على المعاني الّتي لا توصف بصدق أو كذب، مثل التسمية، والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد.

حيث تعتبر الأقوال أو الملفوظات الأدائية هي محور نظريته المعروفة بنظرية الأفعال الكلامية، والّتي يميز فيها بين" ثلاثة أنواع من الأعمال اللّغويّة: العمل الأول هو العمل القولي، وهو العمل الّذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، أمّا الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الّذي يتحقق بقولنا شيء ما، وأمّا الثالث، فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الّذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما"[2]، ويمكن تمثيل هذا هكذا:

---

[1] محمد عكاشة: النظرية البراجماتية اللّسانيّة (التداولية) – دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الأداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص: 97.

[2] ينظر: جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 31-32.

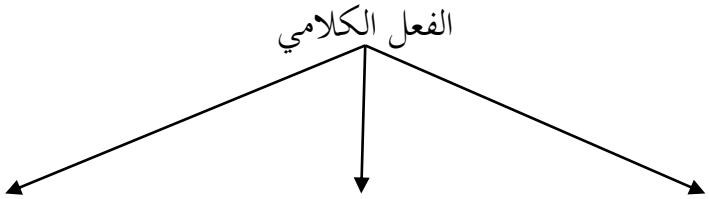

حيث يقصد بفعل القول التفوه أو التلفظ بصيغة لغوية معينة، وأمّا الفعل المتضمن في القول فهو الفعل القصدي الّذي يعتبر أصغر وحدة للتواصل حسب "سيرل"Searle ، وأمّا الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري فالمراد به الأثر الّذي يتركه هذا الفعل في المتلقي[1].

أ) أقسام الأفعال الكلامية عند أوستين Austin:

لم يقف فيلسوف اللّغة "أوستين" في أعماله اللّغويّة التداولية عند حدّ تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية فقط، بل أتبع ذلك بتقسيم عام حاول من خلاله أن يصنف جميع الأفعال الكلامية في اللّغة إلى خمسة أقسام كبرى هي: [2]

فعل البيان Declaration: فعل كلام يؤدي إلى تغيير عبر تفوهه كأن يصدر القاضي حكما.

فعل التمثيل Representative: فعل كلام يحدد ما يعتقد المتكلم أنّه الحالة الصحيحة أو غير الصحيحة، مثل قول الحقيقة والتأكيد والاستنتاج والوصف؛ أي أن يمثل المتكلم العالم كما يراه مصيبا أحيانا ومخطئا أحيانا أخرى.

فعل المعبر Expressive: فعل الكلام يعبر فيه المتكلم عن مشاعره وميوله، إنّه يعبر عن الحالة النفسية.

فعل الموجه Directive: فعل كلام يستعمل لجعل شخص آخر يعمل شيئا، إنّه يعبر عما يريده المتكلم، ويأتي بصيغة وعد أو تهديد أو رفض أو تعهد.

---

[1] ينظر: مجيد الماشطة وأمجد الركابي: مسرد التداولية، ص: 90-91.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 97-98.

فعل الملزمCommissive : فعل كلام يلزم المتكلم نفسه بعمل مستقبلي بعمل مستقبلي محدد، إنّه يعبر ما ينويه المتكلم، ويأتي بصيغة وعد أو تهديد أو رفض أو تعهد.

تعدّ حسب "أوستين" Austinهذه هي الأصناف الكبرى الّتي تندرج ضمنها الأفعال الكلامية الصغرى، مثل الأمر، والتهديد، والوصف، والتأكيد، والاستنتاج، والاستفهام، والنفي، والدعاء، والنداء وغيرها من الأغراض الكلامية المعروفة.

ويمكن تلخيص الأصناف أو الوظائف الخمسة السابقة ضمن الجدول الآتي:[1]

نوع فعل الكلام	اتجاه المواشجة	المتكلم والحالة
بيان	الكلمات تغير العالم	المتكلم يسبب الحالة
تمثيل	يجعل الكلمات تلائم العالم	المتكلم يؤمن بالحالة
معبر	يجعل الكلمات تلائم العلم	المتكلم يشعر بالحالة
موجه	يجعل العالم يلائم الكلمات	المتكلم يريد الحالة
ملزم	يجعل العالم يلائم الكلمات	المتكلم ينوي الحالة

يلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ أفعال التمثيل والتعبير تجعل الكلمات تلائم العالم، بمعنى تتوافق معه، بينما أفعال التوجيه والإلزام تجعل العالم هو الّذي يناسب الكلمات، أي عكس الأولى، بينما أفعال البيان تجعل الكلمات تغير العالم.

ب) أقسام الأفعال الكلامية عند سيرل Searle:

لم يخرج فيلسوف اللّغة "سيرل" Searl عن معلمه "أوستين" Austinكثيرا في مسألة تصنيف الأفعال الكلامية، حيث اقترح تقسيما آخرا للأفعال الكلامية مقاربا لما أتى به أستاذه في هذا المجال، وتمثل تقسيمه الجديد في الأصناف الآتية:[2]

-التأكيدات Assertifs: وتجعل وجهة التأكيدات المتكلم ينخرط (بدرجات مختلفة) في حقيقة

[1] ماجد الماشطة وأمجد الركيبي: مسرد التداولية، ص: 99.

[2] فرونسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء العربي، المغرب، دط، 1986، ص: 66-67-68.

القضايا المعبر عنها، على أن يكون شيء ما حالة بالفعل، لتعين قيم الحقيقي والخاطئ.

-الأوامرDirectifs : وتقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على حصول المتكلم بواسطتها على قيام المستمع بشيء ما، ويمكن لهذه الأوامر أن تنطلق من الاقتراح الخجول، لتصل إلى المطالبة الإجبارية.

-الالتزامات Commissifs : ويتبني سيرل التعريف الأوستيني للالتزامات، كشيء لا يمكن تجاوزه، فالالتزامات هي الأفعال الإنجازية، التي تكون فيها الوجهة، في جعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي.

-التصريحاتExperssifs: وتعد وجهة الإنجاز تعبيرا عن الحالة السيكولوجية المخصصة، ضمن شروط الإخلاص، وتتعلق بحالة أشياء معينة في المضمون القضوي.

-الإدلاءات Déclarations: يقوم الإنجاز الناجح لطابع طبقة الإدلاءات، في تحصيل أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين المضمون القضوي والواقع.

وبهذا يتضح أنّ "سيرل" Searlحافظ على التقسيم العام الّذي أتي به معلمه "أوستين"Austin، بيد أنّه قدّم تعريفات دقيقة لهذه الأصناف مقارنة بمعلمه أوستين.

2.3.1 التداولية الإشارية أو التلفظية:

تمثل هذا الاتجاه التداولي أعمال اللّساني الفرنسي "إميل بنفينست" Benveniste الّذي يعتبر مؤسس اللّسانيّات التلفظيّة أو لسانيّات الخطاب كما يفضل بعض الباحثين تسميتها، حيث يحدد "إميل بنفينست" فعل التلفظ بأنّه "إجراء اللّغة بمقتضى فعل فردي استعمالي"[1]، وأمّا الباحثان أنسكومبر ودكرو (Anscomber, Ducrot) فيرانه عبارة عن "نشاط لغوي ممارس من طرف المتكلم في الوقت الّذي يتكلم فيه (ولكن أيضا من طرف الّذي يسمع في الوقت الّذي يسمع فيه)"[2]، وأمّا الباحثة "ك. أوريكيوني" فتحدده بأنه "مجموعة الظواهر الّتي يمكن ملاحظتها حينما تشتغل خلال فعل

[1] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، ط2، دس، تيزي وزو، الجزائر، ص: 92.

[2] ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللّغة، تر: محمد نظيف، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2007، ص: 40.

التواصلي خاص"[1]، فالمراد من فعل التلفظ من خلال ما سبق، هو التشغيل الإجرائي لمكلة اللّغة بمقتضى فعل فردي خاص، أين تتداخل معطيات السياق ومكوناته من متكلم، ومستمع، ومكان وزمان، بالإضافة إلى عناصر أخرى، ففعل التلفظ –إذن– يشمل كل هذه المعطيات مجتمعة.

وأمّا الملفوظ فقد حدد بأنّه "سلسلة من الجمل أو الحروف، مثل (آه) الدالة على التوجع والألم، حرفان قيلا في حالة معينة وفي سياق معين، ونطق بهما ليوجّها إلى الغير"[2]، كما اعتبر أيضا "بمثابة مقطوعة لغوية تكون كلا منتميا إلى جنس، خطاب محدد، نشرة جوية، رواية، مقال في جريدة، محادثة"[3]؛ ليتضح بذلك أنّ الملفوظ ما هو إلاّ نتاج لعملية التلفظ ذاتها، فلا ملفوظ من دون تلفظ.

ترى الباحثة "ك. أوريكيوني" C.Oreccchione أنّ اللّسانيّات التلفظيّة في تصورها العام تسعى للتركيز على وصف ظواهر الآتية:[4]

- علاقات الّتي تنسج القول ومختلف العناصر المكونة للإطار المقولي خاصة:
- المشاركون في الخطاب (المرسل والمستقبل).
- مقام التواصل:
- الظروف الفضائية – الزمانية
- المناسبات العامة للإنتاج/استقبال الإرسالية: طبيعة القناة، السياق الاجتماعي– التاريخي، قيود مجال الخطاب.

حيث يظهر من خلال ذلك أنّ اللّسانيّات التلفظيّة تهتم بمختلف مكونات العملية التخاطبية، وتحرص على وصفها ودراستها دراسة علمية شاملة كاملة.

---

[1] ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللّغة، تر: محمد نظيف، ص: 40.

[2] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 98.

[3] باتريك شارودو و دومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 216.

[4] ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللّغة، تر: محمد نظيف، ص: 43.

كما لا بدّ من التنبيه في هذا الموضع، إلى أنّ الدّراسة التلفظيّة للغة لا تتأتى إلاّ من خلال التركيز على "العناصر اللّغويّة الّتي لا تعرف دلالتها المرجعية إلاّ من خلال السياق، وتمثل آلية وعملية تحول اللّغة إلى خطاب، وتتحقق بتوافر ضمائر الشخص، الزمان والمكان (هنا والآن)، عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم، ولا على أحوال الموضوعية في الزمان والمكان، ولكن تحيل إلى آنية الخطاب الّذي ترد فيه"[1]، حيث لا يعرف المعنى الحقيقي لهذه الوحدات اللّسانية إلاّ أثناء استعمالها في التخاطب والتواصل الواقعي الحي.

تعتبر الوحدات الإشارية هي الحجر الأساس لنظرية التلفظية عند "بنفينست" Benveniste ومركز اهتمامها؛ إذ هذه الوحدات هي الّتي تعكس كل من المتكلم والمستمع في اللّغة، حيث يسمي "بنفينست" Benveniste هذه الخاصية بالذاتية في اللّغة، وسنتعرف على هذه الوحدات ودلالاتها وتقسيماتها المختلفة في موضعها فيما يأتي من هذه الدّراسة.

أ) خصائص الإشاريات:

تتميز الإشاريات حسب الباحث "جواد خاتم" بالخصائص الآتية:[2]

-تتصف الإشاريات بخاصية أخرى، تتمثل في كونها عاجزة عن الدلالة إلاّ إذا كانت على صلة بموضوع تمثله، سواء أكان هذا الموضوع واقعيا أم خياليا.

-ارتباطها بالسياق الّذي تمت فيه عملية التلفظ.

-الكونية: بمعنى أنّ لها حضورا في جميع اللّغات.

-تسمح بتحديد وتعيين الأشخاص، والأنشطة، والمكان، والزمان الّذي تمت فيه عملية التواصل.

فمن الواضح إذن، أنّ الإشاريات ذات فوائد ومميزات عظيمة في اللّغة، ولهذا نجدها حاضرة في جميع اللّغات بدون استثناء، مما يضفي عليها سمة الكونية والعالمية بامتياز.

[1] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 97.

[2] ينظر: جواد خاتم: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص: 76-77-78.

ب) أهمية الإشاريات:

تعتقد الباحثة "ك. أوريكيوني" C.Oreccchione أنّ "نسق الاستدلال الإشاري ليس الوحيد الّذي يمكن للغة الطبيعية أن تلجأ إليه، ولكن بدون شك هو الأهم، والأكثر أصالة؛ لأنّ هذا الاستدلال له خصوصية الإنجاز ليس في علاقته بوحدات أخرى داخلية في الخطاب، ولكن في علاقته بشيء خارجي ومتغاير: المعطيات الملموسة للمقام التواصلي"[1]، فهذا النسق الاستدلالي يسمح للغة بالاتصال بالواقع والتدليل عليه والإشارة إلى متضمناته.

كما يسمح هذا النسق أيضا حسب بنفينست Benveniste بتحويل (اللّغة) إلى كلام[2]؛ أي جعلها صالحة للتواصل، والتخاطب، وإخراجها من حيز الوجود بالقوة، إلى حيز الوجود بالفعل، حسب اصطلاح العلامة ابن خلدون.

3.3.1 التداولية المحادثاتية:

تعود البدايات الأولى لظهور هذا الاتجـــاه مع المقالة الشهيرة لفيلسوف اللّغة "بول غرايس" P.Grice الموسومة بعنوان "المنطق والمحادثة"، وكان ذلك سنة 1975، حيث حاول الفيلسوف "بول غرايس" P.Grice أن يؤسس فيها للمبادئ والقواعد الّتي تحكم المحادثة والتخاطب بين النّاس، وكذا تفسير كيفية الانتقال من المعنى الحرفي للملفوظ إلى المعنى المقصود منه أثناء التخاطب والتواصل.

أ) مبادئ وقواعد المحادثة عند غرايس P.Grice :

تقوم عملية المحادثة حسب "غرايس" Grice على مبدأ عام يسمّى بمبدإ التعاون، وعلى قواعد فرعية تندرج تحت هذا المبدأ؛ إذ القواعد الثانية مبنية على المبدإ الأوّل، بحيث إن غاب المبدأ الأوّل انعدمت القواعد الثانية، وفيما يأتي بيان لهذه التراتبية:[3]

-مبدأ التعاون: المشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة

[1] ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، ص:83.

[2] المرجع نفسه، ص: 83.

[3] جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ص: 55-56.

لتيسير تأويل أقواله.

-قاعدة الكم: تفرض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدا من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد عليه.

-قاعدة النوع: تفرض نزاهة القائل الّذي ينبغي ألاّ يكذب، وأن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يثبته.

-قاعدة العلاقة: تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع (ذا علاقة بأقوال القائل السابقة وأقوال الآخرين).

-قاعدة الكيف: تعني أن نعبر بوضوح وبلا لبس قدر الإمكان ونقدم معلومات بترتيب مفهوم (مثلا الترتيب الزمني عندما تروي سلسلة من الأحداث).

تكمن فائدة هذه القواعد في التقعيد لعدم خروج الكلام عن ظاهره، بمعنى في الحالات العادية للتواصل والتخاطب يكون الكلام مضبوطا بهذه القواعد، وأمّا إن تم خرق قاعدة من هذه القواعد من طرف أطراف المحادثة؛ فإنّ الكلام سينتقل من مرحلة فهمه على ظاهره إلى مرحلة فهمه على غير ظاهره، أين تتولد ما يسمّى بالاستلزامات المحادثاتية.

ب) الاستلزام المحادثاتي:

يستعمل فيلسوف اللّغة "غرايس" Grice هذا المصطلح للدلالة "عمّا يمكن أن يضمنه أو يوحي به أو يعنيه متكلم ما فوق ما يصرح به ظاهر كلامه"[1]، فالاستلزام المحادثاتيّ هو معنى ثانوي إضافي يمكن تأديته من خلال معنا حرفي؛ إذ "يوجد فرق بين ما قيل dit (الدلالة اللّغويّة التواضعية للجملة) وما تمّ نقله transmisأو تمّ تبليغه communique (تأويل القول). ويوافق هذا التمييز الّذي أهمله "سيرل" مفهوم الاستلزام الخطابي، فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام الخطابي هو ما تمّ تبليغه، ويختلف

[1] ج. براون، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، ص: 39

ما تمّ تبليغه عما قيل"[1]، فلكل منهما مجاله الخاص به، حيث تندرج الدلالة اللّغوية للجملة ضمن مجال علم الدلالة، بينما تندرج المعاني الإضافية السياقية ضمن مجال التداوليات.

ت) أنواع الاستلزام المحادثاتي:

ينقسم الاستلزام المحادثاتي إلى نوعين اثنين: الأوّل يسمّى استلزاما محادثاتيا مخصّصا، والثاني يسمّى استلزاما محادثاتيا معمّما، ويشترك النوعان في خاصية أنّهما ينقلان مستوى إضافيا من المعنى؛ أي ما بعد المعنى الدلالي للكلمات المنطوقة، ويختلفان في أنّه في حالة الاستلزام المحادثاتي المعمّم ينقل نفس المعنى الإضافي دائما، وبصرف النظر عن السياق، بينما في حالة الاستلزام المحادثاتي المخصص يتنوع المعنى المنقول الإضافي بحسب السياق[2] .

تجدر الإشارة إلى أنّ الاستلزام المحادثاتي المخصّص يندرج في صميم البحث التداولي؛ لأنّه ينتج في المحادثات والمحاورات الخاصة، وهو يتميز بالتنوع، والتعددية، والديناميكية، بعكس الاستلزام المحادثاتي المعمم الّذي يتميز بالثبات والجمود والأحادية.

ث) قصد المتكلم بين طروحات سيرل ونظرية غرايس:

يرى كل من "جاك موشلار" G.Mocschler و"آن ريبول" Reboul أنّ هناك اختلافا بين تصور كل من "سيرل" Searl و"غرايس" Grice لقصد المتكلم، حيث يقولان: "يرى سبرل (1972) مثلا أنّ للمتكلم قصدا يعبر عنه في ملفوظات بفضل المواضعات اللّغويّة. ويكمن الفرق مع نظرية "غرايس" في أنّ "سيرل" يرى اللّغة شفافة إلى حدّ كبير: يمكن التعبير عن كل ما نريد بطريقة حرفية. وأمّا "غرايس" (1989) فيرى على العكس من ذلك أنّ دلالة الملفوظ لا تستعاد بالضرورة بالمواضعات اللّغويّة، بل تستعاد في شكل استلزامات implicatures وهي شبيهة بتضمينات"[3]، حيث يتضح أنّ

[1] جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ص: 58.

[2] حسن بادوح: المحاورة –مقاربة تداولية، ص: 75.

[3] آن ريبول وجاك موشلار: تداولية الخطاب – من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن البوتكلاي، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط1، 2020، ص: 72.

"سيرل" Searl يعتقد أنّ المواضعات اللّغويّة تفي بالغرض في مسألة تحديد قصد المتكلم ومراده من كلامه، بينما يرى "غرايس" Grice أنّ المواضعات اللّغويّة لا تكفي كثيرا في تحصيل قصد المتكلم؛ إذ لا بدّ من معرفة سياقات الملفوظات لفهم معانيها بدقة، إذ القصد أحيانا يتحصل من خلال السياق وحده، ولا شيء غيره.

4.3.1 التداولية المعرفية أو الإدراكية:

يرجع هذا الاتجاه لأعمال كل من "ويلسون" Wilson و"سبيرير" Sperber اللّذان عرفا بنظريتهم التداولية الّتي تسمّى بنظرية المناسبة، فهي "من جهة نظرية تداولية، ومن جهة أخرى نظرية معرفية: إنّها نظرية تداولية؛ لأنّها تفسر كيف أنّ المعلومات الّتي تقدمها الجمل، والّتي لا تسمح غالبا بالوصول إلى القصد التواصلي للمتكلم يتمّ توضيحها بمعارف حول السياق"[1]، بمعنى أنّ السياق ضروري لرصد قصد المتكلم وما يرمي إليه من خلال ملفوظه، "وهي نظرية معرفية؛ لأنّها تفسر كيف أنّ المعلومات الضرورية لمعالجة الملفوظات مخزنة في الذاكرة (القصيرة المدى والمتوسطة المدى والبعيدة المدى)، ويمكن الوصول إليها من طرف النظام الإدراكي عبر عمليات استدلالية"[2]، فالمؤول أو المستمع يستعين بمختلف مداركه والمعلومات الّتي يحتفظ بها في ذاكرته من أجل فهم قصد مخاطَبه، وما أشكل عليه من معان ومقاصد، فعملية فهم الكلام وتأويله وتحصيل المراد منه، ليست عملية لسانية فحسب، بل هي أيضا عملية تداولية إدراكية.

أ) مبدأ الملاءمة:

يعود مبدأ الملاءمة في أصله، أو مبدأ صلة والمناسبة كما يفضل بعض الباحثين ترجمته إلى قواعد "غرايس" Grice المحادثاتية، حيث أخذ الباحثان "دان سبيربر" D.Sperber و"ديدري ولسون" D.Wilson هذا المبدأ من "غرايس" Grice وجعلاه عمادا لنظريتهما التداولية المعرفية، حيث يريان أن المقصود به هو أنّ "كلّ فعل من أفعال التواصل الإظهاري يبلغ أو يعبر عن افتراض صلته

[1] نجوى حيلوت: الخطاب بين المنظورين اللساني والتداولي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، ص: 214

[2] المرجع نفسه، ص: 214

المثلى"[1]، بينما يعتقد كل من "جاك موشلارل" و"آن ريبول" أن المراد به هو أن "ينطوي كل ملفوظ في ذاته على ما يضمن ملاءمته المثلى"[2]، فالملفوظات تحمل معها مناسبتها وسياقاتها؛ بحيث يمكن فهم المقصود بها والمراد منها من دون إفراط ولا تفريط.

ب) القصد التواصلي والقصد الإخباري:

تنبني نظرية الملاءمة أو المناسبة حسب "سبيرير" و"ولسون" على مفهوميين مركزيين هما:

- **القصد الإخباري:** المراد به أن "يقصد قائل ملفوظ ما جعل مجموعة من الافتراضات ظاهرة أو أكثر ظهورا"[3]، بمعنى أن يعمد المتكلم إلى جعل معنا أو مجموعة من المعاني أكثر ظهورا وجلاء، ويعمد في نفس الوقت إلى جعل معان أخرى بعيدة كل البعد عن قصده الّذي يريد إيصاله لمخاطَبه.
- **القصد التواصلي:**

والمقصود به أن "يعمد القائل إلى جعل هذا القصد الإخباري ظاهرا بصورة متبادلةّ"[4]، بمعنى أن يكون معلوما غير مجهول لدى كل من المتكلم والمخاطب، بيد السؤال المهم في هذا الموضع هو كيف ينتقل المؤول أو المستمع من القصد التواصلي للقائل إلى قصده الإخباري؟ يجيب الباحثان "جاك موشلار" و"آن ريبول" عن هذا السؤال يقولان: "يتم الانتقال من القصد التواصلي للقائل إلى قصده الإخباري، كما رأينا ذلك، عبر عملية تأويلية ترتكز على آليات استدلالية خاصة ببناء الفرضيات وتأكيدها؛ وتنطلق هذه الآليات من مقدمات (السياق) لتصل إلى النتائج"[5]، فالتأويل المبني على الاستدلال هو الطريقة الّتي ينتقل من خلالها من القصد التواصلي إلى القصد الإخباري لتتم عملية التأويل بنجاح.

---

[1] دان سبيربر وديدري ولسون: نظرية الصلة أو مناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الخليفة، مر: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص: 274.

[2] آن ريبول وجاك موشلار: تداولية الخطاب – من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن البوتكلاي، ص: 77.

[3] المرجع نفسه، ص: 74.

[4] المرجع نفسه، ص: 74.

[5] المرجع نفسه، ص: 74.

4.1 أدوات وآليات التحليل التداولي للخطاب

1.4.1 الأفعال الكلاميّة المباشرة:

يراد بها "الأفعال الكلاميّة التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطق به مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقوله"[1]، كأن يقول أستاذ لتلميذه مثلا وهو يقصد السؤال: هل أنجزت الواجب المنزلي؟ فيجب التلميذ بنعم أو لا، فالفعل الكلامي المباشر هنا مؤشر له في بنية الجملة، وهو الاستفهام، وهو المقصود على الحقيقة، بمعنى أنّ مراد المتكلم يفهم من بنية الملفوظ وحدها ليس إلاّ.

2.4.1 الفعل الكلامي غير المباشرة:

يحدده سيرل Searl بأنّه "الفعل الّذي يؤدى بواسطة فعل آخر"[2]، كما وصفه كل من "جاك موشلارل" و"آن ريبول" في معجمهما قالا: "نقول عن عمل إنّه عمل لغة غير مباشر (وهو اختزال لقولنا عمل لغة مصاغ صياغية غير مباشرة) إذا عبرّ عن قيمته تحت عمل آخر"[3]، بمعنى أنّه فعل كلامي ثانوي مؤدى من خلال فعل كلامي أولي، والمثال الآتي يوضح ذلك: فإن قال قائل مثلا لصديقه وهما جالسان على طاولة في مقهى، هل يمكنك أن تناولني قطعا من السكر؟ فأننا سنكون في هذا الملفوظ أمام فعلين كلاميين: الأوّل فعل كلامي أوليّ وهو في هذا الموضع الاستفهام، والثاني فعل كلامي ثانوي وهو في هذا الموضع الالتماس، وهو المقصود على الحقيقة، فالملاحظ إذن، أنّ المتكلم أدى أو قصد فعل الالتماس عن طريق استعماله لفعل الاستفهام، وهذه الظاهرة كثيرة في الخطابات والمحادثات والكتابات؛ إذ يلجأ المتكلم أو الكاتب إلى توليد أفعال كلامية غير مباشرة مستفادة من السياق؛ انطلاقا من أفعال كلامية مباشرة لتأدية أغراضه الإبلاغية.

---

[1] مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 9، 2018، ص: 374.

[2] جيني توماس: المعنى في لغة الحوار- مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، تر: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص: 114.

[3] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 203.

3.4.1 الفعل الكلامي الكلي أو الشامل:

يعتبر الفعل الكلاميّ الكلي من المفاهيم التداولية الّتي جاء بها اللّسانيّ الهولنديّ "فانديك"، حيث حدده بأنّه "فعل الكلام الّذي ينجز بواسطة متوالية من الأفعال الكلامية"[1]، ولقد علّق الباحث "محمد العبد" على الفعل الكلامي الكلي قال: ‘‘هو فعل الكلام الإجمالي الّذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي والّذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة. انتهى "فان دايك" هنا إلى أنّ سلسلة الأفعال الكلامية تفسر بأنّها فعل كلامي واحد، إذا كانت تشير إلى مقصد إجمالي واحد"[2]، فالواضح من خلال ما سبق أنّ الفعل الكلامي الكلي هو نتاج مجموعة من الأفعال الكلامية الجزئية الّتي تخدم غرضا أو مقصدا إجماليا واحد؛ بمعنى أن ينتج المتكلم سلسلة من الأفعال الكلامية تؤدي غرضه ومقصوده العام من خلال الخطاب الّذي أنتجه.

4.4.1 السياق:

جاء في معجم تحليل الخطاب لكل من "باتريك شارودو" Patrichk Charaudeau و"دومنيك منغنو"Dominique Maingueneau أنّ "سياق عنصر ما مبدئيا، هو كل ما يحيط بذلك العنصر، وعندما تكون (س) وحدة لغوية (من طبيعة وكم متغيرين: صوتم، صرفم، كلمة، جملة، ملفوظ)، فإن محيط (س) يكون في الآن نفســـه من طبيعة

لغوية (المحيط اللّغوي) وغير لغوية (السياق المقامي الاجتماعي الثقافي)"[3]، فالسياق إذن، ينقسم لنوعين رئيسيين: السياق اللّغوي أو المحيط اللّغوي، والسياق غير اللّغوي أو المحيط غير اللّغوي كما سمياه "شارودو" Charaudeau و"منغنو"، وسنتطرق لكل واحد منهما على حدة.

---

[1] فان دايك: النصّ والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2013، ص: 407.

[2] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص: 282

[3] باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص: 133.

أ) السياق اللّغوي أو النصّي:

لقد حاول الباحث "عبد الهادي بن ظافر الشهري" تحديده قال: "إنّه تجسيد لتلك التتابعات اللّغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية، وصرفية، ومعجمية، وما بينها من ترتيب وعلاقات تركيبية"[1]، بمعنى أنّه يختص بالعلاقات الترتيبية والتركيبية للملفوظات داخل الخطاب، وتكمن وظيفته في تحديد "المجال السياقي الّذي سيمكن المتلقي من فهم ما يقال لاحقا، فهو يفترض أنّ الكيانات المشار إليها ستبقى ثابت، وأنّ الإطار الزماني سيظل قارا، وأنّ الإطار المكاني لن يتغير، اللهمّ إلاّ إذا عبرّ المتكلم عن حدوث تغيير في أي واحد من هذه الأطر"[2]، فالسياق اللّغوي أو النصي يساعد المتلقي في فهم ما ورد ذكره سابقا في الخطاب، ففهم المقصود بالضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة مثلا، لا يتحقق إلاّ بمعرفة سوابقها ولواحقها ، فإن قال قائل مثلا:

- محمد مجتهد، لكن تنقصه بعض الخبرة.

فإذا لم يستمع المتلقي إلى الشق الأوّل من الملفوظ؛ فإنّه لن يتمكن من معرفة المقصود بالضمير (الهاء) في كلمة (تنقصه)، فجمل اللّغة وملفوظاتها في الخطاب تأتي مكملة لبعضها البعض، ويستحيل فهم الخطاب فهما صحيحا وسليما إذا لم يحط بسياقه اللّغوي والنصي كاملا.

ب) سياق الحال:

تقول الباحثة "فرونسواز أرمينيكو" f.Armingaud محاولة تحديده: "ونقصد به الوضعية الملموسة والّتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان، وتخص الزمان، وهوية المتكلمين، إلخ، وكل ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال"[3]، كما حاول الباحث "عبد الرحمن بودرع" تحديده أيضا قال: "وسياق الحال هو البيئة الاجتماعية والثقافية الّتي يتحرك فيها النصّ وتجري فيها أحداثه، وذلك يدلّ على ترابط النصّ والسياق ترابطا يفسر بأنّ أحد المفهومين لا يمكن تصوره بمعزل

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، ص: 86

[2] ج. براون وج. يول: تحليل الخطاب، تر: منير تريكي ومحمد لطفي زليطني، ص: 71.

[3] فرونسواز أرمينيكو، مقاربة التداولية، ص: 8.

عن الآخر"[1]، فسياق الحال إذن، هو الظرف والبيئة الاجتماعية والثقافية التي أنتج فيها الخطاب؛ إذ لا يمكن فهم وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا من دون الإحاطة بحاله وظروف إنتاجه.

ت) مكونات السياق:

على الرغم من تعدد مكونات السياق وخصائصه إلاّ أنّ الباحث "ديل هايمز" D.Hymes حاول أن يجملها في العناصر الآتية:[2]

- الباث: وهو المتكلم أو الكاتب الّذي يحدث القول.
- المتلقي: وهو السامع أو القارئ الّذي يستقبل القول.
- الموضوع: وهو ما يسميه "هايمز" Hymes بمحور الحديث.
- الظرف: ويقصد به المكان والزمان اللّذان تمّ فيهما الحدث.
- الوضع الجسمي: والمراد به هيئة الجسم، وطبيعة الحركة، وتقاسيم الوجه للأطراف المشاركة في الحدث التواصلي.
- القناة: والمقصود بها كيف تمت عملية التواصل بين الأطراف المشاركة، هل بالكتابة أم باللّفظ أم بالإشارة أم بالدخان؟
- الشفرة: أي اللّغة أو اللّهجة أو الأسلوب المستعمل.
- صيغة الرسالة: هل كانت حديثا عرضيا غير رسمي أم مناظرة أم خطبة أم حكاية شعبية أم قصيـدة؟
- الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلي الّذي يمكن أن نضمنّ داخله نمطا خطابيا معينا، هكذا نرى أنّه يمكن للخطبة أو الدعاء أن تكون جزءا من حدث أكبر هو صلاة الجامع.
- الطابع: والمراد به عملية تقييم الكلام، هل كان جيدا أم مجرد تفاهات إلى غير ذلك.

[1] عبد الرحمن بودرع: النصّ اللغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النصّ، ص: 155.

[2] ينظر: ج. براون و ج. يول: تحليل الخطاب، تر: منير تريكي ومحمد لطفي زليطني، ص: 47-48.

- الغرض: أي ما الّذي كانت الأطراف المشاركة تنوي التوصل إليه من خلال هذا الحدث التواصلي.

فالملاحظ إذن، أنّ السياق ذو أبعاد متعددة، لغوية وغير لغوية، وجب أخذها جميعا بعين الاعتبار في مسألة تحليل الخطاب وتأويله.

5.4.1 الإشاريات:

تحدد الباحثة "أوركيوني" Oreccchione الإشاريات تقول: "إنّها الوحدات اللّسانية ذات الوظيفة الدلالية – المرجعية (اختيار من مرحلة تكثيف- السنن/ تأويل في مرحلة تفكيك السنن) تتضمن اعتبارات لبعض العناصر التكوينية للمقام التواصلي:

- الدور الّذي يضطلع به فاعلا-القول في إجراء فعل- القول.
- المقام الفضائي- الزماني Spatio-temporelle للمتكلم وعند الاقتضاء للمخاطب"[1].

كما حددت أيضا "عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد"[2]، فالمراد بالإشاريات إذن، هي الوحدات أو العلامات اللّسانية الدالة على المتكلم، والمخاطَب، والزمان والمكان التي يتحدد مرجعها في سياق تلفظي معين، كما لا بدّ من التنبيه في هذا الموضع إلى أنّ الإشاريات تنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية سيأتي بيانها فيما يلي من هذه الدراسة.

أ) الإشاريات الشخصية:

والمراد بها "بشكل عام، الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، فالذات المتلفظة، تدلّ على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الّذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ فيه، وهذه الذات هي محور

[1] ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، ص: 54.

[2] جواد خاتم: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 76.

التلفظ في الخطاب تداوليا؛ لأنّ الأنا، قد تحيل على المتلفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب، وهكذا"[1]، إذ تتمحور حول الوحدات اللّسانية الدالة على المتكلم والمستمع والغائب في الخطاب، مثل: أنا، وأنت، وهو، هي، نحن، إلي غير ذلك من الوحدات الدالة على الأشخاص في العملية التخاطبية.

ب) الإشاريات الزمانية:

ترى الباحثة "ذهبية حمو الحاج" أنّ "الزمن يتجلى في اللّغة بواسطة القرائن الّتي تتحدد بجوار الأفعال عند نهايتها، أو بواسطة الظروف (ظروف الزمان) الّتي تدعى بالمبهمات الزمانية، الآن، اليوم، الغد، أمس، الأسبوع الماضي .... أمّا لحظة الحديث أو الخطاب فتبقى المحور الّذي ترتب بواسطته مبهمات الزمن"[2]، كما يعتقد الباحث (جواد خاتم) "أنّ دلالة الزمن لا تتحدد بزمن الفعل أو الظرف في حدّ ذاته، وإنّما بزمن التلفظ، معنى ذلك أننا عندما نعمد لظرف زمن مثل أمس، فإنّ دلالاته تتحدد بالزمن الّذي أنتج فيه الملفوظ، أي أنّه يدل على اليوم الّذي سبق إنتاج الملفوظ"[3]، فالمقصود بالإشاريات الزمانية إذن، هي تلك الوحدات اللّسانيّة الدالة على الزمن الّذي أنتج فيه الملفوظ، وتتمثل في ظروف الزمن المعروفة مثل: البارحة، أمس، غدا، الآن، إلى غير ذلك من أدوات وظروف الزمن المعروفة في اللّغة.

ت) الإشاريات المكانية:

يرى الباحـــث (جواد خاتم) أنّ "ما قيل عن الإشاريات الزمنية ينسحب أيضا على نظيرتها المكانية، إذ إنّها لا تحمل دلالتـــها في ذاتها، بل إنّ

معناها يتحدد بسياق التلفظ"[4]؛ إذ لهما نفس الخصائص تقريبا، إلاّ أنّ الأولى تدل على الزمان والثانية تدل على المكان، وكلاهما مرتبطان بسياق التلفظ، تقول الباحثة "حمو الحاج ذهبية" في هذا

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية، ص: 82.

[2] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص: 117

[3] جواد خاتم: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 80.

[4] المرجع نفسه، ص: 81.

الصدد: "يتأسس الزمان ابتداء من اللّحظة الّتي يتحدث فيها المتكلم إلى شخص معين، كما يتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء الّتي يتواجد فيها أثناء الحديث (لحظة التلفظ)، فإن قلنا مثلا خديجة هنا/في الجامعة يتعين أنّ خديجة على مقربة من المتحدث الموجود أثناء قوله في الجامعة"[1]، فسياق التلفظ هو الفيصل في تحديد معاني كل منهما.

كما "تتنوع المبهمات الظرفية إلى أنظمة صغيرة متقابلة Micro- structur opposées من قبل: هنا/هناك، يسار/يمين، خلف/أمام، أمام/قرب، بعد ....، تضمن هذه الأنظمة قيمتها انطلاقا من الإشارة، وضعية وتوجيه جسم المتحدث، وكل تعديل في الوضعية يعني تعديل في المكان"[2]، فوضعية المتكلم في سياق التلفظ هي الّتي تحدد المقصود بهذه الظروف أثناء استعمالها، فإذا قال المتكلم مثلا: أنّ المقهى موجود أمامي، أو خلفي، فإنّ ذلك يقتضي منا معرفة وضعية المتكلم أو صاحب الملفوظ أثناء انتاجه هذا الملفوظ لنحدد مكان المقهى بدقة.

6.4.1 الحجاج:

يعتبر الحجاج آلية من آليات التداولية، وهو مبحث تداولي بامتياز، حيث إنّه لا يظهر إلاّ في الخطاب، إذ نجد البلاغي "بيرلمان" Perelman يحدده بأنّه عبارة عن "التقنيات الخطابية الّتي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات الّتي تعرض عليها من أجل تقبلها"[3]، فالحجاج حسب "بيرلمان" Perelman هو تقنيات خطابية؛ بمعنى يظهر في الخطاب ويتمثل فيه، ويكون الهدف منه هو إقناع الآخرين بما يعرض عليهم من أفكار وتصورات ومعتقدات.

7.4.1 التقنيات الحجاجية:

من أجل أن يكون الخطاب حجاجيا ثمة تقنيات لا بدّ من توفرها فيه، إذ تقسم هذه التقنيات

---

[1] ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص:124

[2] المرجع نفسه، ص:125.

[3] فليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011، ص: 42.

حسب "بيرلمان" إلى نوعين اثنين:[1]

أ) طرائق الوصل:

تنقسم طرائق الوصل بدورها إلى عدة حجج أهمها:

- **الحجج الشبه منطقية:** وهي الّتي تعتمد في قوتها الإقناعية على بعض البنى المنطقية، كما تعتمد أيضا على بعض العلاقات الرياضية كالجزء بالكل، الأصغر بالأكبر، ولعلّ من أهم ما يندرج ضمن هذا النوع من الحجج الأدوات الآتية:
- التعارض: والمراد به اجتماع حكمين متناقضين في فرضية أو خطاب ما، كما يتمثل في اختبار فرضيتين لإقصاء غير اللائقة منهما للمقام، كما قد تكون السخرية إحدى الأشكال الّتي يظهر فيها هذا النوع من الحجج.
- التماثل: ويقع في التعريف الّذي يكون المعرف والمعرف متماثلين لفظا، مثل: المرآة هي المرآة.
- الحجج القائمة على العلاقات التبادلية: مثل مقولة: ضع نفسك مكاني.
- حجج التعدية: تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصر الأول والثاني، عدو عدوي صديقي.
- الحجج الشبه منطقية الّتي تعتمد العلاقات الرياضية، مثل إدماج الجزء في الكل على اعتبار أنّ الأول مندمج في الثاني، ويكون هذا الاندماج من وجهة نظر كمية.

الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

وهي حجج تستخدم حجج شبه المنطقية لربط بين أحكام مسلم بها، وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة ومسلم بها، ولعلّ من أهم صور هذه الحجج الآليات الآتية:

- السببية: مثل: اجتهد فنجح.
- حجج التبذير: كأن يقول شخص مثلا: ما دمنا قد بدأنا في هذا العمل فلا بدّ أن نكمله.

[1] محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 127.

- حجج الاتجاه: وهي الّتي تقوم أساسا على فكرة التحذير، كالتحذير من مواصلة التنازلات في أمر ما.
- حجج السلطة: وتتمثل في أنّ النسبة الكبيرة من قيمة القول إنّما يكتسبها من سلطة قائله ومكانته وقيمته.
- العلاقة الرمزية: ويقصد بها علاقة الرمز بالأطراف المكونة له.

الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

تتمثل هذه الحجج في المثل l exemple، والاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطَب كالنصوص الدينية وأقوال الحكماء، والتمثيل Analogie، والمقصود به تشابه العلاقة، ويكون وجه الشبه فيه عقليا.

ب) الطرائق الانفصالية:

والمراد بها "فصل علاقة أولية موجودة في مصطلح ما أو في عبارة ما، ومقدمة كوحدة مترابطة، وذلك يعني لكي يقوم الحجاج فإنّه يتم كسر هذه الوحدة وإظهار المصطلحات المتميزة التي تغطيها"[1]، حيث يلجأ المحاجج لكسر القيمة الحجاجية لتعبير ما أو عبارة ما، إذ يورد "فليب بروتون" و"جيل جوتييه" مثالا على ذلك يقولان: "في نص ليبركلي عن المادة، يقترح الكاتب الفصل بين المصطلحات قائلا: لا توجد مادة إذا قصدنا بذلك ماهية غير مفكرة توجد خارج العقل: لكن إذا قصدنا بالمادة شيئا محسوسا يكون تصوره شرط وجوده فإنّ هناك مادة"[2]، فالملاحظ في هذا المثال أنّ المتكلم كسر القيمة الحجاجية لمصطلح مادة عندما نفى التصور الأوّل عنها وقدم لها تصور آخر.

[1] فليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح وناحي الغامدي، ص: 57.

[2] المرجع نفسه، ص: 57.

المبحث الثاني: اللّسانيات التداولية والموروث اللّغوي العربي القديم

1.2 التداولية وعلم أصول الفقه:

1.1.2 الكلام والخطاب عند الأصوليين العرب والمسلمين القدامى:

لقد حدد "البقلاني" (ت403هـ) الكلام قال: "اعلموا أنّ الكلام معنى قائم في النفس يعبر عنه بهذه الأصوات المقطعة والحروف المنظومة. وربما دلّ عليه بالإشارة والرمز والعقد والخط"[1]، حيث يظهر من خلال هذا الذي تقدم أنّ "البقلاني" يعتبر الكلام ذا طبيعة نفسية، فهو حسبه معنا موضعه النفس، وما الأصوات والكلمات والجمل، وحتّى الخط، والإشارة، وغيرهم من الأنساق الرمزية، إلاّ أشياء كاشفة عنه، مظهرة له، مخرجة إياه لحيز الوجود.

وأمّا "القاضي عبد الجبار" (ت410هـ) فقد ذهب مذهبا آخر في تعريف الكلام قال: "والّذي نختاره في حد الكلام: أنّه ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة، حصل في حرفين أو حروف، فما اختص بذلك وجب كونه كلاما، وما فارقه لم يجب كونه كلاما، وإن كان من جهة التعارف لا يوصف بذلك، إلاّ إذا وقع ممن يفيد أو يصح أن يفيد"[2]، حيث يرى "القاضي عبد الجبار" أنّ السمة المميزة للكلام هي النظاميّة، بالإضافة إلى الفائدة؛ إذ لا بدّ من احتواء الكلام لفائدة حتّى يعتبر كلاما، وإلاّ فهو مجرد أصوات لا معنى لها.

وأورد القـــاضي أبو يعلى الفـراء (ت458هـ) نصّـا جاء فيه: "قيل: الكـلام فعل، وتسميتـه قولا وكـلاما ونطقا، لا يمنع من أن يكون فعلا"[3]، إذ يتضح من خلال ما تقدم أنّ الأصوليين القدامى كانوا على دراية بالبعد الفعلي والإنجازي للكلام، وليس فقط بالبعد الإعلامي والإبلاغي فيه.

---

[1] البقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: القريب والإرشاد (الصغير)، تح: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1998، ج 1، ص: 316.

[2] القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: إبراهيم الأبياري، بإشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، مصر، 1960، ج 07، خلق القرآن، ص:6.

[3] القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي: العدة في أصول الفقه، ج1، تح: أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1990، ص: 157.

وسواء أكان الكلام معنا قائما في النفس، أو نظاما صوتيا مفيد، أو فعلا، فإنّ هذه الأوصاف الثلاثة المختلفة تشترك في خاصية واحدة هي الطابع التداولي للكلام.

ولقد قال "البقلاني" (ت403هـ) واصفا الخطاب : "اعلموا أنّ الكلام لا يوصف بأنّه خطاب ومخاطبة ومكالمة ومقاولة وتكليم دون وجود مخاطب به يصح علمه بما يراد منه وتلقيه عن المتكلم به، لأنّ قولنا خطاب يقتضي مخاطبا مواجها به ومخاطبة هو من باب المفاعلة، وبمثابة قولك مضاربة ومقاتلة، وذلك مما لا يصح إلاّ من اثنين كلاهما موجودان"[1]، إذ يتضح من خلال الكلام البقلاني (ت403هـ) أنّه يشترط في الخطاب وجود كل من المتكلم والمستمع، مع قصد الأوّل إبلاغ الثاني شيئا ما، مع كون الثاني مدركا لمقصود الأوّل عالما بمراده، ولقد أكدّ "القاضي عبد الجبار" على أهمية القصد في الخطاب قال: "إنّ خطاب الواحد منّا هو طريق معرفة قصده باضطرار كالإدراك الّذي هو طريق العلم، وإنّما يصح ذلك لما كان مدركا وخطابه مدركا فصحّ أن يعرف قصده عند ذلك، وربما يعرف ذلك بالإشارة كما يعرفه بالكلام"[2]؛ إذ الخطاب مبني على القصد، فلا خطاب من دون قصد، يقول "القاضي عبد الجبار" موضحا هذا المبدأ: "إنّ الشيء إذا جاز أن يقع على وجهين أو وجوه فإنّما يختص عند وجوده بأن يقع على أحدهما بالقصد، على ما دللنا عليه، في باب الإفادة عند الدلالة، على أنّ الخبر لا يكون خبرا إلاّ بالإرادة، فإذا صح ذلك فكانت الصيغة الموضوعة للعموم تصح أن توجد مفيدة للعموم مرة وللخصوص أخرى، بل لضروب من الخصوص، فيجب أن يقع عليه عامة إلاّ بالقصد، كما لا تقع على سائر وجوه الخصوص إلاّ بالقصد، وقد بينا هناك بطلان القول بأنّ اللّفظة تتعلق بما تفيد لشيء يرجع إليها، ودللنا على فساد ذلك بوجوه"[3]، فالخطاب اللّغوي أو الكلام إذا كان خاليا من القصد فهو ليس بخطاب ولا بكلام، ومن المعلوم أنّ القصد هو

[1] البقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: القريب والإرشاد (الصغير)، ج 1، ص: 353.

[2] القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 17، الشرعيات، ص: 12.

[3] المصدر نفسه، ج 17، الشرعيات، ص: 14-15.

مفهوم تداولي بامتياز، ومبحث من مباحث الدرس التداولي المعاصر، وهذا مما يؤكد مرة أخرى على علم الأصوليين القدامى بالطابع التداولي للخطاب والكلام.

2.1.2 أقسام الكلام عند الأصوليين والملفوظات الوصفية والإنجازية عند التداوليين:

يقول "البقلاني"(ت403هـ) حول أقسام الكلام: "وكل قسم منه من أمر ونهي وخبر واستخبار، فإنه لنفسه ومتعلق بمتعلقه لذاته، لا يجوز خروجه عن ذلك، ولا وجود مثله إن كان محدثا"[1]، يتضح من خلال كلام البقلاني أنّه يقسم الكلام إلى أربعة أقسام هي: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، وأمّا "القاضي عبد الجبار" فيقول (ت415هـ) : "إنّهم يثبتون كلامه أمرا ونهيا وخبرا"[2]، ثمّ يضيف في موضع آخر "ومع ذلك فهو كلام وأمر ونهي وخبر"[3]، حيث يلاحظ عدم ذكر "القاضي عبد الجبار" للاستخبار كقسم من أقسام الكلام، بينما نجد "الدبوسي" قد ذكر الأنواع الأربعة الّتي ذكرها "البقلاني" قال: "أنواع التكلم أربعة: أخبار، واستخبار، وأمر، ونهي. لأنّ الكلام إنّما شرعه القديم عزّ ذكره، أو وضعه حكيم فلم يجز خلوه عن فائدة حميدة وماهي إلاّ إفادة العلم لما يحتاج إليه، والفائدة منه تحصل بالتكلم وتنتهي بهذه الأنواع"[4]، وهو نفس ما أشار إليه "أبو حامد الغزالي" (ت505هـ) حين قال: "إنّ الكلام ينقسم إلى: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار"، وهو التصنيف الذي يقول به معظم الأصوليين القدامى ، ولقد أكد إمام الحرمين "الجويني" (ت478هـ) هذا المعطى الأصولي قال: "قسم الأصوليون الكلام على غرضهم تقسيما آخر فقالوا: أقسام الكلام: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، وهذا قول القدماء. واعترض المتأخرون فزادوا بزعمهم أقساما

---

[1] البقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: القريب والإرشاد (الصغير)، ج 1، ص: 316.

[2] القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 7، خلق القرآن، ص: 101.

[3] المصدر نفسه، ج 7، خلق القرآن، ص: 101.

[4] الدبوسي، أبو زيد عبيد الله بن عمر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، تح: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص: 34.

زائدة على هذه الأقسام الأربعة"[1]، فالجويني يؤكد من جهة تصنيف الأصوليين القدامى، ويشير من جهة أخرى إلى اعتراض المتأخرين على هذا التصنيف، ونجده من جهة ثالثة قد اقترح تصنيفا آخرا خاصا به قال: "والوجه عندي أن يقال الكلام طلب وخبر واستخبار وتنبيه، فالطلب يحوي: الأمر والنهي والدعاء. والخبر يتناول ومنها التعجب والقسم. والاستخبار يشتمل على الاستفهام والعرض"[2]، إذ يظهر بهذا أنّ الجويني وسّع أقسام الكلام وذكر أنواع أخرى جديدة مثل: التنبيه، وجعل التعجب والقسم يندرجان تحت الخبر، كما أنّه جعل الأمر، والنهي، والدعاء، يندرجان تحت ما يسمّيه بالطلب.

ومهما يكن من أمر، فإنّه ليس ثمّة إجماع في الدرس الأصولي حول أقسام الكلام إلى يوم الناس هذا، بل ثمّة آراء مختلفة، وتصنيفات متعددة، بيد أنّ الشيء الأهمّ هو تفريقهم بين الخبر من جهة، وبين الأقسام الأخرى مثل: الأمر، والنهي، من جهة أخرى، حيث يتطابق هذا التفريق مع التقسيم الّذي توصل إليه "أوستين" حديثا، والّذي فصل فيه بين الملفوظات الوصفية؛ والّتي يمثلها الخبر حسب التصور الأصولي، وبين الملفوظات الإنجازية وهي الطلب والأمر والنهي بالمفهوم الأصولي القديم، وهذا مما يدلّ على وعي الأصوليين القدامى بالبعد التداولي للغة منذ قرون.

3.1.2 المعايير التداولية لتحديد أقسام الكلام عند الأصوليين:

أ) الرتبة

يقول "أبو بكر الرازي الجصاص" (ت370هـ): "قول القائل لمن دونه: افعل إذا أراد به الايجاب، وذلك لأنّ أهل اللّغة حين قسّموا الكلام جعلوا الأمر أحد أقسامه، وقالوا هو قول القائل

[1] الجويني، أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن محمد، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج 1، ص: 59.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 60.

افعل كما (ذكروا الخبر) والاستخبار والطلب"[1]، يواصل "الرازي الجصاص" قائلا ضمن نفس السياق: "وقول القائل افعل يستعمل على سبعة أوجه: إيجاب الفعل وإلزامه، وعلى الندب، وعلى الإرشاد، وعلى الإباحة، وعلى التقريع والتعجيز، وعلى الوعيد والتهديد، وهذه الوجوه كلّها تكون خطابا من القائل لمن دونه. وتكون على وجه المسألة والطلب، ولا يكون ذلك إلاّ لمن فوقه كقولنا: ربنا اغفر لنا وارحمنا ونحو ذلك"[2]، إنّ في هذا النصّ إشارة واضحة من "الرازي الجصاص" لرتبة ودورها في تحديد المعنى أو الفائدة المقصود عند استعمال المتكلم لصيغة الأمر (افعل)، فإنّ كان المتكلم أعلى رتبة من المستمع واستعمل صيغة (افعل)، فإنّ مراده حسب "الرازي" لن يخرج عن المعاني والفوائد الّتي ذكرها، وهي سبعة مثلما وضّحها في كلامه، وأمّا إن كان المتكلم أقلّ رتبة من المستمع، فإنّ مراده سيدور حول المسألة والطلب.

ولقد سلك القاضي "أبو يعلى الفراء" (ت458هـ) نفس الاتجاه عندما حدد الأمر بأنّه "اقتضاء الفعل أو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه على وجه لا يتضمن التخيير بين فعله وتركه"[3]، وأمّا النهي فحدده بأنّه "اقتضاء أو استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه"[4]، إذ يتضح من خلال تعريف القاضي "أبي يعلى" للأمر والنهي أنّه على علم ووعي بالبعد التداولي فيهما؛ حيث يتجلى ذلك في ذكره لمسألة الرتبة، حيث يراد بها منزلة صاحب الأمر أو النهي عند من وُجِهَ إليه أمر أو نهي؛ إذ يشترط أن يكون أعلى منه منزلة حتّى يُحمل الأمر أو النهي على حقيقتهما، وإلاّ خرجا عن معنيهما إلى معان أو فوائدة أخرى تستفاد من خلال صيغهما، وقد سار "الخطيب البغدادي" (ت463هـ) في نفس المسار عندما حدد الأمر بأنّه: "قول يستدعي به القائل الفعل ممن هو دونه، فأمّا الأفعال

[1] الرازي الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الحنفي: الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1994، ج 2، ص: 79-80.

[2] المصدر نفسه، ص: 80-81.

[3] القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي: العدة في أصول الفقه، ج1، ص: 158.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص:159.

الّتي ليست بقول فإنّها تسمى أمرا على سبيل المجاز، وكذلك ما ليس فيه استدعاء"[1]، وأمّا النهي فرأى أنّه "القول الّذي يستدعي به القائل ترك الفعل ممن هو دونه وله صيغة تدل عليه في اللّغة وهي قوله (لا تفعل)"[2]، ولم يخرج "أبي إسحاق الشيرازي" (ت476) عن أسلافه الّذين سبقوه، حيث حدد الأمر بأنّه "استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"[3]، وأمّا النهي فقد حدده بأنّه "استدعاء ترك فعل بالقول ممن هو دونه"[4]، وهو نفس ما ذهب إليه "الآمدي" (ت631هـ) عندما عرف الأمر بأنّه "طلب الفعل على جهة الاستعلاء"[5]، فجميع الأصوليين السابقين الّذين تم ذكرهم، يؤكدون على دور عامل الرتبة الّذي هو معيار تداولي بامتياز في تحديد الأقسام الكلاميّة، خصوصا قسمي الأمر والنهي، ليظهر بذلك مدى وعي الأصوليين القدامى بالبعد التداولي للغة وتأثيراته فيها.

ب) الايقاع:

يقول أبو الحسين البصري (ت432هـ): "فإنّه لما كان الأمر هو بعث من آمر لمأمور على إيقاع فعل في زمان، وجب أن ننظر في فائدته في هذه الأشياء كلّها، فننظر في فائدته في الفعل الّذي هو بعث عليه وفيما يتبع ذلك الفعل"[6]، نلاحظ في هذا التعريف استعمال "أبي الحسين البصري" المعتزلي للفظة إيقاع الفعل في زمن معين مع إرادته وكذا النظر في تبعاته، حيث نجد أنّ هذا الكلام

---

[1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: الفقيه والمتفقه، تح: أبو عبد الرحمان عادل وبن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2، 1421، ج 1، ص: 218.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 221.

[3] الفيروزابادي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي: التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن هيتو ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص: 17.

[4] المصدر نفسه، ص: 21.

[5] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1402، ج 2، ص: 140.

[6] أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب المعتزلي: المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403، ج 1، ص: 37.

قريب أو معادل لنظرية الأفعال الكلاميّة الّتي جاء بها "أوستين" Austin، والّتي قسم فيها الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام، فعل القول، وفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وهذا مما يدل على وعي الأصوليين القدامى بإنجازية اللّغة وتداوليتها وما يترتب عليها.

كما أشار أيضا "سيف الدين الآمدي" (ت631هـ) إلى معيار الإيقاع أو الإنشاء كما سمّاه قال: "وقول القائل أمرتك وأنت مأمور لا يرفع هذا الخلاف، إذ الخلاف إنّما هو في الصيغة الأمر الموضوعة للإنشاء، وما مثل هذه الصيغ أمكن أن يقال إنّها إخبارات عن الأمر لا إنشاءات. وإن كان الظاهر صحة استعمالها للإنشاء، فإنّه لا مانع من استعمال صيغة الخبر للإنشاء، كما في قوله: طلقت وبعت واشتريت ونحوه"[1]، حيث يظهر بهذا انتباه "الآمدي" لهذا المعيار التداولي الأساسي في اللّغة، وكذا دوره في تصنيف أقسام الكلام؛ إذ رأى أنّ حتّى عبارات مثل: بعت وطلقت الّتي قد يفهم من الإخبار هي في الحقيقة يمكن تدل أيضا على الإنشاء والإيقاع.

ولعلّ من أهم الباحثين المعاصرين الّذين قالوا بإدراك الأصوليين القدامى لمعيار الإيقاع، نجد الباحث "عبد الرحمن الحاج صالح" حيث قال: "إنّ سيبويه وشيخه الخليل وزملائهما قد أثبتوا فرقا آخر بين ما هو واقع مما يدل عليه الكلام، وبين ما هو واقع بسبب كلام المتكلم، وفي وقت النطق به بذات، مثل الكثير من العبارات التي يحدث بها حدث مثل: شكرا، ومرحبا، ولبّيك وغير ذلك، وسيسمي ذلك الأصوليون –لا النحاة ولا البلاغيون في الأول– بالإيقاع أو الإيقاعي. وهذه الظاهرة العامة الوجود لفتت نظر أوستين (Austin) الفيلسوف البريطاني بصفة خاصة وسماها بـ Performative"[2]، إذ المقصود بالإيقاعي عندهم؛ أي الأصوليين، أن يحدث المتكلم حدثا بكلامه وقت تلفظه، فمثلا: إن طلب أحد المساعدة من آخر وأجابه بكلمة لبيك، فإنّه يكون حينئذ محدث لتلبية موقع لها، وهذا مظهر مهم من مظاهر فعل الكلام عرفه النحاة والأصوليين القدامى قبل ظهور نظرية الأفعال الكلامية عند الغربيين بقرون.

---

[1] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 2، ص: 141.

[2] عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص: 174-175.

ت) الفائدة:

لقد حاول "الدبوسي" (ت430هـ) تعريف أقسام الكلام قال:[1]

الإخبار بما عندك لتفيد غيرك العلم بما كان أو يكون أو بما توجبه إن جعلته إنشاء كقولك: بعت عبدي أو أعتقته ونحوهما.

والاستخبار: لتستفيد من غيرك ذلك العلم بما كان.

والأمر: بفعل لبيان أنّه مما ينبغي أن يوجد.

والنهي: لبيان أنّه مما ينبغي أن لا يكون وأن يعدم.

يظهر من خلال تعريفات "الدبوسي" (ت430هـ) لأقسام الكلام، أن الإخبار عنده يقوم على الفائدة، وهي العلم الّذي يحتاج المخاطَب إلى معرفته، والاستخبار هو طلب هذه الفائدة الّتي تكون مجهولة وقت طلبها من قبل المستخبر، حيث يظهر بهذا انتباه "الدبوسي" لمفهوم تداولي مهم هو الفائدة، الّذي بنى عليه مفهوم الكلام أولاّ، ومفهوم الإخبار والاستخبار ثانيا، فالفائدة مثلما هو معلوم متعلقة بالمخاطَب لا بالألفاظ والجمل المستعملة في الخطاب، كما حدد الأمر والنهي بأنّهما فعلان، يراد بالأوّل فعل الفعل، ويراد بالثاني تركه، وهذا ما يتوافق تماما مع ما ذهب إليه "أوستين" وأصحاب نظرية الأفعال الكلامية من خلال قولهم أنّ اللّغة تغير الواقع ولا تصفه فحسب.

ث) معيار الإرادة:

يقول القاضي "عبد الجبار" (ت415هـ) موضحا هذا المعيار: "على أنّ الخبر لا يكون خبرا إلاّ بالإرادة"[2]، وهو نفس ما أكّده "أبي إسحاق الشيرازي" (ت476هـ) عندما قال: "وقالت المعتزلة الخبر إنّما يصير خبرا بشرط أن ينضم إلى اللفظ قصد المخبر إلى الإخبار به كما قالوا في الأمر والنهي"[3]، حيث يظهر من خلال كلام "الشيرازي" (ت476هـ) أنّ الإرادة عند المعتزلة شرط

[1] الدبوسي، أبو زيد عبيد الله بن عمر بن عيسى: تقويم الأدلة في أصول الفقه، ص: 34

[2] القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 17، الشرعيات، ص: 14-15.

[3] الفيروزابادي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: التبصرة في أصول الفقه، ص: 289.

أساسي في الخبر؛ إذ لا خبر من دون إرادة، وليس هذا فقط في قسم الخبر، بل حتّى في أقسام الكلام الأخرى، حيث قال "الآمدي" (ت631هـ) عن المعتزلة: "ومنهم من قال، الأمر صيغة (الفعل) بشرط إرادات ثلاث، إرادة إحداث الصيغة، وإرادة الدلالة بها على الأمر، وإرادة الامتثال"[1]، فالإرادة عند المعتزلة تمس جميع مستويات القسم الكلامي أو الفعل الكلامي بحسب الاصطلاح التداولي المعاصر.

يؤكد القاضي "عبد الجبار" (ت415هـ) على معيار الإرادة في موضع آخر يقول:"إنّ ما وضع للآمر محال أن يكون نهيا، وإنّما يتجوز به في النهي ويوضع موضعه، لا أنّه نهي على الحقيقة، فكيف يصح في المعنى الواحد أن يكون أمرا نهيا، وذلك مستحيل في الشاهد"[2]، حيث يفهم من كلامه هذا انتباهه لظاهرة تداولية مهمة في الكلام هي قابلية الصيغة اللّغويّة الواحدة لإفادة أكثر من معنى، ويكون ذلك بحسب قصد المتكلم ومراده بها في سياق استعمالها، فمثلا: قد يستعمل المتكلم صيغة الأمر (افعل)، ولكنّه لا يريد الأمر، وإنّما يريد معنا آخر، كأن يريد الالتماس أو الدعاء، وهذا ما سيعرف فيما بعد عند فليسوف اللّغة "سيرل" Searl وأصحاب نظرية أفعال الكلامية المعاصرين بظاهرة الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر.

4.1.2 الحقيقة والمجاز عند الأصوليين:

يقول الشاشي (ت344هـ) موضحا ماهية الحقيقة والمجاز: "كل لفظ وضعه واضع اللّغة بإزاء شيء فهو حقيقة له، ولو استعمل في غيره يكون مجازا لا حقيقة، ثمّ الحقيقة مع المجاز لا يجتمعان إرادة من لفظ واحد في حالة واحدة (...)، ولما أريد الوقاع من آية الملامسة سقط اعتبار إرادة المس باليد"[3]، حيث يفهم من خلال كلام "الشاشي" أنّه يفرق بين اللّغة كحقيقة، أي كوضع، وبين اللّغة

[1] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 2، ص: 138.

[2] القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج 07، خلق القرآن، ص: 6.

[3] الشاشي: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد: أصول الشاشي – عمدة الحواشي للمولى محمد فيض الحسن الكنكوهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص: 42.

في التخاطب والتواصل أين يمكن للمتكلم استعمال كلمات أو عبارات على سبيل المجاز، أي التوسع؛ وذلك بغية تأدية معان وأغراض معينة، وأمّا "البقلاني" (ت403هـ) فيرى أنّ الحقيقة هي "قول استعمل فيما وضع في الأصل له"[1]، وأمّا المجاز فيقول عنه: "وقولنا مجاز لا يتوجه إلاّ إلى التجوز بالكلام في غير ما وضع له"[2]، ليتضح بذلك أنّ المجاز عنده يكمن في استعمال مفردات وجمل اللّغة في غير ما وضعت له، ولقد سلك "الخطيب البغدادي" (ت463هـ) نفس المسلك عندما حدّد الحقيقة قال: "فأمّا الحقيقة فهو الأصل في اللّغة، وحده: كل لفظ استعمل فيما وضع له من غير نقل"[3]، وأمّا المجاز فقد قال عنه أنّه "كل لفظ نقل عما وضع له"[4]، ولعلّ أهم شرح للمجاز نجده عند "البغدادي" حيث قال: "المجاز لغة العرب وعادتها، فإنّها تسمي الشيء بالشيء إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب، وتحذف جزءا من الكلام طلبا للاختصار، إذا كان فيما أبقي دليل على ألقي، وتحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتعربه بإعرابه، وغير ذلك من أنواع المجاز، وإنّما نزل القرآن بألفاظها ومذاهبها ولغاتها"[5]، إذ يظهر من خلال ذلك أنّ المجاز ما هو إلاّ عادات وتقاليد العرب في الكلام؛ حيث لهم طرق خاصة في الحديث استحسنوها، مثل: تفضيل الاختصار، والخفة في الإبلاغ، وحذف المعلوم، وكذا التلميح والإيحاء، وغيرها من مظاهر الكلام المعروفة.

وأمّا "الآمدي" (ت631هـ) فلم يخالف سابقيه، إذ حدد الحقيقة بأنّها "اللّفظ المستعمل فيما وضع له أولاّ في الاصطلاح الّذي به التخاطب"[6]، وأمّـــــا المجاز فيرى أنّه "اللّفظ المتواضع على

[1] البقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: القريب والإرشاد (الصغير)، ج 1، ص: 352.

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص: 352.

[3] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: الفقيه والمتفقه، ج 1، ص: 213.

[4] المصدر نفسه، ج 1، ص: 213.

[5] المصدر نفسه، ج 1، ص: 213.

[6] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 1، ص: 28.

استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولاّ في الاصطلاح الذي به المخاطبة لما بينهما من تعلق"[1]، فجميع الأصوليين يجمعون على أنّ الحقيقة هي الأصل في اللّغة، والمجاز هو نقيض ذلك.

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ الأصوليين المسلمين القدامى كانوا من السباقين في التفريق بين اللّغة كوضع، وبين اللّغة في الاستعمال والتخاطب، أو كما يسميها المعاصرين بالتداولية، إذ لكل منهما خصائصه ومميزاته، كما اهتموا جيدا بمجال التخاطب والتداول والظواهر الّتي تندرج ضمنه مثل: المجاز ومتعلقاته، والحذف، والتلميح، وغيرهما من الظواهر الكلامية.

5.1.2 أنواع ومستويات المعنى عند الأصوليين:

من المعلوم أنّ الأصوليين المسلمين كانوا تداوليين ومحللي خطاب من الدرجة الأولى، حيث كانوا يشتغلون على النصّ القرآني فهما وتحليلا؛ بغية استنباط الأحكام الشرعية منه، ولقد تطلّب منهم هذا العمل الشريف التركيز على المعنى، وأصنافه، وأقسامه، وكذا أهم متعلقاته، ومن أبرز مظاهر ذلك الاهتمام ظهور مفاهيم في الدرس الأصولي مثل: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ودلالة الاقتضاء، وغيرها من أقسام المعنى المعروفة، حيث سنتعرف فيما يأتي على كل هذه الأنواع في موضعها.

أ) دلالة المنطوق ودلالة المفهوم:

يقول "الجويني" (ت478هـ) إمام الحرمين معلقا على مسألة المنطوق والمفهوم عند الأصوليين المسلمين: "ما يستفاد من اللّفظ نوعان: أحدهما متلقى من المنطوق به المصرح بذكره، والثاني ما يستفاد من اللّفظ، وهو المسكوت عنه لا ذكر له على قضية التصريح"[2]، فالواضح إذن، من خلال كلامه، أنّ المنطوق ظاهر مصرح به، بينما النوع الآخر خفي مسكوت عنه، حيث وصفه "الجويني"(ت478هـ) بأنّه: "ليس منطوقا به ولكن المنطوق به مشعر به، وهو الّذي سمّاه الأصوليون المفهوم، والشافعي قائل به، وقد فصّله في الرسالة أحسن تفصيل"[3]، حيث نلاحظ استعمال

[1] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 1، ص: 28.

[2] الجويني، أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، ج 1، ص: 165.

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص: 165.

"الجويني" (ت478هـ) لكلمة (يشعر) فيما يخص العلاقة بين المنطوق والمفهوم، وهي تدلّ على وجود علاقة من نوع ما بين المعنيين.

وأمّا "سيف الدين الآمدي" (ت631هـ) فقد حدد المنطوق قال: "المنطوق ما فهم من دلالة اللّفظ قطعا في محلّ النطق وذلك كما في وجوب الزكاة المفهوم من قوله – صلى الله عليه وسلم-: في الغنم السائمة زكاة"[1]، فالواضح أنّ المراد بالمنطوق عنده هو المعنى المفهوم من طريق اللّفظ وحده في محل النطق، أمّا المفهوم فيقصد به "ما فهم من اللّفظ في غير محل النطق"[2]، بمعنى- المعاني الّتي قد تفهم من خلال معنى القول أو من خلال السياق الّذي أنتج فيه القول، وينقسم المفهوم بحسب الأصوليين إلى قسمين اثنين هما:

ب) مفهوم الموافقة:

يحدد "الجويني" (ت478هـ) هذا النوع من المدلولات يقول: "أمّا مفهوم الموافقة: فهو ما يدلّ على أنّ الحكم في المسكوت عنه موافق للحكم في المنطوق به من جهة الأولى وهذا كتنصيص الرب تعالى في سياق الأمر ببر الوالدين على النهي عن التأفيف فإنّه مشعر بالزجر عن سائر جهات التعنيف"[3]، وأمّا "الآمدي" (ت631هـ) فيقول عنه أنّه: "ما يكون مدلول اللّفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محلّ النطق، ويسمّى أيضا فحوى الخطاب، ولحن الخطاب، والمراد به معنى الخطاب"[4]، بمعنى أن يكون مدلول اللّفظ المسكوت عنه موافقا للمعنى الّذي حصل في محلّ النطق، كتحريم قول (أف) للوالدين، فإنّ ما عدى قول كلمة (أف) للولدين مثل: السب، والشتم، والضرب، وغيرها من السلوكات المشينة لها نفس الحكم وإن لم تذكر.

[1] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 3، ص: 66

[2] المصدر نفسه، ج 3، ص: 66

[3] الجويني، أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه، ج 1، ص: 166.

[4] المصدر السابق، ج 3، ص: 66

ت) مفهوم المخالفة:

يصفه "الجويني" (ت478هـ) يقول: "على أنّ المسكوت عنه مخالف للمخصص بالذكر كقوله عليه السلام: "في الغنم السائمة زكاة" هذا التخصيص يشعر بأنّ المعلوفة لا زكاة فيها"[1].

ولقد عرّفه "الآمدي" أيضا قال: "ما يكون مدلول اللّفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق"[2]، بمعنى أنّ المعنى المسكوت عنه هو معنا مخالف لما ذكر في محلّ النطق، فإنّ قول النبي – صلى الله عليه وسلم– في الحديث المشهور لدى الأصوليين "في الغنم السائمة زكاة" يفهم منه بالمخالفة أنّ الغنم غير السائمة لا زكاة فيها.

وإذا قام الدارس اليوم بالبحث عن هذين المفهومين في الدرس التداولي المعاصر، فإنّه سيجدهما في نظرية "بول غرايس" محادثاتية، حيث يتطابق المفهومان السابقان مع مفهوم بول غرايس المسمّى بالاستلزام الحواري conversational implicature، الّذي يراد به "كل ما يستنتج من قولة ما – علاوة على النسبة الخارجية الّتي تشير إليها– بالاعتماد على أصول التخاطب، وليس بالرجوع إلى المعاني الوضعية، أو الاستنتاجات المنطقية"[3]، ليظهر بذلك أنّ الأصوليين المسلمون القدامى قد عرفوا جيدا المعاني الّتي تستنتج من خلال السياق وقواعد التخاطب، وليس فقط المعاني الّتي تفهم من خلال المنطوق أو الملفوظ وحده، ولعلّ أبرز مثال على ذلك هو تقسيم "البقلاني" للمفيد من الخطاب إلى ثلاثة أقسام قال: واعلموا رحمكم الله أنّ جميع المفيد من الخطاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها:[4]

فقسم منه: مستقل بنفسه في الكشف عن جميع متضمنه، لا احتمال في شيء من معانيه.

والضرب الثاني: مستقل بنفسه في الكشف عن جميع المراد به من وجه وغير مستقل من وجه.

---

[1] الجويني، أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، ج 1، ص: 166.

[2] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 3، ص: 69

[3] محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:41.

[4] البقلاني، القاضي أبو بكر بن محمد: القريب والإرشاد الصغير، ج1، ص:

والضرب الثالث: غير مستقل في الكشف عن المقصود به من جميع الوجوه، وإن كان في أصل الوضع مستقلا بنفسه في إفادة معناه، وإنّما لا يفيد إذا تجوز به في غير بابه.

حيث يظهر من خلال هذه الأقسام الّتي وضعها "البقلاني" أنّهم – أي الأصوليين المسلمين- يدركون جيدا أوصاف المعاني وأنواعها وطرق استنباطها، وهذا ما يطرح سؤال تأسيسية فلاسفة اللّغة المعاصرين للدرس التداولي، فقد سبقهم الأصوليون المسلمين القدامى في ذلك بقرون.

6.1.2 الاقتضاء:

يحدده "أبو حامد الغزالي" (ت505هـ) يقول: وهو الّذي لا يدل اللّفظ عليه، ولا يكون منطوقا به، ولكن يكون من ضرورات اللّفظ:[1]

- إمّا من حيث كون المتكلم لا يكون صادقا إلاّ به.
- أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلاّ به.
- أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلاّ به.

وأمّا "الآمدي" (ت631هـ) فقد حدده قال: "وهو مكان المدلول فيه مضمرا، إمّا لضرورة صدق المتكلم، وإمّا لصحة وقوع الملفوظ به"[2]، ثم يضيف قائلا في نفس السياق: "وأمّا إن كان لصحة الملفوظ به، فإمّا أن تتوقف صحته عليه عقلا أو شرعا. فإن كان الأوّل: فكقوله تعالى: (وَاسْأَلِ القَرْيَةَ) فإنّه لا بدّ من إضمار أهل القرية لصحة الملفوظ به عقلا. وإن كان الثاني فكقول القائل لغيره: (أعتق عبدك عنيّ على ألف) فإنّه يستدعي تقدير سابقة انتقال الملك إليه ضرورة توقف العتق الشرعي عليه"[3]، حيث نلاحظ من خلال ما سبق أنّ الاقتضاء فيه ثلاث حالات مثلما ذكر العالمين، ولعلّ الحالة الّتي يكون فيها الاقتضاء عند الأصوليين مقاربا لنظيره التداولي الغربي المسمّى

[1] الغزالي، أبو حامد محمد ابن محمد: المستسقى من خلال علم الأصول، تح: حمزة ابن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية- كلية الشريعة، المدينة المنورة، ج3: طرق الاستنباط، ص: 404.

[2] الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، ج 3، ص: 64.

[3] المصدر نفسه، ج 3، ص: 65.

بالافتراض المسبق، هي الحالة الثانية، أي من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلاّ به.، فإن قال مثلا: رجل لزوجته أنت طالق، فإنّ هذا يقتضي أنّها كانت زوجة له.

7.1.2 أقسام المعاني عند الأصوليين:

إنّ اهتمام الأصوليين المسلمين بفهم وتحليل النصّ القرآني واستنباط الأحكام الشرعية منه جعلهم يركزون على المعاني ونسبة الظهور والخفاء فيها، حيث ابتدعوا مجموعة من المفاهيم تدلّل على ذلك، وفيما يأتي ترتيب لهذه المعاني بناء على معياري الوضوح والخفاء فيها.

أ) معيار الوضوح:

يحكم هذا المعيار أربعة أقسام هي:

الظاهر: ويحدده "الشاشي" بأنّه "اسم لكل كلام ظهر المراد به للسامع بنفس السماع من غير تأمل"[1]، بمعنى أنّه لا يحتاج فيه إلى التأمل وإعمال العقل من أجل رصد معناه.

- النصّ: لقد أورد "أبو الوليد الباجي" (ت474هـ) نصّا وضّح فيه هذا النوع من المعاني جاء فيه أنّ "النص: ما رفع في بيانه إلى أبعد غاياته. من ذلك أن يكون قد ورد اللّفظ على غاية ما وضعت عليه الألفاظ من الوضوح والبيان. وذلك ألاّ يحتمل اللّفــظ إلاّ معنى واحدا؛ لأنّه إن احتمل معنيين فأكثر لم تحصل له غاية البيان. بل قد قصر عن هذه الغاية"[2]، فالواضح من خـلال ما أورد "الباجي" أنّ النــصّ هو ما يحتمل معنا واحد فقط.
- المفسر: وقد عرفه "الشاشي" (ت365هـ) بأنّه "ما ظهر المراد به من اللّفظ ببيان من قبل المتكلم بحيث لا يبقى معه احتمال التأويل والتخصيص"[3]، بمعنى أنّ المتكلم هو الّذي يوضح مراده من خلال كلامه بحيث لا يحتاج إلى التأويل والتخصيص أصلا.

---

[1] الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد: أصول الشاشي، ص: 68.

[2] الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي: الحدود في الأصول، تح: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 105.

[3] المصدر السابق، ص: 76.

- المحكم: أمّا المحكم "فهو ما ازداد قوة على المفسر بحيث لا يجوز خلافه أصلا"[1]، بمعنى أنّه أقوى وضوحا من الأقسام السابقة بحيث لا يجوز خلافه أصلا.

ب) معيار الخفاء:

- الخفي: يحدده "الشاشي" (ت365هـ) يقول: "هو ما أخفي المراد به بعارض لا من حيث الصيغة، مثاله في قوله تعالى (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدَيَهُمَا) المائدة. فإنّه ظاهر في حق السَّارق، خفي في حق الطرار والنباش"[2]، بمعنى هل للطرار والنباش نفس حكم السّارق أم لا؟.
- المشكل: حددّه "الشاشي" (ت365هـ) بأنّه "ما زاد خفاء على الخفي، كأنّه بعدما خفي على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله حتّى لا ينال المراد إلاّ بالطلب، ثمّ بالتأمل حتّى يتميز عن أمثاله"[3]، إذ يحتاج إلى تأمل وتفكر حتّى يمكن رصده.
- المجمل: وحدده "الباجي" (ت474هـ) قال: "هو ما لا يفهم المراد به من لفظه، ويفتقر في بيانه إلى غيره"[4]، ووصفه "الشاشي" (ت365هـ) بأنّه "ما احتمل وجوها فصار بحال لا يوقف على المراد به إلاّ ببيان من قبل المتكلم، فلا ينال المراد بالتأمل"[5]، أي لا يمكن الوصول إليه من خلال لفظه، ولا من خلال التأمل والتفكر، وإنّما يتم ذلك من خلال بيان المتكلم به وحده.
- المتشابه: وهو أعلى مرتبة في الخفاء، ويمثل له "الشاشي" (ت365هـ) بـ" الحروف المقطعة في أوائل السور[6]، حيث ليس ثمّة تفسير واضح لهذه الحروف الّتي توجد في أوائل السور إلى يوم الناس هذا، فهي من الأشياء الّتي احتفظ الله بها في عالم الغيب عنده.

---

[1] الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد: أصول الشاشي، ص: 80.

[2] المصدر نفسه، ص: 80.

[3] المصدر نفسه، ص: 81.

[4] الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المالكي: الحدود في الأصول، ص: 105.

[5] المصدر السابق، ص: 81.

[6] المصدر نفسه، ص: 81.

يستخلص من خلال ما سبق، أنّ الأصوليين المسلمين كانوا عباقرة في دراسات المعنى الّتي تعد مجالا مركزيا في التداوليات وتحليل الخطاب؛ إذ لم يدعوا شاردة ولا واردة لها علاقة بالمعنى إلاّ وتعرضوا لها، إنّ هذا التفوق والإبداع والسبق في الدّراسات التداولية وتحليل الخطاب ليدفع بالمرء إلى القول بتجاوز الأصوليين المسلمين القدامى لنظرائهم التداوليين الغربيين بعشرات الأشواط.

8.1.2 السياق عند الشافعي:

ومن مظاهر سبق الأصوليين العرب القدامى تنبههم للسياق وأهميته في تحديد المعنى المراد، قبل أن يؤكد على ذلك التداوليون المعاصرون، حيث نجد الإمام "الشافعي" في كتابه الشهير "الرسالة" قد أشار إلى ذلك؛ إذ خصص مبحثا خاصا بالسياق ودوره في فهم الكلام سماه بـ "باب الصنف الذي يبين سياقه معناه"[1]، وأورد الآية الكريمة: "وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمُ حِيتَانُهُمْ يَوِمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوِمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونْ" الأعراف (163)، كمثال على ذلك، يقول الشافعي: "فبدأ جلّ ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلمّا (إذ يعدون في السبت) الآية، دلّ على أنّه إنّما أراد أهل القرية؛ لأنّ القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره وأنّه إنّما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون"[2]، ليتضح بذلك أهمية السياق في فهم المعنى، خصوصا السياق العرفي؛ إذ المعروف لعامة النّاس أنّ القرية لا تكون ظالمة أو فاسقة

لذاتها، وإنّما المراد ظلم وفسوق أهلها وساكنتها.

2.2 التداولية والبلاغة العربية القديمة

1.2.2 الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب والمسلمين القدامى:

لقد أنشأ البلاغيون العرب والمسلمين القدامى نظرية تداولية كاملة سميت عندهم بنظرية الخبر

[1] الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر، ط1، 1938، ص: 63.

[2] المصدر نفسه، ص: 63.

والإنشاء، إذ فرقوا جيدا بين الخبر والإنشاء، حيث حدّدوا لكل منهما مفهومه، وخصائصه، وأنواعه، وصيغه، وأغراضه، حيث وصفوا الخبر بأنّه الكلام الّذي يقبل الصدق الكذب، والإنشاء بالكلام الّذي لا يقبل الصدق والكذب، وهو نفس التمييز الّذي تبناه "أوستين" صاحب نظرية الأفعال الكلامية في تفريقه بين المنطوقات الوصفية والإنجازية، كما ركّزوا جيدا على الإنشاء وأنواعه وصيغه، حيث خصّص "السكاكي" (ت626هـ) بابا كاملا للإنشاء ضمن كتابه "مفتاح العلوم"، أين تطرق لأهم أنواعه، ومنها: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء[1]، كما أكدّ الخطيب القزويني (ت739هـ) ما ذهب إليه "السكاكي" في تقسيمه للإنشاء لخمسة أنواع رئيسية قال: "الإنشاء إن كان طلبا استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه كثيرة، منها: التمني، واللّفظ الموضوع له ليت، ولا يشترط إمكان المتمنَّى، تقول: ليت الشباب يعود، وقد يتمنى بهل نحو: هل لي من شفيع، حيث يعلم ألاّ شفيع. (...) ومنها الاستفهام، (...)، ومنها الأمر، ومنها النهي، وله حرف واحد، وهو لا الجازمة في نحو قولك: لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء، (...) ومنها النداء"[2]، فبحسب ما يفهم من كلام القزويني (ت739هـ) أنّ الإنشاء عنده نوعين: النوع الأوّل هو الّذي يسميه بـ (طلب استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب)، ولقد ضمنّه الأقسام الأتية: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، وأمّا النوع الآخر وهو الّذي يسمّى بـ (بعدم استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب) فقد تضمنّ حسب سعد الدين التفتزاني "أفعال المقاربة، وأفعال المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم"[3]، ولم يتطرق إليها "القزويني" (ت739هـ) ضمن مبحث الإنشاء بحسب سعد الدين التفتزاني (ت792هـ)؛ لأنّ "أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى

[1] ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ج 1، ص:307-314-318-320.

[2] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932، ص: 151-152-153-168-170-172.

[3] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، دار الفكر، ط1، 1411، قم، ص: 129.

الإنشاء"[1]، فهذا هو سبب عدم ذكرها صراحة في باب الإنشاء عند "القزويني" (ت739هـ) في كتابه المسمّى بـ "التلخيص في علوم البلاغة".

ولقد اهتموا أيضا بالخبر، فعرّفوه وحدّدوا أهم أنواعه وأقسامه، حيث قال "السكاكي" (ت626هـ) في هذا الصدد: "فأمّا السبب في كون الخبر محتملا للصدق والكذب فهو إمكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث إنّه حكم مخبر ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب على استفادة المخاطب منه ذلك الحكم، ويسمّى هذا فائدة الخبر، كقولك زيدا عالم لمن ليس واقفا على ذلك أو استفادته منه أنّك تعلم ذلك كقولك لمن حفظ التوراة قد حفظت التوراة ويسمّى هذا لازم فائدة الخبر"[2]، ليظهر بذلك أنّ الخبر عند "السكاكي" (ت626هـ) هو الكلام الّذي يقبل الصدق والكذب، كما أنّه يقسمه إلى نوعين اثنين: الأوّل يسمّى بفائدة الخبر، وهو الّذي يكون فيه المخاطَب غير عالم بمضمون الخبر، وأمّا النوع الثاني فيسمّى بـ لازم الفائدة، وهو الّذي يكون فيه المخاطَب عالما بمضمون الخبر.

ولم يخالف "القزويني" (ت739هـ) سلفه "السكاكي" (ت626هـ) في مسألة أنواع الخبر قال: "لا شك أنّ قصد المخبر بخبره: إفادة المخاطب. إمّا الحكم، أو كونه عالما به، ويسمى الأول فائدة الخبر، والثاني لازمها"[3]، وهو نفس ما جاء به "التفتزاني" في مختصره حيث قال: "ويسمّى الأوّل أي الحكم الّذي يقصد بالخبر إفادته (فائدة الخبر والثاني) أي كون المخبر عالما به (لازمها) أي لازم فائدة الخبر"[4]، فهذا التقسيم للخبر يقول به جمهور البلاغيين إلى يوم النّاس هذا.

كما نبّه "الخطيب القزوني" (ت739هـ) لمسألة أخرى لها علاقة بالخبر والإنشاء قال: "ثمّ الخبر قد يقع موقع الإنشاء إمّا للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه، كما مرّ، والدّعاء، بصيغة الماضي من

---

[1] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، ص: 129.

[2] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 166.

[3] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 39.

[4] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، ص: 33-34.

البليغ يحتملها، أو للاحتراز عن صورة الأمر، أو لحمل المخاطب على المطلوب، بأن يكون ممن لا يحب أن يكذَّبَ الطالب"[1]، فعلى الرغم من الاختلاف الحاصل بين الخبر والإنشاء إلاّ أن الخبر قد يقع في موضع الإنشاء نظرا لاعتبارات سياقية ومقامية، فالعبرة تكون بقصد المتكلم عند إطلاقه لكلامه ومراده منه.

2.2.2 الأفعال الكلامية غير المباشرة عند البلاغيين العرب والمسلمين القدامى:

لم يكتف البلاغيون العرب والمسلمون القدامى بتحديد الأفعال الكلامية الّتي تستفاد من صيغة الملفوظ مباشرة، بل تجاوزوا ذلك إلى تحديد الأفعال الكلامية الّتي يمكن أن تستفاد من صيغة الملفوظ بطريقة غير مباشرة، وهذا ما جاء به "السكاكي" (ت626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" حيث قال: "للاستفهام كلمات موضوعة، وهي: الهمزة، وأم، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان"[2]، ثمّ أضاف في موضع آخر قال: "واعلم أنّ هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن الأحوال فيقال ما هذا ومن هذا لمجرد الاستخفاف والتحقير، ومالي للتعجب، (...) وكم دعوتك للاستبطاء، وكم تدعوني للإنكار، وكم أحلم للتهديد، وكيف تؤذي أباك للإنكار والتعجب والتوبيخ"[3]، فالواضح من خلال كلام "السكاكي" (ت626هـ) أنّ الكلمات الموضوعة لاستفهام قد تخرج إلى معاني أخرى تستفاد من خلال السياق، فقد يقول قائل لصاحبه إذا صدر منه فعل غير لائق: هل تريد مني أن أفعل فعلك؟ فالقائل لا يستفهم هنا، وإنّما ينكر سلوك صاحبه، إلى غير ذلك من المعان الّتي يمكن أن تستفاد من الاستفهام وحده.

ولم يذكر "السكاكي" (ت626هـ) الاستفهام وحده، وإنّما ذكر أيضا أنواعا أخرى منها الأمر حيث قال: "للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم في قولك ليفعل وصيغ مخصوصة (...) نحو لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء. وأمّا أنّ هذه الصور والّتي هي من قبيلها هل هي موضوعة

---

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 174.

[2] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 308.

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص: 314.

لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا فالأظهر أنّها موضوعة لذلك وهي حقيقة فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو قم وليقم زيد على جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد على اعتبار القرائن"[1]، إذ "السكاكي" يقرر في كلامه أنّ للأمر في وضع اللّغة حرف واحد هو اللام الجازم وصيغ مخصوصة، مثل: لينزل، وهي على وزن (ليفعل)، وانزل وهي على وزن (افعل) وصه مع شرط الاستعلاء، وأمّا المعان الأخرى الّتي يمكن أن تستفاد من هذا الحرف ومن هذه الصيغ بطريقة غير مباشرة فتكون بحسب السياق، ولعلّ من أهمها: الدعاء، والالتماس، والندب، والإباحة، والتهديد، وغيرها مما يتوقف عليه من خلال سياقه، وسنورد مثالا يوضح ذلك: فإذا قال قائل لنظيره افعل كذا، فالمراد بالفعل في هذا الموضع ليس الأمر؛ لأنّ الطرفين متساويان في الرتبة، وإنّما المراد هو الالتماس، فالملاحظ هنا، أنّ الالتماس معنا أو فعل كلامي غير مباشر بحسب نظرية أفعال الكلام أدّي من خلال معنا أو فعل كلامي أولي هو الأمر.

إنّ ما ينطبق على الأمر من شروط في إفادته هو نفس ما ينطبق على النهي حيث إنّ "للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك (لا تفعل) والنهي محذي به حذو الأمر في أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب، ثمّ إنّ استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل على الله لا تكلني على نفسي سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا، وإن استعمل في حق المستأذن سمي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا"[2]، فالنهي رديف الأمر في وقوعه وشروطه؛ إذ يتطلب استعلاء من مطلقه، وإلاّ خرج إلى معان أخرى تحصّل من خلال سياقه.

ولقد سار "القزويني" (ت739هـ) ضمن نفس مسار "السكاكي" (ت626هـ) في مسألة معاني أنواع الإنشاء الطلبي وأغراضه، أو ما يسمّى عند التداوليين الغربيين بالأفعال الكلامية المباشرة

[1] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 318.

[2] المصدر نفسه، ج 1، ص: 320.

وغير المباشرة، إذ فصلّها في كتابه المسمّى بـ "التلخيص في علوم البلاغة" أحسن تفصيلا حيث قال: "التمني يتولد منه في الماضي التنديم، نحو: هل أكرمت زيدا، وفي المضارع التحضيض نحو: هل تقوم"[1]، فالتمني بحسبه يتولد منه كل من التنديم والتحضيض، وأمّا الاستفهام فيتولد منه "الاستبطاء نحو: كم دعوتك، والتعجب نحو: (مَالِي لاَ أَرَىَ الهُدْهُدَ)، والتنبيه على الضلال، نحو: فأين تذهبون، والوعيد كقولك بمن يسيء الأدب، ألم أأدب فلان، إذا علم ذلك، والتقرير بإيلاء المقرر به الهمزة، والإنكار نحو: أغير الله تدعون، (...) والتحقير نحو: من هذا، والتهويل، (...)، والاستبعاد."[2].

وأمّا الأمر فيتولد منه "الإباحة نحو جالس الحسن وابن سرين، والتهديد نحو: اعملوا ما شئتم، والتعجيز نحو: فأتوا بصورة من مثله، والتسخير نحو: كونوا قردة خاسئين، والإهانة نحو: كونوا حجارة أو حديدا، والتسوية نحو: اصبروا أو لا تصبروا، (...) والدعاء، نحو: ربي اغفر لي، والالتماس لمن يساويك رتبة: افعل، بدون استعلاء"[3]، وأمّا النهي فله "حرف واحد وهو لا الجازمة في نحو قولك (لا تفعل)، وهو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكفّ أو التّرك كالتهديد"[4].

وأمّا النداء فيعد آخر قسم تحدث عنه "القزويني" (ت739هـ) في باب الإنشاء الطلبي حيث قال: "ومنها النداء، وقد تستعمل صيغته في غير معناها، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم يا مظلوم، والاختصاص في قولهم: أنا أفعل كذا أيّها الرجل، أي متخصص من بين الرجال"[5]، فالّذي يظهر من خلال كلام "القزويني" (ت739هـ) عن النداء، أنّه يكون بياء المنادى التي تقع في أوّل الكلام، بالإضافة إلى كلمة أيّها، إلى غيرها من أدوات النداء المعروفة، كما أنّه قد يخرج إلى معاني الإغراء والاختصاص بحسب السياق.

---

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص 152.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 164-165-166-167-168.

[3] المصدر نفسه، ص: 168-169-170.

[4] المصدر نفسه، ص: 170.

[5] المصدر نفسه، ص: 175.

بناء على ما سبق، ومن خلال عرض نظرية الخبر والإنشاء عند "أبو يعقوب السكاكي" (ت626هـ) و"الخطيب القزويني" (ت739هـ) ، نستنتج أنّ البلاغيين العرب والمسلمين القدامى كانوا من السباقين في الانتباه إلى أنّ اللّغة لا تصف الواقع فحسب، بل وتغيره أيضا، وتمثّل ذلك عندهم في الإنشاء وأقسامه، كما تنبهوا أيضا إلى أنّ الصيغة اللّغويّة الموضوعة لمعنى كلامي معين، يمكن أن تؤدى من خلال معان أخرى، ويكون ذلك بحسب السياق، وهذا ما يرادف تماما عند التداوليين الغربيين المعاصرين ما يسمونه بالأفعال الكلامية المباشرة والغير المباشرة.

3.2.2 المعايير التداولية لتحديد أقسام الكلام عند البلاغيين:

أ) النسبة الخارجية:

يقول الخطيب القزويني (ت739هـ) موضحا معيار النسبة الخارجية : "الكلام إمّا خبر أو إنشاء؛ لأنّه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخبر، وإلاّ فإنشاء"[1]، والمراد بالنسبة الخارجية عنده هي مطابقة الكلام للواقع أو عدم مطابقته، فإن كان للكلام هذه النسبة فهو خبر، وإن لم يكن له فهو إنشاء، فإن قلنا مثلا: إنّ محمد مجتهد، فإنّ كان محمد في الواقع مجتهدا حقا، فنحن بإزاء خبر صادق، وإن لم يكن محمد مجتهدا في الواقع فنحن بإزاء خبر كاذب، فمدار الحكم على خبر ما بأنّه صادق أو كاذب متوقف على نسبته الخارجية، أي حقيقته في الواقع، وأمّا الكلام الّذي ليس له نسبة خارجية فهو ليس بخبر؛ إذ لا يمكن وصفه بالصدق والكذب، فالنسبة الخارجية هي المعيار الأساسي في وصف كلام ما إمّا بأنّه خبر أو إنشاء، وكذا هي المعيار الأساسي في وصف خبر ما إمّا بأنّه صادق أو كاذب، ولا يخفى على كل باحث أو دارس أنّ النسبة الخارجية هي معيار تداولي (خارج لغوي)؛ لتتضح بذلك أهمية البعد التداولي عند البلاغيين العرب والمسلمين القدامى، حيث سبقوا نظراءهم الغربيين في الدراسات التداولية بقرون.

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 38.

ب) فعل المتكلم:

لقد انتبه "سعد الدين التفتزاني" (ت792هـ) إلى أنّ النسبة الخارجية ليست المعيار الوحيد في تمييز الإنشاء من غيره، وإنّما هناك معايير أخرى تسعف في رصده وضبطه، حيث قال التفتزاني (ت792هـ) في هذا الصدد: "اعلم أنّ الإنشاء قد يطلق على نفس الكلام الّذي ليس لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، وقد يطلق على ما هو فعل المتكلم"[1]، إذ الملاحظ من خلال كلامه وصفه للإنشاء بأنّه فعل المتكلم، بمعنى أنّه فعل كلامي ينتجه المتكلم لتحصيل غرض ما، وهذا ما ذكره الدسوقي (ت696هـ) في "حاشيته" عن الإنشاء عندما قال : "وقد يطلق على فعل المتكلم أعني: الإتيان بالكلام الّذي ليس لنسبته خارج إلخ، وليس المراد فعل المتكلم المطلق"[2]، فالمراد بفعل المتكلم إذن، هو إنتاج الكلام الّذي ليس لنسبته خارج، وليس أي كلام، ليعلم بذلك أنّ الإنشاء هو عبارة عن فعل كلامي، وهذا ما يتطابق تماما مع أصحاب نظرية أفعال الكلام عندما وصفوا الملفوظات الإنجازية، أو الإنشائية بالمفهوم البلاغي العربي القديم بأنّها عبارات عن أفعال كلامية.

ت) اعتقاد المخبر:

لعلّ من ضمن أهم المعايير الّتي يمكن أن تساعد في رصد الخبر وتثبت منه ما يسمّى عند مجموعة من البلاغيين باعتقاد المخبر، حيث قال السكاكي (ت626هـ) في هذا الصدد:" وعند البعض على طباق الحكم لاعتقاد المخبر أو ظنه وعلى إطباقه لذلك سواء كان الاعتقاد أو الظن خطأ أو صوابا بناء على دعوى تبرئ المخبر عن الكذب متى ظهر خبره بخلاف الواقع"[3]، وهو نفس ما أتى به "الخطيب القزويني" (ت739هـ) عندما أورد نصّا جاء فيه: "الجاحظ مطابقته مع

[1] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، ص: 129.

[2] الدسوقي، محمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتنازي، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دس، ج2، ص: 304.

[3] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 166.

الاعتقاد، وعدمها معه، وغيرها ليس بصدق ولا كذب"[1] بمعنى أنّ الجاحظ كان يرى أنّ الخبر هو الكلام الّذي يقبل الصدق والكذب مع اعتقاد المخبر، فإن كان المخبر يعتقد بأنّ الخبر صادق فهو صادق، وإن كان يعتقد أنّ الخبر كاذب فهو كاذب، وإن كان الواقع بخلاف ذلك، وهو نفس ما أكّده "سعد الدين التفتنازي" (ت792هـ) عندما قال: "وقيل صدق الخبر (مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان) ذلك الاعتقاد (خطأ) غير مطابق للواقع (و) كذب الخبر (عدمها) أي عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان خطأ"[2]، ومن المعلوم بمكان أنّ الاعتقاد معيار تداولي؛ بمعنى أنّه (خارج لغوي)؛ إذ يتعلق بالجانب الذهني والنفسي للإنسان، ليظهر بذلك أنّ البلاغيين العرب والمسلمين القدامى لم يكونوا لغويين فحسب، وإنما تجاوزوا ذلك للنظر فيما هو ذهني وتداولي في الخطاب، وهذا مما يدلّ على سبقهم وريادتهم في مجال الدّراسات التداولية.

ث) الفائدة:

يقول "السكاكي" (ت626هـ) موضحا دور الفائدة في تحديد الخبر: "من المعلوم أنّ حكم العقل حال إطلاق اللّسان هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشيا عن وصمة اللاغية فإذا اندفع في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك إفادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار"[3]، فالخبر متوقف على الفائدة؛ أي ما يحصّله المخاطَب من معلومات جديد عند سماعه للكلام، وهذا ما ذكره سعد الدين التفتزاني (792هـ) عندما حاول أن يحدد الخبر قال: "وهو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم بأنّ مفهوم احديهما

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: .

[2] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، ص: 30.

[3] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 170.

ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه"[1]، ولقد أكد جلال الدين السيوطي(911هـ) ما ذهب إليه أسلافه حول فائدة حيث قال: [2]

القَصْدُ بِالإِخْبَارِ أَنْ يُفَادَا مُخَاطب حُكْمًا لَهُ أَفَادَا

ليتأكد من خلال ما سبق أنّ أساس الخبر هو الفائدة، ومن المعروف أنّ الفائدة معيار تداولي؛ لأنّها متعلقة بما يجهله المخاطَب، وهذا ما يعزز مقولة أنّ البلاغيين العرب والمسلمين القدامى كانوا تداوليين بامتياز.

4.2.2 أقسام الدلالة أو المعنى عند البلاغيين:

يقول ابن بناء المراكشي (ت721هـ): ودلالة اللّفظ على المعنى قيل إنّها على ثلاثة أقسام:[3]

- بالمطابقة، وهي دلالة اللّفظ بوضعه على جملة المعنى. لفظ البيت على جملة البيت.
- وبالتضمن، وهي دلالة اللّفظ على جزء المسمىّ، كدلالة لفظ البيت على السقف.
- وبالالتزام، وهي دلالة اللّفظ على لازم المسمىّ، كدلالة لفظ الحائط على الأساس، وكدلالة لفظ الفعل على الفاعل.

وقيل إنّها على ثلاثة أقسام أخر وهي:

- دلالة المنطوق
- ودلالة المفهوم
- ودلالة المعقول

وهذه القسمة أنسب من جهة التخاطب، والقسمة الأولى أنسب من جهة أصل الوضع. يلاحظ من خلال عرض "ابن بناء المراكشي" (ت721هـ) لمختلف أقسام الدلالات أنّه يميز جيدا

[1] سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، ص: 33.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تح: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم لطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص: 33.

[3] ابن بناء، المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، ص: 75-76.

بين اللّغة كوضع، حيث نسب القسمة الأولى لها، وبين اللّغة كتخاطب وتواصل، بحيث نسب القسمة الثانية لها، وهذا مما يعكس وعيه بالبعد التداولي للغة والظواهر الّتي تندرج ضمنه.

5.2.2 البلاغة والفصاحة عند الخطيب القزويني:

يقول الخطيب القزويني: "الفصاحة: يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم. البلاغة: يوصف بها الأخيران فقط"[1]، يظهر من خلال كلام "القزويني" أنّ البلاغة تفترق عنده عن الفصاحة في اختصصها بالكلام والمتكلم فقط، وأمّا الفصاحة فتكون في اللّفظ المفرد والكلام والمتكلم جميعا، فالبلاغة مثلما هو واضح ذات أبعاد تداولية، فلا يوصف الكلام بأنّه بليغ ولا المتكلم بأنّه بليغ إلاّ في الاستعمال، أي: أثناء التخاطب والتواصل، فمثلما قيل: البلاغة تداولية في صميمها.

6.2.2 مقتضى الحال (المقام):

يقول السكاكي موضحا مقتضى الحال: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام مختلفة، التشكر

يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب،(...)، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال"[2]، فمثلما يتضح من خلال كلام "السكاكي" أنّ المقامات متباينة، والكلام أو الخطاب لا ينتج من فراغ، وإنّما ينتج في سياق معين، ولذلك وجب أن يراعى فيه مقتضيات السياق، وإلاّ اعتبر غير مفهوم، أو خارج عن المراد به، فإذا خاطبت العامة بكلام الخاصة فلن يفهموك، وإذا خاطبت الخاصة بكلام العامة قد يسخرون منك، وهكذا فلكل مقام مقال.

ولقد أكدّ الخطيب القزويني (ت739هـ) الكلام السابق قال: "فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام كل من التنكير، والإطلاق، والذكر، يباين مقام خلافه؛ ومقام الفصل يباين مقام الوصل،

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 24.

[2] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ج 1، ص: 168.

ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه؛ وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي. ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدمها؛ فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب"[1]، إذ المراد بمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، أي توافق الخطاب مع السياق الّذي أنتج فيه، وكذا توافق الكلمات مع بعضها البعض داخل الخطاب نفسه؛ لأنّ مدار قبول وجودة الخطاب من عدمها متوقف على مدى مراعاة متطلبات السياق ومقتضياته.

ولم يحد "أبو هلال العسكري" (395هـ) عن الكلام السابق كثيرا حيث قال: "ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأَمَة، ولا الملوك بكلام السُّوقة؛ لأنّ ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من كلام"[2]، فالنّاس مثلما يقولون مقامات، ولذلك وجبت مخاطبة كل واحد منهم بحسب منزلته ومداركه وما يحسنه حتّى يحقق الخطاب غايته.

كما أنّ للسياق والمقام فائدة أخرى في نظم الكلام وفهمه حسب "ابن بناء المراكشي" (ت721هـ) حيث قال: "ومتى كانت المعان بينة بنفسها أو بقرينة السياق الكلام أو غيرها من القرائن كان الإيجاز نافعا لأجل التخفيف عن النفس؛ لأنّ الألفاظ غير مقصودة لذاتها، إنّما هي لإيصال المعان إلى النفس، فإذا وصلت النفس إلى المعنى بغير اللّفظ كان اللّفظ زائدا فيثقل"[3]، إذ السياق يساعد في كثير من الأحيان على صناعة الخطاب وتأويله، فالمتكلم قد لا يذكر بعض تفاصيل الكلام إذا عَلِمَ أنّ المخاطَب عالم بها، أو رأى أنّ واقع الحال دال عليها، وذلك توخيا للإيجاز والاختصار وللخفة في الإبلاغ؛ ولأنّ ذكرها يعد حشوا لا فائدة منه.

فالواضح إذن من خلال ما سبق، أنّ البلاغيين العرب والمسلمين القدامى كانوا على دراية بأهمية المقام والسياق في الخطاب والتخاطب، إذ الخطاب مظروف بمقامه، منتج بحسب متطلبات

[1] القزويني الخطيب، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 35.

[2] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر، ص: 33.

[3] ابن بناء، المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، ص: 83.

ومقتضيات سياقه، وهذا ما يتوافق تماما مع ما جاء به التداوليون المعاصرون عندما أدركوا أنّ اللّغة لا يمكن أن تدرس الدّراسة العلمية الشاملة إلاّ في سياق استعمالها وأثناء التخاطب بها.

7.2.2 معنى المعنى عند الجرجاني:

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت خرج زيد، (...) وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلك اللّفظ على معناه الّذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على (الكناية) و(الاستعارة) و(التمثيل)"[1]، فالواضح من خلال كلام "الجرجاني" أنّه يقسم الكلام من حيث دلالته على معناه إلى نوعين اثنين: الأوّل يشير إلى معناه من خلال لفظه وحده وهو الملقب بالحقيقة، وأمّا النوع الثاني فيشير إلى معناه من خلال معنى لفظه، وهو الملقب عند "الجرجاني" بمعنى المعنى، أي يصبح المعنى في هذا النوع من الكلام بمثابة دال على معنى آخر هو المراد عند إطلاق الكلام.

ولقد اختصر "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) الكلام السابق قال: "فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: (المعنى)، و(معنى المعنى)، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللّفظ والّذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى، أن تعقل من اللّفظ معنى، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالّذي فسرت لك"[2]، ليظهر بذلك أنّ كل أنواع الكلام الّتي لا يشار إلى معناها بطريقة مباشرة هي من قبيل معنى المعنى حسب الجرجاني (ت471هـ)، مثل: الكناية، والاستعارة، والتشبيه وغيرها.

يستفاد من خلال ما سبق، أنّ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) قد سبق علماء التداولية المعاصرين بقرون عندما اكتشف ظاهرة معنى المعنى في الخطاب، الّتي تقابل عند التداولي وفيلسوف اللّغة "بول غرايس" P.Grice مفهوم المستلزم الحواري.

---

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان: دلائل الإعجاز، ص: 262.

[2] المصدر نفسه، ص: 263.

8.2.2 الالتفات:

لقد رأى أبو هلال العسكري (ت395هـ) أنّ المراد بالالتفات في البلاغة هو" أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد ضربه تجاوزه، يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به"[1]، بمعنى أنّ المتكلم يغير أسلوب المعنى الأوّل فيذكره بغير ما ذكره ابتداء، وأمّا الخطيب القزويني فقد حاول أن يحدد الالتفات قال: "والمشهور أنّ الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من ثلاثة بعد التعبير عنه بآخر منها وهذا أخص، مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب: (...) ومن الخطاب إلى التكلم، (...) وإلى الغيبة، (...) ومن الغيبة إلى التكلم، (...) وإلى الخطاب، (...) ووجهه أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاضا للإصغاء إليه، وقد تختص مواقعه بلطائف"[2]، فمن واضح إذن، أنّ الالتفات بحسب "القزويني" يتمحور حول ثلاثة عناصر رئيسية هي: التكلم، والخطاب، والغيبة، وهو نفس ما نجده عند الباحث "يوسف أبو العدوس" عندما حاول أن يعرّف الالتفات قال: "وهو في الاصطلاح التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، الّتي هي التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع"[3]، فالالتفات بحسب "الباحث أبي العدوس" لا يخرج عن هذه الأساليب الثلاثة.

ولقد حاول الباحث "يوسف أبو العدوس" أن يلخص صور الالتفات في شكل ثنائيات تتمثلت في العناصر الآتية:[4]

- من التكلم إلى الخطاب: كقوله تعالى: (وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون) الآية (22)

---

[1] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر، ص: 408.

[2] جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان القزويني الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 95-96.

[3] يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط3، 2013، عمان، الأردن، ص: 103.

[4] المرجع نفسه، ص: 103-104.

سورة يس، حيث عبر عن المعنى أوّلاً بالمتكلم عندما قال: وما لي، وعبّر مرة أخرى بالخطاب عندما قال: وإليه ترجعون، بدل (وإليه أرجع).

– من التكلم إلى الغيبة: مثل قوله تعالى: (إنّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر(1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَر) سورة الكوثر الآية (1) و(2). فقوله أعطيناك، تكلم، وقوله لربك غيبة.

– من الخطاب إلى التكلم: مثل قول الشاعر:

طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَبَاب عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

يُكَلِفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيُّهَا وَعَادَتْ عَوادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

فقد التفت من الخطاب في (بك) إلى المتكلم في (يكلفني) وكان مقتضى الظاهر أن يقول (يكلفك).

– من الخطاب إلى الغيبة: كقوله تعالى:(حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم) سورة يونس 22، حيث التفت من الخطاب في (كنتم) إلى الغيبة في (بهم) والمقتضى الظاهر أن يقال: وجرين بكم.

– من الغيبة إلى التكلم: كقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) الآية (1) سورة الإسراء، فقد التفت من الغيبة في قوله (بعبده) إلى التكلم في قوله (لنريه) ومقتضى الظاهر أن يقال: (ليريه).

– من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5)، حيث التفت من الغيبة في قوله: مالك بوم الدين إلى الغيبة في قوله إياك نعبد، إذ الظاهر أن يقال: (إياه).

يستفاد من خلال جملة هذه الثنائيات، أنّ الالتفات هو عبارة عن تلك الانتقالات الضمائرية الّتي يحدثها المتكلم في كلامه، حيث يمكن رصدها من خلال متابعة حركة الضمائر في الكلام، فتارة تكون من ضمير المتكلم إلى الغائب، وتارة تكون من خلال ضمير الغائب إلى المخاطب، إلى غير ذلك من الحالات الّتي تم رصدها سابقا، فالالتفات مثلما هو معلوم ذو أبعاد تداولية؛ لأنّه يتم من خلال أدوات تداولية هي الضمائر، وهذا مما يؤكد مرة أخرى على أنّ البلاغيين العرب والمسلمين

القدامى قد عرفوا التداولية جيدا، فمعظم مباحثهم وتحليلاتهم صبت في مجال التداولية عموما، لتتأكد بذلك مقولة أنّ البلاغة تداولية في صميمها.

9.2.2 طروحات حازم القرطاجني الحجاجية:

لقد قدمّ الناقد والبلاغي "حازم القرطاجني" (ت684هـ) في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ما يمكن أن يسمّى بطروحات حول الحجاج، وتجلت هذه الطروحات في مجموعة من المفاهيم والخصائص الّتي يمكن أن تدرج ضمن مبحث الحجاج بالمفهوم البلاغي المعاصر، ولعلّ من ضمن أبرز هذه الجهود هو وصفه للصناعة الخَطابية بأنّها ظنيّة، حيث قال: "لمّا كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين- اللّهم إلاّ أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق"[1]، يفرق "حازم القرطاجني" من خلال قوله هذا بين الإقناع الّذي هو غاية الخطابة والحجاج، وبين التصديق الّذي يقع في المنطق والبرهان، ليقرر بذلك أنّ مجال الخطابة والحجاج هو الظني والاحتمالي، وليس القطعي والأحادي اللّذين يعتبران من خصائص المنطق والبرهان.

لا بدّ من التنبيه في هذا الموضع إلى أنّ كلام "حازم القرطاجني" السابق يتطابق تماما مع خصائص الخطاب الحجاجي عند "بيرلمان" Perleman، خاصة فيما يتعلق باحتمالية المسلمات أو مقدمات الخطاب الحجاجي ونتائجه.

ولقد ذكر حازم القرطاجني (ت684هـ) في سياق كلامه عن الخطابة والحجاج استراتيجيتين رئيسيتين في الخطابة حيث قال: "وإنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حق بتمويهات واستدراجات قد توجد في كثير من النّاس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات الّتي يحتاج فيها إلى تقويّة الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب على

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 62.

احتذائها"[1]، فمن الواضح إذن، أنّ التمويه والاستدراج بحسب "حازم القرطاجني" هما من أهمّ الاستراتيجيات الخطابية والحجاجية الّتي يحصل بها الإقناع.

يحتاج المرء لأجل أن يكون خطيبا بليغا بحسب "حازم القرطاجني" (ت684هـ) إلى التمكن من هاتين الاستراتيجيتين الحجاجيتن، ويكون ذلك عن طريق تنميتهما باعتياد المخاطبات وكثرة سماعها مع الدربة والمران عليها؛ لأنّ الموهبة لوحدها لا تكفي ما لم يتبعها مران وتنمية ودربة، فالخطابة صناعة يجب على كل من أراد ممارستها تعلمها والأخذ بأسباب التفوق فيها.

أ) استراتيجية التمويه:

يحدد حازم القرطاجني التمويه يقول: "والتمويهات تكونوا بطي محل الكذب من القياس عن السامع، أو باغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدّمات توهم أنّها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا، أو بتربية على وضع يوهم أنّه صحيح لاشتباهه بالصحيح"، فالتمويه يكون في الخطاب إمّا عن طريق إخفاء محل الكذب عن السامع، أو باختيار مقدمات شبه صادقة، أو بإلباس الخاطئ لباس الصحيح؛ لأجل أن يصبح الكلام مقبولا عند جمهور المخاطبين به.

كما لا بدّ للخطيب الّذي يستعمل استراتيجية التمويه بحسب حازم القطاجني من أن يحرص على "إلهاء السامع عن تفقد موضع الكذب، وإن كان إلى حيزّ الوضوح أقرب منه إلى حيز الخفاء بضروب من الإبداعات والتعجيبات تشغل النفس عن ملاحظة محلّ الكذب والخلل الواقع في القياس من جهة مادة، أو من جهة ترتيب، أو من جهة المادة والترتيب معا"[2]، بمعنى أن يستعمل الخطيب إبداعات بلاغية وتعجيبات تشغل السامع عن النظر في مدى منطقية وصحة القياس المستعمل في الخطاب.

كما نبّه حازم القرطاجني إلى أنّ "تحصيل القوانين في حصر طرق تلك التمويهات أنفع

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 63.

[2] المصدر نفسه، ص: 64.

شـيء للخطيـــب في التوصّل إلى الملكـة الخطابيّة"[1]، فالخطيب إذا ما أراد أن يكون خطيبا جهبذا بليغا ينبغي عليه أن يحرص على إدراك القوانين الّتي تحكم التمويهات وطرق الكلام الجذاب الّذي يستهدف قلوب النّاس لا عقولهم.

يستفاد من خلال ما سبق أنّ التمويه كاستراتيجية خطابية إقناعية فيه كذب، وهذا ما يجعله مساويا أو قريبا من المغالطة، وهذا الّذي يجعله غير محمود من الناحية الأخلاقية.

ب) استراتيجية الاستدراج:

يحدد حازم القرطاجني (ت684هـ) الاستدراج يقول: "والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه، أو باطبائه إيّاه لنفسه وإحراجه على خصمه حتّى يصير بذلك كلامه مقبول عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول"[2]، فظاهر من خلال كلام "حازم" (ت684هـ) حول الاستدراج أنّ فيه ضربين اثنين:

ضرب يتعلق بحال المتكلم أو الخطيب، أي بهيئته وشكله، إذ يجب أن يكون حسن الهيئة جميل ثياب، بادية عليه مظاهر السكينة والوقار والصدق؛ لأجل أن يكون محل ترحيب من جمهوره، وأمّا الضرب الثاني فمتعلق بالخطاب، بمعنى أن يسعى الخطيب إلى استمالة مخاطبه أو جمهوره عن طريق تزكيته وذكر محاسنه والإشادة بفضائله، وكذا استلطافه والتقرب والتحبب إليه بذكر ما هو عزيز عليه، مع التأكيد على إحراج خصمه، لينال بذلك الرضى والقبول من مخاطبه وجمهوره فيقتنع بمعتقداته وآرائه.

وأمّا المؤيد العلوي (ت745هـ) فلم يحد كثيرا عن "حازم القرطاجني" (ت684هـ) في تحديده للاستدراج حيث قال: "وهذا اللقب، إنّما يطلق على بعض أساليب الكلام، وهو ما يكون موضوعا لتقريب المخاطب والتلطف به والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه، ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة، كما يحتال على خصمه عند الجدال والمناظرة بأنواع الإلزامات، والانتماء إليه بفنون الإفحامات، ليكون مسرعا إلى قبول المسألة والعمل عليها، (...) فما هذا حاله من الكلام يقال له

[1] القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 64.

[2] المصدر نفسه، ص: 64.

الاستدراج"[1]، فالاستدراج موافق عنده في مجمله لما أتى به "القرطاجني" في هذا الباب، إلاّ في المسألة المتعلقة بحال المتكلم الّتي لم يشر إليها "العلوي".

كما حدد الاستدراج أيضا بأنّه "اتجاه في البلاغة والخطاب، يستجلب فيه المتكلم كل ما من شأنه استدناء القبول لدى المخاطب واستدعائه، واستباق النفور والمعارضة بقطع أسبابها ومولداتها في نفس المخاطب"[2]، فالاستدراج تقنية من تقنيات الحجاج يستعملها المتكلم أو المحاجج من أجل محاصرة خصمه بقطع كل أسباب المعارضة من إفحامه وإقناعه بالحجة الّتي لا بديل من التسليم بها، وقد عرف البلاغيون العرب هذه التقنية جيدا، مثلهم مثل علماء نظرية الحجاج المعاصرة.

3.2 التداولية لدى المفسرين العرب والمسلمين القدامى

1.3.2 أسماء الإشارة:

جاء في تفسير قوله تعالى: (أَلَر تِلْكَ ءايَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ) الآية (1) سورة يونس عند الزجاج (ت311هـ) قوله: "أي الآيات الّتي جرى ذكرها هي آيات الكتاب الحكيم"[3]، بمعنى أنّ اسم الإشارة (تلك) يعود على الآيات الّتي تم ذكرها سابقا، وأمّا القرطبي فقد أورد في تفسير هذه الآية قوليين اثنين، حيث قال: "قال مجاهد وقتادة: أراد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة؛ فإنّ (تلك) إشارة إلى غائب مؤنث. وقيل: تلك بمعنى هذه؛ أي هذه آيات الكتاب الحكيم"[4]، فإن كان المقصود هو كتب التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة فهذه إحالة إشارية تداولية خارجية، وإن كان المراد الآيات الّتي سيأتي بينها بعد اسم الإشارة (تلك) فهي إحالة نصّية داخلية.

---

[1] المؤيد العلوي، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت لبنان، ط1، 1423، ج 2، ص: 148.

[2] محمد بن عبد الرحمان الخراز: مصطلح الاستدراج المفهوم والأثر، جامعة القصيم، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق 2010، العدد الخامس والثلاثين، ص: 874.

[3] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجرير عبده شلبي، الجزء 3، عالم الكتب، ط1، 1988، ص: 5.

[4] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، ج 8، مصر، ص: 305.

3.3.2 الضمائر:

جاء في تفسير "القرطبي" (ت671هـ) لقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُضُونَ فِي ءايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) الآية (68) سورة الأنعام. أنّ "فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُضُونَ فِي ءايَاتِنَا) بالتكذيب والرد والاستهزاء (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) والخطاب مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم. وقيل إنّ المؤمنين داخلون في الخطاب معه. وهو الصحيح"[1]، وسواء أقصد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وحده، أو المؤمنين معه، فإننا هنا بصدد إحالة ضميرية خارجية مستفادة من كلمة (رأيت) تعود على المخاطبين. كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) الآية (16) سورة مريم عند ابن أبي زمنين (ت399هـ) قال: "(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ) يقول للنبيّ: اقرأ عليهم أمر مريم"[2]، فالضمير المستتر (أنت) في هذا الموضع يعود على النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه إحالة ضميرية خارجية.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) الآية (2) سورة مريم عند محمد متوالي الشعراوي قوله "هذا الّذي يتلى عليك الآن يا محمد هو ذكر وحديث وخبر رحمة ربك الّتي هي أجل الرحمات بعبده زكرياء"[3]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ الضمير في (ربّك) يعود على المخاطَب، فهذه هنا إحالة خارجية تعود على النبي عليه صلاة والسلام.

2.3.2 الأفعال الكلامية الغير المباشرة:

جاء في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) من الآية (2) في سورة المائدة عند الزمخشري (ت538هـ) قال:"(فَاصْطَادُوا) إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنّه قيل: وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا"[4]، وفي ذلك إشارة من الزمخشري (ت538هـ) على أنّ صيغة (افعلوا) في كلمة

---

[1] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص: 12.

[2] ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد: تفسير القرآن العزيز، ج 3، ص: 19.

[3] محمد متوالي الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد الرابع عشر، دار أخبار اليوم، ط1، 1991، ص: 9020.

[4] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج6، ص: 277.

(اصطادوا) لم تحمل على حقيقتها وإنّما خرجت لمعنى آخر يستفاد منها من خلال القرائن، والمعنى أو الغرض المستفاد في هذا الموضع هو الإباحة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى كان قد حرّم الصيد في مواقيت معينة، ثمّ سمح به في مواضع أخرى، ففعل الإباحة في هذه الآية الكريمة هو عبارة عن فعل كلامي غير مباشر أدي من خلال فعل الأمر، وهو المقصود على الحقيقة.

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (قُل لِّمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) الآية (12) سورة الأنعام. عند الزمخشري قال: "(لِّمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) سؤال تبكيت و(قل لِّلَّهِ) تقرير لها أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره"[1]. كما جاء في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلى الّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءاتآهُ اللَّهُ اَلْمُلْك) من الآية (258)سورة البقرة عند الرازي (ت604هـ) قال: "ألم تر فهي كلمة يوقف بها المخاطِب على تعجب منها، ولفظها لفظ الاستفهام وهي كما يقال: ألم تر إلى فلان كيف يصنع، معناه: هل رأيت إلى فلان كصنعه كذا"[2]، فالظاهر بحسب كلام "الرازي" أنّ الاستفهام في هذا الموضع هو عبارة عن فعل كلامي مباشر استعمل لتوليد فعل كلامي غير مباشر هو التعجيب، وهو المقصود على الحقيقة، وما الاستفهام إلاّ وسيلة أدي من خلالها.

ولقد جاء في تفسير الآية الكريمة، قال تعالى: (فَانْكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ) الآية (3) سورة النساء، عند المفسر "محمد متوالي الشعراوي" أنّ "الحق سبحانه وتعالى حينما يشرع الحكم مرة يشرعه إيجابا، ومرة يشرعه إباحة، فلم يوجب ذلك الأمر على الرّجل، ولكنّه أباح لرّجل ذلك، وفيه فرق واضح بين الإجابة والإباحة، والزواج نفسه حتّى من واحدة مباح"[3]، فالمراد بصيغة الأمر (فافعلوا) في

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج 7، ص: 321.

[2] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد: مفاتيح الغيب، ج 7، ص: 20.

[3] محمد متوالي الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد الرابع، ص: 2001

كلمة (فانكحوا) في الآية الكريمة السابقة هو الإباحة، وليس الوجوب؛ لأنّ الزواج حتّى من واحدة مباح، فمن الواضح إذن، أنّنا في هذه الآية الكريمة بإزاء فعلين كلاميين: الأوّل فعل كلامي مباشر هو الأمر، وتمثل في صيغة (فافعلوا) في كلمة (فانكحوا)، والثاني فعل كلامي غير المباشر وهو الإباحة، والّذي تمت استفادته من صيغة الأمر السابقة، وهو المقصود على الحقيقة؛ لأنّ الإباحة من ضمن المعاني الّتي قد يخرج إليها الأمر في كثير من الأحيان، ويكون ذلك بحسب القرائن، والقرينة في هذه الآية هي قوله تعالى (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدً أَو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)، كما أنّ الزواج من واحدة هو في حدّ ذاته مباح، فعلم بذلك أنّ المراد بصيغة الأمر في هذه الآية هو الإباحة وليس الوجوب.كما قال الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) الآية (257) من سورة البقرة، أنّ الاستفهام مستعمل هنا في الإنكار والنفي[1]، بمعنى أنّ المقصود في هذه الآية ليس الاستفهام، وإنّما المقصود هو الإنكار والنفي، وهذا ما يسمّى عند التداوليين المعاصرين بالفعل الكلام غير المباشر الّذي يؤدى من خلال فعل كلامي أوّلي مباشر، بيد أنّ الملاحظ في هذا المثال أنّ الفعل الكلامي الأوّلي الّذي هو الاستفهام لم يولّد فعلا كلاميا واحدا غير مباشر، وإنّما ولّد فعلان كلاميان غير مباشرين هما الإنكار والنفي.

4.3.2 الأفعال الكلامية المباشرة:

جاء في تفسير قوله تعالى: (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاَ مَعْرُوفًا) الآية (5) من سورة النساء، لدى البيضاوي (ت685هـ) أنّ في "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم نهي للأولياء عن أن يؤتوا الّذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها"[2]، إذ ظاهر من خلال كلام "البيضاوي" في هذه الآية أنّ النهي فيها واقع على حقيقته، بمعنى أنّ المراد بصيغة النهي (لا تفعلوا) في كلمة (لا تؤتوا) هو النهي في حد ذاته، إذ ليس ثمّة ما يدعو لإخراجه عن

[1] ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص: 21.

[2] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 03، ص: 60.

حقيقته؛ نظرا لغياب قرائن تدعم ذلك، وهذا الّذي يسمّى عند التداوليين المعاصرين وأصحاب نظرية الأفعال الكلامية بالفعل الكلامي المباشر أو الصريح الذي يستفاد من بنية الجملة مباشرة.

ولقد أشار المفسر العلامة "الطاهر ابن عاشور" إلى نفس الظاهرة عندما فسّر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالعُقُودِ) الآية (1) من المائدة حيث قال: "تصدير السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأن سترد بعده أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا"[1]، فالأمر هو المقصود على الحقيقة في (أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ) وقد أُشّرَ له في كلمة (أوفوا) بصيغة (افعلوا) الّتي تفيد الأمر، نظر لغياب قرائن تخرج الأمر عن حقيقته، وهو هنا عبارة عن فعل كلامي مباشر استفيد من بنية الجملة وحدها، وقد جاء عند المفسر "محمد متولي الشعراوي" في تفسير نفس الآية قوله: "(أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ) أي نفذوا ما أمر الله به حلالا، وامتنعوا عن الشيء الذي جعله الحقّ حراما"[2].

من المفيد أن يشار في هذا الموضع إلى القاعدة الأصولية الّتي تقول إنّ الصيغ الكلامية تأخذ على حقيقتها ما لم تكن هناك قرائن تصرفها عن ذلك.

ولقد جاء في تفسير الآية الكريمة الآتية: (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنْصَابُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الآية (91) من سورة المائدة عند القرطبي (ت671هـ)، أنّ "(فاجتنبوه) يريد أبعدوه وجعلوه ناحية؛ فأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور، واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة، فحصل الاجتناب في جهة التحريم، فبهذا حرمت الخمر، ولا خلاف بين علماء المسلمين أنّ سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر"[3]، فالواضح من خلال كلام "القرطبي" (ت671هـ) أنّ الأمر في (فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ورد على حقيقته، بمعنى أنّه فعل كلامي مباشر حُصّل من بنية الآية وحدها، وهو المقصود على الحقيقة، ومن ثمّة لا يمكن صرفه إلى وجوه أخرى لغياب القرائن؛ حيث أكّد القرطبي (ت671هـ) ألاّ خلاف بين العلماء في أنّ

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص: 25.

[2] محمد متوالي الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد الخامس، ص:2891.

[3] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص: 288.

سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر، وهذه حجة أخرى تدعم ما ذهب إليه عندما حمل الأمر على حقيقته.كما جاء في تفسير قوله تعالى: (إِنَنِي أَنَّا ٱللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِى) الآية (14) سورة طه عند البيضاوي قال: "(وأقم الصلاة لذكري) خصّها بالذكر وأفردها بالأمر للعلة الّتي أناط بها إقامتها"[1]، فالمقصود بكلمة (أقم) حسب "البيضاوي" (ت685هـ) في هذه الآيه هو الأمر، وهو عبارة عن فعل كلامي مباشر مستفاد من صيغة (افعل)، فالصلاة مثلما هو معلوم فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة.

5.3.2 الالتفات:

جاء في تفسير قوله تعالى: (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْولاً وَأَوْلاَدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلاَقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) الآية (69) سورة التوبة عند "القرطبي" (ت671هـ) أنّ في قوله تعالى "(وخضتم) خروج من الغيبة للخطاب"[2]، بمعنى أنّ هناك التفاتا، حيث خرج من مخاطبة الغائب إلى مخاطبة المخاطَب، وفي ذلك إشارة واضحة إلى وعي المفسرين بالانتقالات الضمائرية الّتي تحدث داخل آي القرآن الكريم؛ لأنّ ذلك يساعدهم في رصد معان ومقاصد آي القرآن الكريم وسوره.كما جاء في تفسير قوله تعالى: (فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ) الآية (13) سورة الرحمن عند الرازي (ت311هـ) قال: (ما الحكمة في الخطاب ولم يسبق ذِكرُ مخَاطَبٍ، نقول: هو من باب الالتفات، إذ مبنى افتتاح السورة على الخطاب مع كلّ من يسمع، فكأنّه لما قال: الرَّحْمَنْ عَلَّمَ القُرآنْ (1، 2) قال: اسمعوا أيّها السامعون)"[3]، ثمّ توجه الخطاب في الآية الكريمة إلى ضمير المخَاطَبِ (أنتما) كما يظهر من خلال قوله (رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، والمراد بهذه الآية حسب الفخر الرازي "الثقلان، لذكرهما في آيات من هذه السورة بقوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَقَلاَنِ) الرحمان:

[1] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 16، ص: 386.

[2] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص: 201.

[3] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد: مفاتيح الغيب، ج :2، ص:347.

14،15 إلى غير ذلك"[1]، وهو نفس ما أشار إليه "أبو منصور الماتردي" (ت370هـ) عندما قال: "هذا خطاب للجن والإنس، وفيه دلالة أنّ –صلى الله عليه وسلم–كان مبعوثا إلى الإنس والجن جميعا"[2]، ولقـــد ذكر البيضـــاوي نفس الشيء عندما فسر قوله تعالى(فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِبَانِ) قال: "الخطاب لثقلين المدلول عليهما بقوله (للأنام) وقوله (أيّها الثقلان)"[3]، فهناك تطابق واضح في تفسير هذه الآيات بين "الرازي" و"المـاتريدي" و"البيضـاوي".

6.3.2 السؤال المفترض:

جاء في تفسير قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) الآية (3) سورة يوسف عند الزمخشري (ت538هـ) قال: "ما معنى تكرار رأيت؟ قلت: ليس بتكرار إنّما هو كلام مستأنف على تقدير السؤال وقع جوابا له كأنّ يعقوب عليه السلام قال عند قوله (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) كيف رأيتها؟ سائلا عن حال رؤيتها، فقال (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)"[4].كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَقُونَ) الآية (65) سورة الأعراف عند الزمخشري قال: "فإن قلت: لم حذف العاطف من قوله: (قال يا قوم) ولم يقل: فقال كما في قصة نوح؟ قلت: هو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله، وكذلك (قال الملأ)"[5].كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَئارِبُ أُخْرَى) الآية (18) سورة طه. عند السمرقندي قال: "قال بعضهم: في الآية إضمار

[1] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد: مفاتيح الغيب، ج 29، ص:347.

[2] الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، ج 9، ص:465.

[3] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 27، ص:353.

[4] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج 12، ص: 504.

[5] المصدر نفسه، ج: 8، ص: 368.

يعني: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ فقال: وما تصنع بها؟ قال أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي"[1].

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) الآية (258) سورة البقرة عند الماتريدي قال: "وكان هذا من إبراهيم -عليه السلام- والله أعلم — عن سؤال سبق منه أن قال له النمرود: من ربّك الّذي تدعوني إليه؟ فقال: (رَبِي الّذِي يُحْي وَيُمِيت)"[2]، وهو نفس ما ذكره ابن القيم الجوزي (ت751هـ) في كتابه "زاد المسير" حيث قال: "قال بعضهم: هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره أنّه قال له: مَنْ ربّكَ؟ فقال: رَبي الذِي يُحْيِ وَيُمِيت"[3]، فالسؤال المفترض كآلية تداولية حاضر في تفسير آي القرآن الكريم، وهذا مما يدللّ على أنّ المفسرين كانوا على وعي تام بالأبعاد التداولية في تفسير آي القرآن الكريم وسوره.

7.3.2 الاستدراج عند المفسرين:

جاء في تفسير "الكشاف" لقوله تعالى: (قال هَذَا رَبِّي) الآية (76) سورة الأنعام عند الزمخشري (ت538هـ) قال:"(هَذَا رَبِّي) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنّه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنّ ذلك ادعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثمّ يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة"[4]، وهذا ما يعرف عند البلاغيين وأصحاب الحجاج بالاستدراج.

ولقد أورد "الشعراوي" في تفسير الآية السابقة قال: "فلو أنّ إبراهيم عليه السلام من أوّل الأمر قال لهم: يا كذّابون، يا أهل ضلال، وظلّ يوجه لهم السباب لما اهتموا به ولا سمعوا له. لكنّ إبراهيم عليه السلام استخدم ما يسمّى في الجدل بـ (مجارة الخصم)، ليستميل آذانهم ويأخذ قلوبهم معه،

---

[1] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: بحر العلوم، تحقيق: الشيخ على بن محمد معوض والشيخ عادل أحمد بن إبراهيم الموجود و زكرياء عبد المجيد النوتي، الجزء 2، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، بيروت، لبنان، ص: 392.

[2] الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، ج 2، ص: 245.

[3] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي محمد: زاد المسير في علم التفسير، الجزء 2، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422، بيروت، لبنان. ص:

[4] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج 7، ، ص:334.

وليعلموا أنّه غير متحامل عليهم من أول الأمر، فيأخذ بأيدهم معه"[1]. كما جاء في تفسير "السمرقندي" (ت373هـ) لنفس الآية قال: "(هَذَا رَبِّي) يقال: أراد أن يستدرجهم فيظهر قبيح فعلهم، وخطأ مذهبهم وجهلهم؛ لأنّهم كانوا يعبدون النجوم والشمس، والقمر. فلمّا رأى الكوكب قال لهم: هذا ربيّ. وأظهر لهم أنّه يعبد ما يعبدون. فلما غاب الكوكب قال لهم: لا أحب الآفلين فأخبرهم بأن الآفل لا يصلح أن يكون إلها"[2].كما جاء في تفسير الآية السابقة عند أبي منصور الماتريدي (ت370هـ) قال: "والوجه الثاني- مما تكلم في التأويل: أنّ إبراهيم- عليه السلام- كان مؤمنا في ذلك الوقت، عارفا بربه حق المعرفة، ولكنّه كلّم قومه كلام مستدرج بإظهار المتابعة لهم على هواهم؛ فيكونون به أوثق وإليه أميل، وذلك أبلغ في الحجاج وألطف في المكيدة، فيبين لهم ما أراد من غير جهة النقص والعناد"[3].كما جاء أيضا في تفسيرها عنده قال: "والتأويل الثالث للآية يخرج مخرج الإنكار والاستهزاء، ويكون في ذلك معنى الاستدراج؛ إذ هو الإلزام من حيث لا يشعر به، أو نقض أسباب الشبه درجة فدرجة في حلول المقت ولزوم المقصود بتعاطي ذلك الابتداء بالكشف عن الأسباب"[4].كما جاء في تفسير الآية السابقة عند "البغوي" (ت516هـ) قال: "الوجه الأول: إنّ إبراهيم (عليه السلام) أراد أن يستدرجهم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها، ويرون أنّ الأمور كلها إليها فأراهم أنّه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث التمسوه، فلمّا أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون"[5].

كما ذكر "ابن الجوزي" مقولة الاستدراج في تفسير الآية السابقة قال: "والثاني: أنّه ذكر ذلك استدراجا للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهم بعضها عند أفولها، ولا بدّ أن من يضمر في نفسه: إمّا على

---

[1] محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، المجلد الخامس، ص: 3749-3750.

[2] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد: بحر العلوم، ج 1، ص:462.

[3] الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، ج 4، ص: 137.

[4] المصدر نفسه، ج 4، ص: 139.

[5] البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الجزء 2، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420، ص: 139.

زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: أين شركائي، وإمّا أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى: ربّنا تقبل منا، أي يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبي بكر الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم"[1]. كما فسّر "الإيجي" (ت753هـ) قوله تعالى: (قَالَ هَذَا رَبِّي) قال: "قول من ينصف خصمه مع علمه أنّه مبطل، ثمّ يكر عليه فيبطله بالحجة وهذا النوع أدعى إلى القبول فإنّ قومه يعبدون الكواكب، وهذا هو الأصح"[2]، فالمفسرون العرب والمسلمين القدامى كانوا على علم بتقنية الاستدراج كآلية تداولية حجاجية تستعمل بغرض الإفحام والإقناع.

8.3.2 التمويه:

جاء في تفسير قوله تعالى: (قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) الآية (258) سورة البقرة عند الماتردي (ت370هـ) قال: "قال بعض الجدليين: هذا من إبراهيم عليه السلام، صرف المحاجّة إلى غير مكان ابتدائها، (...) فعل هذا ليظهر عجزه على النّاس؛ لأنّ ذلك كان منه تمويها وتلبيسا على قومه أخذ به قلوبهم، فأراد إبراهيم، صلوات الله عليه وسلامه، أن يظهر عليه من الحجة ما هو أظهر وأعجز له، وآخذ للقلوب"[3]. كما جاء في تفسير "البيضاوي" (ت685هـ) لنفس الآية قال: "أعرض إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفع للمشاغبة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جليّ من مقدوراته الّتي يعجز عن الإتيان بها غيره، لا عن حجة إلى أخرى. ولعلّ النمرود زعم أنّه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه إبراهيم بذلك"[4]، فالملاحظ في ضوء تفسير الآية السابقة أنّ المفسرين كانوا على وعي تام بالتقنيات الّتي

---

[1] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان: زاد المسير في علم التفسير، ج 2، ص: 48.

[2] الإيجي، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعي: جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء 1، دار الكتب العلمية، ط1، 2004، بيروت، لبنان، ص: 550.

[3] الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، ج 2، ص: 246.

[4] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 3، ص: 220.

تستعمل في المحاججة، خصوصا تقنية التمويه الّتي قد يلجأ إليها الخصم بغرض المشاغبة، وهو ما أتى به النمرود في سياق محاججته لسيدنا إبراهيم عندما ادعى الإماتة والإحياء، والحقيقة غير ذلك.

9.3.2 معنى المعنى عند المفسرين:

أ) الكناية:

جاء في تفسير قوله تعالى: (فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) من الآية (22) سورة الأعراف عند ابن أبي زمنين (ت399هـ) قال: "(دلاَّهما بغرور) المعنى: دلاّهما في المعصية، بأنّ غرهما، والسوءة: كناية عن الفرج (وطفقا) أي: جعلا (يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) قال مجاهد: يعني كهيئة الثوب)"[1]، والسوءة هنا بحسب تفسير "ابن أبي زمنين" (ت399هـ) كناية عن الفرج.

ب) التشبيه:

جاء في تفسير قوله تعالى: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) سورة المدثر الآية (50) و(51) عند الزمخشري قال: "والقسورة جماعة الرماة الَّذين يتصيدونها، وقيل: الأسد، (...) شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر حدث فيها نفارها مما أفزعها. وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل"[2]، وهو نفس ما أتى به "البيضاوي" في تفسير هذه الآية حين قال: "شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة"[3].

ولقد جاء في تفسير قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) الآية (125) سورة الأنعام عند البيضاوي قال: "(كأنّما يصعد في السماء) شبهه مبالغة في ضيق

[1] ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: تفسير القرآن العزيز، ج 2، ص: 115.

[2] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج: 29، ص: 1159.

[3] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الجزء 29، ص:470

صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه، فإنّ صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة، ونبه على أنّ الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود"[1]، فآلية التشبيه كآلية تداولية حاضرة في تفاسير علمائنا القدامى، فهم مثلما هو معلوم، أساتيذ وجهابذة في البلاغة والبيان، لذلك يمكن أن يقال بأنهم كانوا تداوليين ومحللي خطاب وزيادة.

ت) التمثيل:

جاء في تفسير قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ واللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم) الآية (261) سورة البقرة عند "الزمخشري" (ت538هـ) قال: "(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ) لا بدَّ من حذف المضاف أي مثل نفقتهم، كمثل باذر حبة، والمنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء، معنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنّها ماثلة بين عيني الناظر"[2].

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) من الآية (29) سورة الإسراء عند الزمخشري قال: "هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الّذي هو بين الإسراف والتقتير"[3]، وهو نفس ما ذكره البيضاوي عندما قال: "(وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ) تمثيلان لمنع الشحيح، وإسراف المبذر، نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الّذي هو الكرم"[4]، فالتمثيل كتقنية تداولية حجاجية حاضر في وعي علماء التفسير، وتفسير الآيات السابقة أحسن دليل على ذلك.

---

[1] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 8، ص: 517.

[2] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الجزء: 3، ص: 149.

[3] المصدر نفسه، ج: 15، ص: 596.

[4] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 15، لبنان، ص: 299.

الفصل الثالث

تحليل الخطاب النثري

– خطبة مولدية للشيخ البشير الإبراهيمي نموذجا–

تمهيد:

من المعلوم أنّ الجانب النظري في البحوث والدراسات العلمية غير كاف، ما لم يدعمه جانب تطبيقي؛ ولهذا اخترنا أن نخصص الفصل الأخير من هذه الدراسة لاختبار أهم المفاهيم والأدوات والآليات التحليلية الّتي جرى ذكرها في الفصلين النظريين، ولقد اخترنا خطبة وعظية للشيخ البشير الإبراهيمي[1] ألقاها في حفل في العاصمة المصرية القاهرة بمناسبة المولد النبوي الشريف كنموذج تطبيقي لهذه الدراسة؛ نظرا لملامستها ذكرى عزيز عند المسلمين ألا وهي المولد النبوي الشريف كما أنّها تعود لرائد من رواد الإصلاح في الجزائر والعالم العربي ألاّ وهو الشيخ البشير الإبراهيمي، ولقد اخترنا الخطاب النثري دون غيره من الخطابات؛ نظرا لغناه بالمظاهر والخصائص الّتي نروم الكشف عنها.

المبحث الأول: الاتّساق والانسجام النصّي في الخطبة

نسعى في هذا المبحث إلى رصد تمثلات أدوات وآليات الاتّساق النصّي في خطبة الإبراهيمي المولدية، وذلك بغية الكشف عن البنية النصّية لها من جهة، وعن المعاني والدلالات التي يمكن أن توفرها هذه الأدوات والآليات لمحلل الخطاب من جهة أخرى.

1.1 الاتّساق النصيّ في الخطبة :

1.1.1 الإحالة:

تعتبر الإحالة من أهمّ آليات اتّساق النصوص وتماسكها حسب اللّسانيين هاليداي ورقية حسن، إذ لا غنى عنها في صناعة نصّية النصّ، فمن خلالها تتماسك جمل النصّ وتترابط مع بعضها البعض، ولعلّ من أهمّ الأدوات الّتي تتجسد من خلالها في النصوص نجد: الضمائر، والأسماء

[1] ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قرية رأس الوادي بناحية مدينة سطيف، بالشرق الجزائري في يوم 14 يونيو عام 1889، هو عضو من أعضاء جمعية علماء المسلمين الجزائرية، ورئيسا لها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، زار الشيخ الإبراهيمي العديد من المدن العربية والتقى العديد من العلماء في الأزهر والزيتونة، تميز الشيخ البشير الإبراهيمي بالموهبة والمعرفة والعلم في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، له العديد من الخطب الإصلاحية والكتابات الوعظية والمقالات الإصلاحية، والأدبية، فهو أديب فذ وخطيب جهبذ ومصلح اجتماعي رائد، توفي الشيخ الإبراهيمي بالجزائر في 20 ماي 1965، تاركا وراءه موروثا إصلاحيا، وأدبيا، وفقهيا، جديرا بالدراسة والتحليل. ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ج1، ص:5-6-9-10.

الموصولة، وأسماء الإشارة[1]، حيث سنتطرق فيما يأتي لتمثلات كل أداة من هذه الأدوات في خطبة الإبراهيمي على حدة.

أ) الضمائر:

سنحاول في الجدول أدناه رصد آلية الضمائر في خطبة الإبراهيمي مع تحديد أهم متعلقاتها مثل: اسمها، ونوعها، والعناصر الّتي تعود عليها في الخطبة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

العنصر الإحالة	اسم الإحالة	نوع الإحالة	المحال إليه
واحتفال رجل بعيد ميلاد ولده	هو	نصّية قبلية	رجل
هو مولد لكل ما جاء	هو	نصية قبلية	ميلاد محمد (ص)
فهو مولد لصلاح والإصلاح	هو	نصية قبلية	ميلاد محمد (ص)
وهو مولد لجميع الشرائع	هو	نصّية قبلية	ميلاد محمد (ص)
طهرت النفوس	هي	نصية قبلية	الشرائع السمحة
صححت الحدود	هي	نصية قبلية	الشرائع السمحة
أصبح راضيا بحاله	هو	نصية قبلية	الأصناف المذكورة
ناعما في عيشه	هو	نصية قبلية	الأصناف المذكورة
سعيدا في حياته	هو	نصية قبلية	الأصناف المذكورة
ومولد محمد (ص) هو	هو	نصية قبلية	مولد محمد (ص)
حالة من الظلام جللها	هي	نصية قبلية	حالة من الظلام
وحالة من النور كانت تترقبها	هي	نصية قبلية	حالة من النور
وقد طلع فجرها	هي	نصّية قبلية	حالة من النور
الشر الذي لا خير فيه	هو	نصّية قبلية	الشر
الخير الذي لا شر معه	هو	نصّية قبلية	الخير

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص- مدخل لانسجام الخطاب، ص: 18-19.

مولد محمد (ص)هو مولد	هو	نصّية قبلية	مولد محمد (ص)
حررت العقل والفكر	هي	نصية قبلية	التعاليم
وسمت بالروح	هي	نصية قبلية	التعاليم
ومولد محمد (ص) هو مولد	هو	نصية قبلية	مولد محمد (ص)
المعاني التي أصلحت الأرض	هي	نصية قبلية	المعاني
ووصلتها بالسماء	هي	نصية قبلية	الأرض
وفتحت الطريق إلى الجنة	هي	نصية قبلية	المعاني
قولوا لهم جميعا	هم	نصية قبلية	الأصناف السابقة.
قد سبقكم محمد (ص)	أنتم	نصية قبلية	الأصناف السابقة
وقد نصب لكم	أنتم	نصية قبلية	الأصناف السابقة
بقرآنه وسيرته	هو	نصية قبلية	محمد (ص).
ولكنكم قوم لا تفقهون	أنتم	نصية داخلية	الأصناف السابقة.
فارجعوا إليه	هو	نصية داخلية	محمد (ص).
إن كنتم صادقين	أنتم	نصّية داخلية	الأصناف السابقة
تجدوه منكم قريبا	أنتم	نصّية داخلية	الأصناف السابقة
الّتي يجب أن نستشعرها	هي	نصّية داخلية	المعاني.
وحينما نحتفل به	هو	نصّية داخلية	المولد
فزوائد لا قيمة لها	هي	نصّية داخلية	زوائد
ولا أثر لها في النفوس	هي	نصّية داخلية	زوائد
هي المعاني	هي	نصّية بعدية	المعاني
نعدّ أنفسنا للتأثر بها	هي	نصية قبلية	المعاني
نلين قيادها	هي	نصية قبلية	الأنفس

لتلقيه والعمل به	هو	نصّية قبلية	الخير
إذا مررنا بها	هي	نصّية داخلية	المعاني
على مواطن العبرة فيها	هي	نصّية داخلية	المعاني
واستدرجناها لحسن	هي	نصية داخلية	المعاني
لكان إظلاله	هو	نصية قبلية	المولد المحمدي
وهي جامدة	هي	نصية قبلية	عقولنا
وهي خامدة	هو	نصية قبلية	هممنا
وهي سخيفة	هي	نصية قبلية	عاداتنا
لعب للصغار ليس فيها فائدة	هي	نصية قبلية	لعب
وخطب للكبار ليس فيها عائدة	هي	نصية قبلية	خطب
بسيرته	هي	نصية قبلية	محمد (ص)
في كليهما على	هما	نصية قبلية	المولد والسيرة
في مولده	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
ونعمر يومه وأسبوعه	هو	نصية قبلية	مولد محمد (ص)
حفلات تقليدية ليس فيها	هي	نصية قبلية	حفلات
نتدارس سيرته	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
فلا ندرس إلاّ جانبها	هي	نصية قبلية	السيرة
أكله ولباسه ونومه	هي	نصية قبلية	محمد (ص)
لا جانبها الملكي	هي	نصية قبلية	السيرة
صبره وجهاده وتربيته لأمته	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
وقطع الوقت بما لا طائل فيه	هو	نصية قبلية	الوقت
إنّها ذكرى للغافلين	هي	نصية قبلية	الحفلات المولدية

وإنّما لم يفعلها السلف الصالح	هي	نصية قبلية	الحفلات المولدية
لأنّهم كانوا متذكرين	هم	نصية قبلية	السلف الصالح
وطبيعة قربهم	هم	نصية قبلية	السلف الصالح
وعمارة أوقاتهم	هم	نصية قبلية	السلف الصالح
التي رانت فيها	هي	نصّية قبلية	الأزمنة المتأخرة
واستولت عليها	هي	نصية قبلية	الأزمنة المتأخرة
واحتاج فيها المسلمون	هم	نصية قبلية	المسلمون
تاريخهم يستنيرون عبره	هم	نصية قبلية	المسلمون
وإلى نبيهم يدرسون سيره	هم	نصية قبلية	المسلمون
وإلى قرآنهم يستجلون حقائقه	هم	نصية قبلية	المسلمون
لو فهمناه	هو	نصّية قبلية	المولد المحمدي
المولد المحمدي الّذي هو	هو	نصية قبلية	المولد محمد (ص).
البعثة المحمدية التي هي	هي	نصية قبلية	البعثة المحمدية
لأنّه دين أكمل الأديان	هو	نصّية قبلية	دين
تهديكم إليها هذه الذكرى	هي	نصّية قبلية	الحقيقة
محمد بدينه	هم	نصية قبلية	محمد (ص)
وقرآنه وسيرته	هو	نصّية قبلية	محمد (ص)
وأقيموا دينه	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
لا بمولده	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
من الخير للمسلمين أن يسيروا	هم	نصّية قبلية	المسلمين
بأبدانهم وعقولهم	هم	نصّية قبلية	المسلمين
المتزاحمة على مواردها	هي	نصية قبلية	الحياة

الحق الّذي تؤيده	هو	نصية قبلية	الحق
القوة التي تؤيدها	هي	نصية قبلية	القوة
ويتحقق وعد الله إياهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
وتمكين دينهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
ارتضاه لهم	هم	نصّية قبلية	المسلمين
فيها	هي	نصية قبلية	الأرض
وتبديل خوفهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
وعبدوا الله	هم	نصية قبلية	المسلمين
ولا يشركوا به شيئا	هو	نصية قبلية	الله
من الخير العميم لهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
إلاّ في ليلة واحدة منه	هي	نصية قبلية	العام
فالواجب عليهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
وأن يطو فيها	هي	نصية قبلية	ليلة ميلاد محمد (ص)
وأن يمحوها	هي	نصية قبلية	المراحل الأربعة عشر
أذهانهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
بخيرها وشرها	هي	نصية قبلية	المراحل الأربعة عشر.
ليتصلوا في ليلة	هم	نصية قبلية	المسلمين
انفجر منها	هي	نصية قبلية	الأفاق
ماؤه العذب الزلال	هو	نصية قبلية	ميلاد محمد
وغسل أكدارها	هي	نصّية قبلية	النفوس
وأحيا مواتها	هي	نصّية قبلية	الأرض
يبلغوا مطلع الحقيقة	هم	نصية قبلية	المسلمين

السعادة الّتي جلها	هي	نصّية قبلية	السعادة
ليجتمعوا بمحمد (ص)	هم	نصّية قبلية	المسلمين
فيأخذوا عنه	هو	نصّية قبلية	محمد (ص)
ويتعهدها بالسقي	هي	نصّية قبلية	الفضيلة
أن يضار الجسد أو يضيمه	هي	نصّية قبلية	الجسد
سنن الله في الدين وسننه	هي	نصّية قبلية	لفظ الجلالة (الله)
يزاوج بين السعادتين فيهما	هما	نصّية قبلية	الدنيا والآخرة
يجب أن يذكرها	هي	نصّية قبلية	المعاني
وأن يتذكروها	هي	نصّية قبلية	المعاني
كلما أظلتهم	هم	نصّية قبلية	المسلمين
يحتفلوا لذكرها	هي	نصية قبلية	المعاني
بالتخلق بها	هو	نصية قبلية	المعاني
في أنفسهم	هي	نصية قبلية	المسلمين
ثم فيمن يليهم	هم	نصية قبلية	المسلمين
إلى غايتها	هي	نصية قبلية	المعاني
وبينه	هو	نصية قبلية	نبينا
فقد تركه	هو	نصية قبلية	القرآن
وقد كان خلقه القرآن	هو	نصية قبلية	نبينا
يرضى لرضاه	هو	نصية قبلية	القرآن
ويغضب لغضبه	هو	نصية قبلية	القرآن
يقف عند حدوده	هو	نصية قبلية	القرآن
أفعاله وتروكه	هو	نصية قبلية	القرآن

أوامره ونواهيه	هو	نصية قبلية	القرآن
ينحت من معدنه	هو	نصية قبلية	القرآن
ربى بها	هي	نصية قبلية	الآداب
نفسه	هو	نصية قبلية	نبينا
أصحابه	هو	نصية قبلية	نبينا
ثم تركها	هي	نصية قبلية	الآداب
نتيه بها على الغابرين	هي	نصية قبلية	شهادة
لأصحابه	هو	نصية قبلية	النبي
في كل ما جاء به	هو	نصية قبلية	المرجع الإلهي المعصوم
نتلمسها	هي	نصية قبلية	عقائد وعبادات وأحكام
من كتب فيها	هي	نصّية قبلية	آداب
وفيها المصنوع	هي	نصية قبلية	كتب
وفيها الصحيح	هي	نصية قبلية	كتب
يصرفون اهتمامهم	هم	نصّية قبلية	المؤلفين
الجهات التي لا محل فيها	هي	نصّية قبلية	الجهات
أكثر مما يصرفونه	هو	نصية قبلية	اهتمامهم
تزكي النفس وتطبعها	هي	نصّية قبلية	النفس
كيفية لبسه وأكله وشربه ونومه	هو	نصّية قبلية	محمد (ص).
وملابسه وأهله	هو	نصّية قبلية	محمد (ص)
ومراقبته له	هو	نصّية قبلية	لفظ الجلال (الله)
وتأديته الأمانة	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
وصبره وشجاعته	هو	نصية قبلية	محمد (ص)

وتربيته لأصحابه	هو	نصية قبلية	محمد (ص)
وتدريبهم	هم	نصية قبلية	الصحابة
أنفسهم	هم	نصية قبلية	الصحابة

يلاحظ من خلال ما سبق، أنّ إحالة الضمير في خطبة الإبراهيمي تعددت بين إحالة على كلمة، وإحالة على جملة، وإحالة على متعدد أو فقرة كاملة، وهذا مما يعكس احترافية الشيخ "البشير الإبراهيمي" في استعمال تقنية الإحالة الضميرية في الخطبة، مما أكسب خطبته اتّساقية وترابطية عالية.

ب) الأسماء الموصولة:

بعد رصد الضمائر وإحالتها في الخطبة، سنحاول فيما يأتي تحديد الأسماء الموصولة في الخطبة مع ضبط نوع الإحالة فيها، وكذا الأشياء الّتي تعود عليها، والجدول الموالي يوضح ذلك:

العنصر المحيل	إسمالموصول	نوع الإحالة	المحال إليه
المولد النبوي الّذي	الّذي	نصّية داخلية	المولد النبوي
كبقية الموالد الّتي	الّتي	نصية داخلية	الموالد
ميلاد محمد (ص) الّذي	الّذي	نصية داخلية	ميلاد محمد (ص)
الشرائع السمحة الّتي	الّتي	نصية داخلية	الشرائع
الشر الّذي لا خير فيه	الّذي	نصية داخلية	الشر
الخير الّذي لا شر معه	الّذي	نصية داخلية	الخير
التعاليم الّتي حررت	الّتي	نصية داخلية	التعاليم
من المعاني الّتي	الّتي	نصية داخلية	المعاني
المعاني الّتي يجب	الّتي	نصية داخلية	المعاني
نتدارس سيرته الّتي	الّتي	نصية داخلية	السيرة
والحق الّذي	الّذي	نصية داخلية	الحق
الأزمنة المتأخرة الّتي	الّتي	نصّية داخلية	الأزمنة

المولد المحمدي الّذي	الّذي	نصّية داخلية	المولد المحمدي
البعثة المحمدية الّتي	الّتي	نصّية داخلية	البعثة المحمدية
الحق الّذي تؤيده	الّذي	نصّية داخلية	الحق
القوة الّتي يؤيدها	الّتي	نصّية داخلية	القوة
وتمكين دينهم الّذي	الّذي	نصّية داخلية	الدين
الأربعة عشر الّتي	الّتي	نصّية داخلية	المراحل الأربعة
بالأفاق الّتي انفجر	الّتي	نصية داخلية	الأفاق
حقيقة السعادة الّتي	الّتي	نصية داخلية	السعادة
بالقرآن للتي هي أقوم	الّتي	نصية داخلية	هي أقوم
هذه المعاني هي الّتي	الّتي	نصية داخلية	المعاني
الآداب الّتي ربى بها	الّتي	نصية داخلية	الآداب
وإخواني الّذين يأتون	الّذين	نصية داخلية	إخواني
وفيها الصحيح الّذي	الّذي	نصية داخلية	الصحيح
السير الّتي هي كنوز	الّتي	نصية داخلية	السير
الّتي لا محل لها	الّتي	نصية داخلية	الجهات
للاقتداء الّذي يزكي	الّذي	نصية داخلية	الاقتداء

يظهر من خلال الجدول السابق تركز الإحالة باسم الموصول في الخطبة في الاسمين المصولين (الّذي والّتي)، فقد كان لهما حضور بارز في خطبة الإبراهيمي مقارنة بالأسماء الموصولة الأخرى.

ت) أسماء الإشارة:

لأسماء الإشارة نفس وظيفة الضمائر والأسماء الموصولة في النصّ، إذ تعتبر أداة من أدوات الإحالة النصّية، والجدول الآتي يرصد تمظهراتها في خطبة الإبراهيمي، وكذا الأشياء الّتي تشير إليها:

العنصر الإشاري	اسم الإشارة	نوع الإحالة	المشار إليه
ليس هذا المولد النبوي	هذا	نصية بعدية	المولد النبوي
كل أولئك أصبح	أولئك	نصية قبلية	الأصناف الّتي ذكرت
مع فجر هذا اليوم	هذا	نصية بعدية	اليوم
تلك التعاليم	تلك	نصية بعدية	التعاليم
ذلك (...) من المعاني	ذلك	نصية بعدبة	المعاني
سبقكم محمد إلى هذا كله	هذا	نصية قبلية	الفقرة السابقة
هذه المعاني الّتي	الّتي	نصية بعدية	المعاني
ولا يكون ذلك	ذلك	نصّية قبلية	قيادها للخير.
بهذه المعاني	هذه	نصّية بعدية	المعاني
هذه التوافه	هذه	نصّية بعدية	التوافه
في هذه الحفلات	هذه	نصّية بعدية	الحفلات
ويطيلون الكلام في ذلك	ذلك	نصّية قبلية	مشروعة أو غير مشروعة؟
أمّا في هذه الأزمنة	هذه	نصّية بعدية	الأزمنة
بتلك المعاني الجليلة	تلك	نصّية بعدية	المعاني
وهنالك تضعون أيدكم	هنالك	نصّية قبلية	إلى البعثة المحمدية
في هذه الذكرى المحبة	هذه	نصّية بعدية	الذكرى
صاحب هذه الرسالة	هذه	نصّية بعدية	الرسالة
تلك الحقائق	تلك	نصّية بعدية	الحقائق
أن يفعلوا ذلك في جميع	ذلك	نصّية قبلية	الفقرة السابقة
هذه هي المراحل الأربع عشرة	هذه	نصّية بعدية	المراحل الأربعة عشر

على هذا الكوكب الأرضي	هذا	نصّية بعدية	الكوكب الأرضي
والواجب أن يفعلوا هذا	هذا	نصّية قبلية	الفقرة السابقة
هذه المعاني	هذه	نصّية قبلية	المعاني
كلما أظلتهم هذه الليلة	هذه	نصّية بعدية	الليلة
وأن يعتبروا هذه الليلة	هذه	نصّية بعدية	الليلة
تلك الآداب	تلك	نصّية بعدية	الآداب
هذا المرجع الإلهي المعصوم	هذا	نصّية بعدية	المرجع الإلهي المعصوم
بتلك السير	تلك	نصية بعدية	السير

يتبين من خلال جدول أعلاه أنّ الإحالة باسم الإشارة في الخطبة قد تعددت أيضا بين إشارة إلى كلمة وإشارة إلى جملة أو عبارة، وإشارة إلى متعدد أو فقرة كاملة، وهذه سمة مشتركة بينها وبين الإحالة بالضمير، إذ يمكن استعمالهما للإحالة على متعدد أو فقرة كاملة، وليس فقط على كلمة أو جملة واحدة.

2.1.1 الوصل:

يعد الوصل خاصية مركزية من خصائص اتّساق النصوص وتماسكها؛ فهو وسيلة نصّية سطحية تتجسد في النصّ من خلال ما يسمّى بالروابط اللّغويّة[1]، فهي كثيرة ومتعددة في اللّغة، إلاّ أنّها ذات وظيفة واحدة تتمثل في ربط الجمل مع بعضها البعض، للربط مثلما هو معلوم عدة عناصر يتم من خلالها، حيث تمّ تتبعها في نصّ خطبة "الإبراهيمي" مع تحديد عدد ترددااتها، والجدول الآتي يوضح ذلك:

عنصر الوصل	نوعه	عدد الترددات
الواو	العطف	233
الفاء	العطف	17

[1] محمد خطابي: لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 23.

أو	العطف	6
ثمّ	العطف	1
في	الجر	48
ب	الجر	27
من	الجر	44
على	الجر	23
إلى	الجر	25
لام	الجر	22
لأنّ	السببية	2
إلاّ	الاستثناء	2
لكن	الاستدراك	4
أمّا	الشرط	1
إذا	الشرط	3

كانت هذه إجمالا أهمّ الروابط ذكرا وحضورا في نصّ الخطبة، حيث تمثلت وظيفتها في ربط ووصل مختلف الجمل والعبارات المكونة لنصّ الخطبة، وكان أكثر الروابط حضورا في الخطبة حرف (الواو)، إذ تكرر حوالي (288) مرة، يليه حرف الجر (في) والّذي تكرر حوالي (48) مرة، ليأتي بعده حرف الجر (من) بمجموع (44) مرة، ثمّ تأتي بقية العناصر الأخرى.

يتضح من خلال ما سبق أنّ حرف (الواو) قد هيمن على معظم الخطبة؛ فالفروقات بينه وبين العناصر الأخرى كبيرة جدا، وهذا مما يجعل منه الأداة الأقوى في ترابط جمل النصوص واتّساقها وتماسكها، مما يسمح بإدراكها ككل موّحد متكامل.

3.1.1 الاتّساق المعجمي:

أ) التكرير:

من المعلوم أنّ التكرير مظهر من مظاهر الاتّساق النصيّ، حيث يبرز هذا المظهر في المستوى المعجمي للنصّ[1]؛ لذلك سنحاول تتبعه ورصده في خطبة الإبراهيمي، والجدول الآتي يوضح مسار هذه الظاهرة وتجلياتها في خطبة الإبراهيمي:

رقم الفقرة	موضع التكرير	نوعه
1	-تحيون ذكراه في كل عام ميلاد رجل **محدود** الوجود، ولو كان كذلك	تكرير متطابق
	لكان **محدود** المعنى.	تكرير متطابق
	-لو كان كذلك **لكان** محدود المعنى، (...) و**لكان** كبقية.	تكرير متطابق
	-في كل ميلاد **رجل** (...) واحتفال **رجل** بعيد ميلاد ولده	تكرير متطابق
	-لا ينقل شعور **الفرح** و**الابتهاج** من الولدين إلى الجيران.	تكرير معنوي
	-إلاّ على نمط من **المجاملة** و**المقارضة**.	تكرير معنوي
2	-هو **مولد**(...)، فهو **مولد** (...) وهو **مولد** لجميع الشرائع.	تكرير متطابق
	-ميلاد **محمد** (ص) (...) هو مولد (..) **محمد** (ص).	تكرير متطابق
	-الذي جاء **بالهدى ودين الحق**.	تكرير معنوي
	-فوقف كل **خليط** من **خليطه** موقف (...)، ظلم **خليطه**.	تكرير متطابق
	-ومولد **محمد** (ص)، (...). فميلاد **محمد** (ص).	تكرير متطابق
	-وحالة من **النور** كانت تترقبها، (...)، إلى **النور**.	تكرير متطابق
	-حالتين **للبشرية**، (..)، كان إيذانا من الله بنقل **البشرية**.	تكرير متطابق
	-وقد طلع **فجرها** مع **فجر** هذا اليوم.	تكرير متطابق

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص- مدخل لانسجام الخطاب، ص: 24.

3	-من **الخير** الذي لا **شر** فيه إلى **الخير** الذي لا **شر** معه.	تكرير متطابق
	-و**مولد** محمد (ص) هو **مولد** تلك التعاليم التي حررت العقل	تكرير متطابق
	-بعدما تدّنت المادة إلى **الحيوانية**، وبالشهوات إلى **البهيمية**.	تكرير معنوي
	-و**مولد (ص)** هو **مولد** الإسلام والقرآن.	تكرير متطابق
	-فقولوا لمن جاء (...) **قولوا** لهم جميعا.	تكرير متطابق
	-زاعم يزعم الانتصار **للحق**، وزعيم يهتف **للحق**.	تكرير متطابق
	-وزعيم **يهتف** بالحق، وداع **يدعو** إلى الحرية.	تكرير معنوي
4	-من **أين** يبتدأ ولا من **أين** ينتهي؟	تكرير متطابق
5	-أعلام الهداية في **كلّ** مصعد و**كلّ** منحدر.	تكرير متطابق
	-حتّى **نلين** قيادها للخير، و**ندمث** وعورتها لتلقيه والعمل به.	تكرير معنوي
6	-واستدرجنها لحسن **الاقتداء** بها واتقان **الاحتذاء** لها.	تكرير معنوي
	-وجلاء **لأرواحنا**، ولكانت آثار ذلك سموا في **أرواحنا**.	تكرير متطابق
	-جمعا لكلمتنا على الحق، و**توحيدا** لصفوفنا.	تكرير معنوي
	-نمط من عاداتنا وهي **سخيفة**، وقصرناه على هذه **التوافه**.	تكرير معنوي
	-ليس فيها **فائدة**، وخطب للكبار ليس فيها **عائدة**.	تكرير معنوي
8	**-فعلنا** بمولد محمد (ص)- ما **فعلناه** بسيرته.	تكرير متطابق
	-فنحن في مولد **نلهو** و**نلعب**.	تكرير معنوي
9	-على أضعف **جانبيه**، (...)، فلا ندرس إلاّ **جانبها**.	تكرير متطابق
10	-ما فعلناه **بسيرته**، (...)، نحن نتدارس **سيرته**.	تكرير متطابق
	-هذه الحفلات هل هي **مشروعة** أو غير **مشروعة؟**	تكرير متطابق
11	واحتاج **المسلمون** إلى المنبّهات، **المسلمون** إلى تاريخهم يستنيرون عبره.	تكرير متطابق

	قبل أن تقيموا حفلات **المولد**، أقيموا معاني **المولد**، وتدرجوا من **المولد**.	تكرير متطابق
12	-المولد **المحمدي** الذي هو مولد رجل إلى البعثة **المحمدية**.	تكرير متطابق
	-دين نسخ **الأديان**؛ لأنّه أكمل **الأديان**.	تكرير متطابق
13	-من **أين** انتقلتم وإلى **أين** وصلتم.	تكرير متطابق
	-صاحب هذه الرسالة بعث **بالعزة** (...) فكونوا **أعزة**.	تكرير متطابق
14	-والعلم و**القوة** (...) وكونوا **أقوياء**.	تكرير متطابق
	-وسيرته لا **بمولده**، (...)، أن تقيموا **مولده**.	تكرير متطابق
	-واعرفوا محمد **بدينه** (...) وأقيموا **دينه**.	تكرير متطابق
	-ولا عليكم بعد ذلك أن **تقيموا** مولده أو لا **تقيموه**.	تكرير متطابق
15	-إنّ محمد (ص) يطالبكم **بإقامة** الدين لا **بإقامة** المولد.	تكرير متطابق
	-وإنّ **دينكم دين** الحقائق.	تكرير متطابق
	-دين **الحقائق** والأعمال والنظم، فارجعوا إلى تلك **الحقائق**.	تكرير متطابق
	-مع الأمم **الزاحفة** (...) **الزاحفة** المتزاحمة.	تكرير متطابق
	-المتزاحمة على مواردها، (...)، الزاحفة **المتزاحمة**.	تكرير متطابق
	-من **الخير** (...) والإحسان و**الخير** والمحبة.	تكرير متطابق
16	-مع **الأمم** (...) أو أمام **الأمم**.	تكرير متطابق
	-الّذي تؤيده **القوة**، وإلى **القوة**.	تكرير متطابق
	-بحداء القرآن إلى **الحق** (...) التي يؤيدها **الحق**.	تكرير متطابق
	-من الخير العميم لهم أن **يفعلوا** (...)، والواجب أن **يفعلوا**.	تكرير متطابق
17	-إلاّ في **ليلة** واحدة منه، وهي **الليلة**، (...) ليتصلوا في **الليلة** (...).	تكرير متطابق
	-مطلع **الحقيقة**، **حقيقة** السعادة.	تكرير متطابق

	-فالواجب عليهم (...) والواجب عليهم أن يفعلوا هذا.	تكرير متطابق
	-يمهد **للحق** (...) في خدمة **الحق**.	تكرير متطابق
	-للروح من الجسم (...) أذن لسلطان **الروح**.	تكرير متطابق
	-من **الجسم** حتى إذا (...) **الجسد**.	تكرير متطابق
18	**-يضار** الجسد أو **يضيمه**.	تكرير معنوي
	كيف كان (...)، **كيف كان** (...)، **كيف كان** (...)، **كيف كان**(...)،	تكريرمتطابق
19	كيف **كان** (...)، **كيف كان** (...)، **كيف كان** (...).	تكرير متطابق
	-بين **سنن** الله في الدين و**سننه** في الكون.	تكرير متطابق
	-وطهر **الأرض** (...)، كوكب الشقاء و**الأرض**.	تكرير متطابق
20	-على هذا **الكوكب** الأرضي، **كوكب** الشقاء.	تكرير متطابق
	-وتعهدها **بالسقي** و**الرعاية**.	تكرير معنوي
	-طهر الأرض (...)، و**غسل** أكدارها.	تكرير معنوي
	-في **الدين** وبين (...)، و**الدين** بالدنيا.	تكرير متطابق
21	**-ليربط** الأسباب (...)، و**يزاوج** بين السعادتين.	تكرير معنوي
	-هذه **الليلة** من كل عام، (...) وأن يعتبروا هذه **الليلة**.	تكرير متطابق
22	-بين **مرحلة** مقطوعة و**مرحلة** مستأنفة.	تكرير متطابق
	-أيها **الإخوان**، (...)، و**إخواني** الذين يأتون من بعدي.	تكرير متطابق
	-حبل الله **القرآن**، (...)، وقد كان خلقه **القرآن**.	تكرير متطابق
	أصحابه، (...)، إذ قال **لأصحابه** (...)، أنتم **أصحابي**.	تكرير متطابق
	ولكننا **تركنا** (...) كما **هجرناه**.	تكرير معنوي
	ولا يحي **نزعة** من **نزعات** الخير فينا.	تكرير متطابق

	إلى المثل **الأعلى** (...) إلى الملأ **الأعلى**.	تكرير متطابق
	الذي **يزكي** (...)، الّتي **تزكي** النفس.	تكرير متطابق
	الّذي يزكي **النفس** (...)، التي تزكي **النفس**.	تكرير متطابق
	وطاعة **للحق** وفي **الحق**.	تكرير متطابق

يبرز من خلال جدول السابق تركز التكرير في الخطبة على شكلين اثنين هما: التكرير المتطابق، والتكرير المعنوي، وبعقد مقارنة بسيطة بين النوعين نلاحظ، أنّ التكرير المتطابق هو المهيمن والأكثر بروزا في الخطبة، مقارنة بالتكرير المعنوي الّذي كان حضوره ضئيلا.

ب) التضام:

يرى الباحث محمد خطابي أنّه "المظهر الثاني من مظاهر الاتّساق المعجمي"[1]، وله نفس وظيفة التكرير الاتّساقية، والجدول أدناه يكشف توروداته في خطبة الإبراهيمي:

موضع التضام	نوعه
-وراء كل **حياة موتا**.	تضاد
-**فتغالي** فيها أو **تتوسط**.	تقابل
-**الهداية والرحمة والخير والعدل والإحسان**	نفس القسم
-**والأخوة والمحبة والرفق، الشرائع السمحة**.	نفس القسم
-**فالمرأة والرجل، والأمير والمأمور، والحر والعبد،**	تعارض
-**والكبير والصغير، والأب والابن، والعربي والأعجمي،**	تضاد
-**والأجير والمستأجرّ، والغني والفقير**.	
-**راضيا، ناعما، سعيدا، آمنا**.	تضاد
-بنقل البشرية من **الظلمات والنور**.	نفس القسم
	تضاد

[1] محمد خطابي: لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:24.

-حالة من **الظلام** (...)، وحالة من **النور**.	تضاد
-ومن **الضلال** إلى **الهداية**.	تضاد
-ومن **الوثنية** إلى **التوحيد**.	تعارض
-ومن **العبودية** إلى **الحرية**.	تضاد
-لا **الخير** فيه (...) والشر.	تضاد
-حررت **العقل** و**الفكر** وسمت بالروح إلى الملأ الأعلى.	جزء كل
-**الحيوانية** (...) **السبعية** الجارحة.	كل جزء
-مولد **الإسلام** و**القرآن** (...) الطريق إلى الجنة.	نفس القسم
-أصلحت **الأرض** ووصلتها **بالسماء**.	نفس القسم
-وعاقل يبكي على **العقل**، و**مفكر** يجهد في تحرير **الفكر**.	جزء بكل
-وزعيم يهتف **للحق**، وداع يدعو إلى **الحرية**.	تلازم
-و**روحاني** يعمل لسمو **الروح**، و**أخلاقي** يضع الموازين.	نفس القسم
-**للمثل العليا**، وحاكم يحاول إقامة **العدل**.	نفس القسم
-**حائر**، **الهداية**.	تضاد
-في كل **مصعد** وكل **منحدر**	تضاد
-من أين **يبتدأ** ولا من أين **ينتهي؟**	تضاد
-**محمد** (ص)، (...)، **بقرآنه وسيرته**.	نفس القسم
-ما عاد ذلك **مما نقوله** و**نفعله**.	التضاد
لا قيمة لها في **العقول** ولا أثر لها في **النفوس**.	
و**العمل** به، (...)، و**الاتقان** الإحتذاء لها.	نفس القسم
تجديد **لهممنا**، وإيقاظا **لشواعرنا**.	تلازم
	تلازم

وصقلا **لأذهاننا**، وجلاء **لأرواحنا**، (...)، وسدادا في **أرائنا**.	تلازم
لعب **للصغار** (...) وخطب **للكبار**.	تضاد
مولد **محمد (ص)**، (...)، نحن نتدارس **سيرته**.	جزء كل
كيفية **أكله** و**لباسه** و**نومه**	نفس القسم
جانبها **الملكي** من **صبره** و**تربيته**.	كل بالجزء
الفقهاء (...)، وإنّما لم يفعلها **السلف الصالح**.	نفس القسم
دينهم، (...) أوقاتهم ب**الصالحات**.	نفس القسم
المسلمون (...)، فمن الحكمة، (...)، وإلى **نبيهم** يدرسون **سيره** (...)،	نفس القسم
وإلى **قرآنهم** (...)، **محمد** (ص).	نفس القسم
أيّها **المسلمون**، (...) معاني **المولد**، (...) **المولد المحمدي**، (...) **البعثة**	نفس القسم
المحمدية، (...) **دين** نسخ **الأديان**.	نفس القسم
في هذه الذكريات **المحبة والأخوة والاتحاد على الحق**.	تلازم
صاحب هذه الرسالة بعث **بالعزة والكرامة**.	تلازم
إنّ محمد (ص) (...) دينكم **دين الحقائق والأعمال والنظم**.	جزء كل
أبدانهم وعقولهم.	جزء كل
المسلمين والقرآن، الاستخلاف في الأرض، دينهم، عبدوا.	جزء كل
– **آمنوا**، (...) **يشركوا**.	التضاد
ليعمروا هذا الكون **بالعدل والصلاح والإحسان والخير والمحبة**.	تلازم
وتبديل **خوفهم أمنا**.	تضاد
وأن يمحوها **بخيرها وشرها**.	تضاد
الأذهان النفوس.	تضاد
	الالتزام

وطهر الأرض **وأحيا موتاها**.	تضاد
حقيقة **السعادة**، (...) كوكب **الشقاء**..	تضاد
يقلع يغرس.	تضاد
الحق والواجب.	تلازم
الفجار، الكفر.	تلازم
السقي والرعاية	تلازم
المعاني **الفاجرة** (...) **الفضيلة**.	تضاد
تنمو وتورق وتظل وتثمر	نفس القسم
يقلع **الوثنية** ليزرع **التوحيد**	تضاد
ويهدم الضلال ليبني الهدى.	تضاد
الروح والجسم.	نفس القسم
ليربط **الأسباب بالمسببات**.	تلازم
والدين، الدنيا	نفس القسم
على **مضى** وعلى عام **سيأتي**.	تضاد
مرحلة **مقطوعة** ومرحلة **مستأنفة**.	تضاد
فيمن يليهم من **أهل** و**الجيران** و**أقارب**.	نفس القسم
أن يحتفلوا لذكرها **باللسان** وذكرها **بالقلب** وتحقيقها **العمل**.	نفس القسم
النبي (ص)، القرآن، الحدود، شهادة.	نفس القسم
من **أوامره ونواهيه**.	تضاد
الآداب، تشريفا، ربّى، خلقه.	نفس القسم
أصحابي وإخواني.	نفس القسم
	نفس القسم

سيرة نبينا، (...)، المرجع الإلهي.	نفس القسم
من **عقائد، وعبادات، وأحكام، وآداب.**	نفس القسم
كتب (...)معارف، (...)، وأعلام (...)، السير، الفكر.	نفس القسم
المؤلفون في **السير.**	نفس القسم
المواطن السطحية البشرية مثل: **لبسه، وأكله وشربه، ونومه، ملابسه،**	نفس القسم
وعلى **التعاون** و**التناصح** و**التحابب** و**التآخي** و**الاتحاد.**	نفس القسم

يبرز من خلال الجدول أعلاه استعمال "الإبراهيمي" للكلمات المتضادة بكثرة، والكلمات من نفس القسم أو ذات الحقل الدلالي الواحد، وهذا مما يؤكد على انتماء الإبراهيمي لمدرسة الصنعة اللّفظيّة، حيث اهتم بكل ما من شأنه أن يجعل خطبته بليغة، واستعمال المتضادات والتعارضات في الكلام أبرز دليل على ذلك.

4.1.1 الاستبدال

يعتبر الاستبدال ملمحا مهما من ملامح اتّساق النصّ وتماسكه؛ حيث يلجأ إليه تجنبا للتكرار، وطلبا للإيجاز والاختصار، ولقد كان كغيره من الأدوات النصّية حاضرا في مختلف فقرات خطبة الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث تنوع بين استبدال قولي، واستبدال اسمي، وفيما يأتي بيان لأهم المواضع الّتي ظهر فيها:

أ) الاستبدال القولي:

جاء هذا النوع من الاستبدال في قول الشيخ الإبراهيمي: "مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو مولد تلك التعاليم"[1]، حيث استبدلت كلمات: (الهداية، والتوحيد، والحرية) الّتي وردت سابقا بكلمة (التعاليم)، كما برز أيضا في قول الإبراهيمي: «هو مولد القرآن والإسلام وذلك الفيض العميم

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج 4، (1952-1954)، ص: 143.

من المعاني"[1]، حيث استبدلت عبارات: (الصلاح والإصلاح والهداية والرحمة والخير والعدل والإحسان والأخوة والمحبة والرفق) الّتي ذكرت سابقا، بعبارة (الفيض العميم من المعاني)، كما ظهر أيضا هذا النوع من الاستبدال عندما قال الإبراهيمي: "قولوا لهم جميعا"[2]، حيث تمّ استبدال الأصناف الّتي ذكرت سابقا من : (زاعم وزعيم وداع وعاقل ومفكر وروحاني وأخلاقي وحاكم وحائر) بكلمة (جميعا)، وتجلى الاستبدال أيضا في قوله: "قد سبقكم محمد إلى هذا كله"[3]، حيث استبدلت عبارات : (الانتصار للحق و يهتف للحق ويدعو للحرية ويبكي على العقل ويجهد في تحرير الفكر ويعمل لسمو الروح ويضع الموازين للمثل العليا و يحاول إقامة العدل و لا يدري من أين يبتدأ ولا من أين ينتهي) بكلمة (كله)، واستعمل هذا من الاستبدال في الخطبة أيضا عندما قال الإبراهيمي: "هذه هي المعاني الّتي يجب أن نعد أنفسنا للتأثر بها"[4]، حيث استبدلت عبارات: (الانتصار للحق، ويهتف للحق، ويدعو للحرية، ويبكي على العقل، ويجهد في تحرير الفكر، ويعمل لسمو الروح، ويضع الموازين للمثل العليا، ويحاول إقامة العدل) بكلمة (المعاني)، كما استخدم هذا الاستبدال أيضا في قول الإبراهيمي: "وتدرجوا من المولد المحمدي"[5]، حيث استبدلت عبارة المولد المحمدي بعبارة (هذه الذكرى) الّتي جاءت بعدها، ولجأ الإبراهيمي إلى هذا الاستبدال أيضا عندما قال : "من الخير العميم لهم أن يفعلوا ذلك"[6]، حيث تمّ تعويض عبارات (يسيروا إلى الأمام، مندفعين بحداء القرآن إلى الحق الّذي تؤيده القوة، يعمروا هذا الكون بالعدل والصلاح والإحسان والخير والمحبة) الّتي وردت سابقا بعبارة (يفعلوا ذلك)، كما جاء الاستبدال أيضا في قول الإبراهيمي "ولكننا تركنا هذا المرجع الإلهي

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 143.
[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.
[3] المرجع نفسه، ج 4 ص: 143.
[4] المرجع نفسه، ج 4 ص: 143.
[5] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.
[6] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

المعصوم"[1]، إذ جرى استبدال عبارة (القرآن الكريم) الّتي وردت سابقا بعبارة المرجع الإلهي المعصوم الّتي وردت بعدها.

ب) الاستبدال الاسمي:

استعمل هذا النوع من الاستبدال في الخطبة عندما قال الشيخ الإبراهيمي: "واذكروا أنّ صاحب هذه الرسالة"[2]، حيث جرى تعويض كلمة (صاحب) بكلمة (محمد) عليه الصلاة والسلام، كما ورد أيضا في قول الابراهيمي "وأن يطووا المراحل الأربعة عشر الّتي نسميها قرونا"[3]، وكان ذلك من خلال تعويض كلمة (المراحل) بكلمة قرون الّتي جاءت بعدها، كما استخدم أيضا في قول الابراهيمي "أيها الإخوان"[4]، حيث جرى استبدال كلمة (المسلمين) الّتي وردت قبلها بكلمة (الإخوان)، وذلك من أجل التقرب والتحبب إلى جماهير المستمعين.

5.1.1 الحذف:

يعد الحذف بدوره خاصية أساسية من خصائص اتساق النصّ وتماسكه، كغيره من الخصائص الأخرى، يحدث الحذف في المستوى المعجمي للنصّ مثل خاصية الاستبدال، حيث يلجأ إليه أيضا من أجل تجنب الحشو والتكرار الغير المفيد في النصّ، وهذه أبرز تجلياته في خطبة الإبراهيمي:

أ) حذف الكلمة:

لقـــد برز هذا النوع من الحذف في قول الإبراهيمي: "وقد شرفنا صـلى اللـه عليـه وسلم تشريفـا"[5]، حيث تمّ حذف كلمة (محمد) الّتي ذكرت سابقا، والاكتفاء بعبارة صلى الله عليه وسلم وذلك من أجل طلب الإيجاز والاختصار.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 146.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

[5] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

ت) **حذف الكلمتين:**

ورد هذا النوع من الحذف في قول الإبراهيمي:"ودينكم دين الحقائق والأعمال والنظم، فارجعوا إلى تلك الحقائق"[1]، حيث جرى حذف كل من كلمتي (الأعمال والنظم)، وذلك لذكرهما سابقا؛ من أجل دفع الحشو والتكرير.

2.1 الانسجام النصيّ في الخطبة:

1.2.1 ترابط القضايا:

المراد بترابط القضايا هو تواصلها دلاليا عن طريق علاقات معينة؛ بحيث تكون القضية الثانية تابعة للقضية الأولى مكلمة لها، ولعلّ من أهم العلاقات الّتي اضطلعت بهذه الوظيفة في خطبة الإبراهيمي ما يأتي:

أ) **علاقة السبب والنتيجة:**

- ولو كان كذلك لكان محدود المعنى لأنّ وراء كل حياة موتا.
- وإنّما لم يفعلها السلف صالح لأنّهم كانوا متذكرين لقوة دينهم.
- البعثة المحمدية الّتي هي مولد دين نسخ الاسلام لأنّه أكمل الأديان.

ب) **علاقة الاستثناء:**

- **لا** ينقل شعور الفرح والابتهاج من الولدين إلى الجيران **إلاّ** على نمط من المجاملة والمقارضة العرفية.
- أمّا ما عدا ذلك مما ونفعله نقوله فزوائد لا قيمة لها في العقول ولا أثر لها في النفوس.
- كذلك نحن ندرس سيرته الّتي هي التفسير العملي للقرآن فلا ندرس **إلاّ** جانبها البشري من كيفية أكله ولباسه ونومه.
- من الخير العميم لهم أن يفعلوا ذلك في جميع أنحاء العام **إلاّ** في ليلة واحدة منه.

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 144.

ت) علاقة الاستدراك:

– ولكن ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالهدى ودين الحق، هو مولد لكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

ث) علاقة المقابلة:

– فوقف كل خليط من خليطه موقف المعاون **لا** موقف المعاكس.

– مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو الفاصل بين حالتين للبشرية: حالة من الظلام كانت ظلام جلها قرونا متطاولة، وحالة من النور كانت تترقبها.

– وأن يمحوها من أذهانهم بخيرها وشرها حتى كأن لم تكن.

هـ) علاقة الاستفهام:

– وحائر لا يدري من أين يبتدأ ولا من أين ينتهي؟

– يختلف الفقهاء في هذه الحفلات هل هي مشروعة أو غير مشروعة؟

– من أين انتقلتم وإلى أين وصلتم؟

– كيف كان يزكي وكيف كان يعلم؟

– كيف كان يغرس الفضيلة ويتعهدها بالسقي؟

– كيف كان يهدي بالقرآن للتي هي أقوم؟

– وكيف كان ينتصف للروح من الجسم؟

– وكيف كان يؤلف بين سنن الله في الكون؟

– ألستم ترون أنّ أكثر المؤلفين في السير يصرفون اهتماماتهم إلى جهات أخرى.

و) علاقة الشرط:

– فارجعوا إليه إن كنتم صادقين تجدوه منكم قريبا.

– ولا يكون ذلك إلاّ إذا مررنا بها على مواطن العبرة فيها.

– لو فهمنا المولد المحمدي بهذه المعاني لكان إظلاله لنا في كل عام تجديدا لهممنا.

- وإنّ من خير المنبهات مولد محمد صلى الله عليه وسلم لو فهمناه بتلك المعاني الجليلة.
- وتبديل خوفهم أمنا إذا آمنوا وعملوا الصالحات وعبدوا الله ولم يشركوا به شيئا.
- والواجب أن يتبعوا السبب حتى يبلغوا مطلع الحقيقة.
- والواجب أن يفعلوا هذا ليجتمعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.
- إنّ نبينا منا لقريب لو جعلنا الصلة بيننا وبينه حبل الله القرآن.

كان هذا عرضا ميسرا لأهم العلاقات الترابطية الّتي ساهمت في ربط القضايا الدلالية الواردة في الخطبة مع بعضها البعض، إذ كان لها دور حاسم في تشكيل البنية الدلالية النصّية للخطبة، وعلى أي محالة تروم تحليل هذه الخطبة وفهم أغراضها الإحاطة بهذا التسلسل الدلالي والمنطقي لقضايا الخطبة.

2.2.1 الإطار:

يعتبر الإطار من أهم أدوات الانسجام النصيّ وتماسكه، إذ له دور كبير في فهم النصّ وتأويله، فالقارئ مثلما هو معلوم لا يتعامل مع النصّ وهو خالي الذهن، وإنّما له مدركات ومعارف مسبقة تساعده في فهم النصّ وتأويله، والإطار هو أحد هذه الاصطلاحات[1]، والجدول الآتي يوضح تجسدات هذا المفهوم في خطبة الإبراهيمي المولدية:

مكونات الإطار	الإطار
احتفال، ولد، الفرح، الابتهاج، الوالدين، الجيران.	عيد الميلاد
الرحمة، العدل، الإحسان، الأخوة، المحبة، الرفق، الحق، الحرية، الصدق، التربية، الاتحاد. التعاون التناصح التحابب، التآخي، الاتحاد. الصبر، العدل، الآداب	القيم الأخلاقية
الظلام، الضلال، العبودية. القسوة، الشقاء، الفساد، التناحر.	الشر
النور، الهداية، الحرية، الحكمة، السداد، السعادة، الفضيلة.	الخير

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 63.

العقل، الروح، الفكر، النفس، الكلام، القلب، اللسان، الأذهان، الآراء، همنا، شواعرنا. القدوة. المعاني، القياس، الأكل، الشرب، النوم، العزة، الكرامة، العلم، الجسم، الجسد. أهل، جيران، أقارب. الرضى، الغضب، اللّباس. السمع.	الإنسان
الاصلاح، الهداية، شرائع سماوية، القرآن، الجنة، السيرة، الصبر، الفقهاء، البعثة المحمدية. نسخ الأديان، السلف الصالح، عمارة أوقاتهم بالصالحات، المسلمون، محمد صلى الله عليه وسلم. الحقائق، الأعمال، النظم، التوحيد، الهدى، القرآن، الحدود، أوامر، ونواهيه، المرجع الإلهي المعصوم، عقائد، عبادات، أحكام، الملأ الاعلى.	الإسلام
السبعية الجارحة، البهيمية، المادة.	الحيوانية
كوكب، الأرض، السماء، سنن، جامدة، خامدة، الماء العذب، البحر، الفجر	الكون
نلهو، نلعب، لعب، الصغار، خطب، الفراغ، التلهي، تضيع الوقت، الغفلة.	الحفلات المولدية
السقي، الرعاية، تنمو، تورق، تظل، تورق.	الشجرة
الاسلام، اليهودية، النصرانية.	شرائع سماوية.

يستشف من خلال الجدول السابق تمحور الأطر في خطبة الإبراهيمي على الجانبين الديني والأخلاقي، فهي مثلما هو معلوم خطبة وعظية ألقيت في مناسبة دينية؛ ولذلك فلا غرابة في هيمنة الإطار الديني على معظم الخطبة.

3.2.1 البنى الكلية في الخطبة:

لقد تمّ تحديد البنى الكلية في الجانب النظري من هذه الدراسة عندما ذكر "محمد خطابي" أنّ البنية الكلية لمتتالية معينة من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما[1]، بمعنى أنّ البنية الكلية هي عبارة عن اختزال دلالي لمضمون متتالية جملية معينة، وفيما يأتي رصد لتمظهرات هذا المفهوم الدلالي النصيّ في خطبة الإبراهيمي:

الفقرة 1:

- المولد النبوي الشريف ليس مولدا عاديا كبقية الموالد الأخرى.

الفقرة 2:

- المولد النبوي هو مولد للدين الحق.

الفقرة 3:

- بمولد محمد صلى الله عليه وسلم انتقلت البشرية من الظلام إلى النور.

الفقرة 4:

- مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو تحرير للعقل وسمو للروح.

الفقرة 5:

- مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو مولد للإسلام والقرآن.

الفقرة 6:

- دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هي دعوة لمكارم الأخلاق.

الفقرة 7:

- ما نقوم به في ذكرى المولد النبوي زوائد لا قيمة لها في العقول ولا أثر لها في النفوس.

الفقرة 8:

- مكارم الأخلاق هي الّتي يجب أن يؤكد عليها في ذكرى المولد النبوي الشريف.

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 44.

الفقرة 9:

- لو فهمنا المولد النبوي فهما حقيقيا لكانت ذكراه تجديدا لنا في كافة مناحي حياتنا.

الفقرة 10:

- اختزلنا ذكرى المولد النبوي الشريف في أمور تافهة وسخيفة.

الفقرة 11:

- أهملنا سيرة ومولده نبينا (صلى الله عليه وسلم) واختزلنهما في أمور ومسائلة سطحية.

الفقرة 12:

- ذكرى المولد النبوي الشريف هي ذكرى للغافلين، وليست ذكرى للاختلافات الّتي لا طائل منها.

الفقرة 13:

- من خير المنبهات أن تجعل ذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام محطة لتذكر سيرته العطرة وتاريخ المسلمين واستجلاء حائق القرآن.

الفقرة 14:

- الأولوية لإقامة معاني المولد لا حفلات المولد.

الفقرة 15:

- الواجب على المسلمين أن يعرفوا محمدا –صلى الله عليه وسلم– بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده.

الفقرة 16:

- الاسلام دين الحقائق والأعمال والنظم.

الفقرة 17:

- يجب على المسلمين أن يسيروا دائما إلى الأمام متمسكين بدينهم إذا أرادوا أن تكون لهم مكانة بين الأمم.

الفقرة 18:

- ذكرى المولد النبوي هي ذكرى للتعرف على سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– وهي محطة جديدة نحو التوجه إلى الأفضل.

الفقرة 19:

- لو فهمنا ليلة المولد النبوي الشريف فهما سليما لما كان حالنا هو حال الفرقة والتشرذم.

الفقرة 20:

- مكارم الأخلاق هي الّتي يجب على المسلمون تذكرها في مناسبة المولد وكذا العمل على التحلي بها والدعوة إليها.

الفقرة 21:

- كلما تحلينا بمكارم الأخلاق كنا أقرباء من نبينا عليه الصلاة والسلام فقد كان خلقه القرآن.

الفقرة 22:

- هجرنا القرآن الكريم وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وتوجهنا إلى كتب لا تحي نزعة للخير فينا.

الفقرة 23:

- إنّ أغلب المؤلفين في السير يركزون على الأمور سطحية ويهملون المسائل الروحية والتربوية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

كانت هذه إجمالا البنى الكلية أو الاختزالات الدلالية المكونة لنصّ الخطبة؛ إذ توزعت في حاولي (23) فقرة أو متتالية جملية تخدم جميعها الموضوع الكلي للخطبة، الّذي سيتم تحديده ضمن عنصر مستقل في هذه الدراسة.

4.2.1 موضوع الخطبة:

لعلّ من ضمن أهم المظاهر النصّية الّتي تكسب النصّ نصّيته ما يسمّى بالموضوعاتية، إذ من المستحيل أن نجد نصّا من دون موضوع، فسمة الموضوعاتية هي سمة حاضرة في جميع النصوص على

الإطلاق، وكنّا قد تطرقنا في الجانب النظري من هذه الدراسة لمفهوم الموضوع حيث استنتجنا بأنّه عبارة عن فكرة عامة مختزلة للمتتاليات أو الفقرات المكونة للنصّ ككل.

وعليه فإنّ المتدبر لخطبة الإبراهيمي يجد أنّها تتمحور حول المعاني الجليلة والقيم الأخلاقية والروحية النبيلة للمولد النبوي الشريف.

5.2.1 التغريض:

لقـــد تمّ التطرق في الجانب النظري من هذه الدراسة إلى أنّ التغريض هو في الغالب إمّا العنوان أو الجملة الأولى من النصّ[1]، فهذان العنصران لهما دور كبير في تأويل والنصّ وفهمه، ومن خلال النظر في نصّ خطبة شيخ "البشير الإبراهيمي" لوحظ بأنّ الجملة الأولى منها هي: "ليس هذا المولد النبوي الّذي تحيون ذكراه"[2]، وبالاعتماد على الإجراءات العملية الّتي يتمّ التغريض من خلالها مثل: التكرار، والإحالة، تبين أنّ عبارة (المولد النبوي) قد تكررت عشرات المرات، سواء بشكل متطابق، أو غير متطابق، كما أنّ الإحالة النصّية في معظمها تعود على (النبي صلى الله عليه وسلم) أو الأشياء متعلقة به، مما يجعل من عبارة (النبي صلى الله عليه وسلم) مركز جذب لكل ما دار في هذه الخطبة من أحداث، أو تيمة لهذه الخطبة بحسب اصطلاح علماء لسانيات النصّ.

6.2.1 علاقة إجمال تفصيل:

تعدّ علاقة (إجمال تفصيل) من أهم العلاقات الدلالية المجسدة الانسجام النصيّ في النصّ، حيث يلجأ منتج النصّ في بعض الأحيان إلى تركيز كلامه في جملة أو جمل معينة في النصّ، ثمّ يتبع ذلك الإجمال أو التركيز بتفصيل موضح للكلام السابق، ولعلّ من أبرز تجليات هذه العلاقة النصّية في خطبة الإبراهيمي ما يلي:

- قال الشيخ البشير الإبراهيمي عن المولد النبوي: "هو مولد لكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق"[3]، ليأتي تفصيل هذه الجملة في قوله: "فهو مولد للصلاح

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 59.

[2] محمد البشير الابراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 143.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.

والإصلاح والهداية والرحمة والخير والعدل والإحسان والأخوة والمحبة والرفق، وهو مولد لجميع الشرائع السمحة الّتي غيرت الكون، وطهرت النفوس، وصححت الحدود بين الناس"[1]، حيث وضّح الإبراهيمي ما أجمله في الجملة الأولى بما فصّله في الجمل الّتي أتت بعدها، وهذه سمة بارزة على تعلق الكلم مع بعضها البعض.

- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "فوقف كل خليط موقف المعاون لا موقف المعاكس"[2]، ليأتي التفصيل مباشرة في قوله: "فالمرآة والرجل، والأمير والمأمور، الحر والعبد، والكبير والصغير، والأب والابن، والجار وجاره، والعربي والأعجمي، والأجير والمستأجر، والغني والفقير، كل أولئك أصبح راضيا بحاله، ناعما في عيشه، سعيدا في حياته، آمنا من ظلم خليطه"[3]، حيث فصّل الإبراهيمي ما ذكره في الجملة الأولى بما أتى في الجمل الّتي لحقتها.
- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو الفاصل بين حالتين من البشرية"[4]، ليأتي تفصيل هذه الجملة في قوله: "حالة من الظلام جللها قرونا متطاولة، وحالة من النور كانت تترقبها، وقد طلع فجرها مع فجر هذا اليوم"[5]، حيث حدد الإبراهيمي طبيعة الحالتين وشرحهما أحسن شرح.
- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "قبل أن تقيموا حفلات المولد أقيموا معاني المولد"[6]، ليأتي تفصيل جملة (أقيموا معاني المولد) في قوله: "أشيعوا بينكم في هذه الذكريات المحبة والأخوة والإتحاد على الحق، واذكروا أنّ صاحب هذه الرسالة بعث بالعزة والكرامة والعلم والقوة، فكونوا أعزة وكونوا أحرار، وكونوا أقوياء، واعرفوا محمد بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده، وأقيموا

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 142.
[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[4] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[5] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[6] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

دينه، ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولده أو لا تقيموه"[1]، وهذا أحسن مثال على تفصيل ما تقدم إجماله.

كما لا بدّ من التنبيه إلى أن الفقرات (2) و(3) و(4) و(5) هي تفصيل للجملة الّتي جاء فيها "هو مولد لكل ما جاء به محمد من الهدى ودين الحق"[2] الّتي وردت في بداية الفقرة (2).

7.2.1 علاقة تفسير بيان:

تتمثل علاقة (تفسير بيان) في خطبة الإبراهيمي في قوله إنّ "مولد محمد –صلى الله عليه وسلم– هو الفاصل بين حالتين للبشرية: حالة من الظلام جللها قرونا متطاولة، وحالة من النور كانت تترقبها، وقد طلع فجرها مع فجر هذا اليوم"[3]، إذ وضّح الخطيب مقصوده بجملة (حالتين للبشرية) وفسّرها أحسن تفسير من خلال ما أتى بعدها من كلام إلى غاية نهاية الفقرة، كما تجسدت هذه العلاقة أيضا في الفقرة رقم (10) ورقم (11) عندما قال الإبراهيمي: "وقصرناه على هذه التوافه: لعب للصغار ليس فيها فائدة، وخطب للكبار ليس فيها عائدة"[4]، حيث يلاحظ أنّ "الإبراهيمي" بيّن مقصوده بكلمة توافه في لعب الصغار غير ذات الفائدة، وخطب الكبار غير ذات العائدة، كما تظهر علاقة (تفسير بيان) أيضا في قوله: "فعلنا بمولد محمد –صلى الله عليه وسلم– ما فعلناه بسيرته"[5]، ليأتي بيان هذا الفعل في قوله مباشرة "فاقتصرنا في كليهما على أضعف جانبيه، فنحن في مولده نلهو ونلعب، ونعمر يومه وأسبوعه بحفلات تقليدية ليس فيها روح، كذلك نحن نتدارس سيرته الّتي هي التفسير العملي للقرآن فلا ندرس إلاّ جانبها البشري من كيفية أكله ولباسه ونومه، لا جانبها الملكي من صبره وجهاده وتربيته لأمته"[6]، إذ شرح الشيخ "البشير الإبراهيمي "ما فعل المسلمون بمولد نبيهم وسيرته وبيّنهما أحسن تبيين.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 144

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص: 143.

[5] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

[6] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

كما تمثلت هذه العلاقة أيضا في الفقرة الأخيرة عندما قال الإبراهيمي: "يهتمون بالمواطن السطحية مثل كيفية لبسه وأكله وشربه ونومه وملابسه وأهله"[1]، إذ فسّر عبارة (المواطن السطحية) بكلمات اللّباس والأكل والشرب والأهل، ومثّل لها أحسن تمثيل.

كما تجلت هذه العلاقة أيضا في خطبة الإبراهيمي عندما قال: "ويغفلون المكامن الروحية مثل تعلقه بالله ومراقبته له وتأديته الأمانة الشاقة، وصبره وشجاعته وتربيته لأصحابه"[2]، حيث وضّح المقصود بعبارة (المكامن الروحية) في تعلق النبي –صلى الله عليه وسلم– بالله وكذا مراقبته له وتأدية الأمانة الشاقة، وصبره وشجاعته وتربيته لأصحابه.

المبحث الثاني: التحليل التداولي والحجاجي للخطبة

1.2 المظاهر التداولية للخطبة:

1.1.2 الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في الخطبة:

تعتبر الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشر من أهم الآليات التداولية والخطابية الّتي تساعد المحلل في رصد مقاصد الخطاب ومراميه، ومن ثمة؛ فلا بديل لمحلل الخطاب عن هذه الآليات إذا ما أراد أن يفهم قصد منتج الخطاب ومراده، حيث سنحاول فيما يلي رصد تجسدات وتمثلات الأفعال الكلامية بنوعيها في خطبة الإبراهيمي المولدية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

العبارة	الفعل الكلامي المباشر	الفعل الكلامي الغير المباشر
أيّها المسلمون	النداء	غير موجود
ليس هذا المولد النبوي	النفي	الإرشاد.
ولو كان كذلك	التمني.	غير موجود
ولكان كبقية	الإخبار.	التوكيد

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 146.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 146.

لا ينقل شعور الفرح	نفي	غير موجود
إلاّ على نمط من المجاملة	الاستثناء	غير موجود
ولكنّ ميلاد محمد (ص)	الاستدراك	غير موجود
هو مولد لكل ما جاء يه	إخبار	تعظيم
فهو مولد لصلاح والإصلاح	إخبار	تعظيم
وهو مولد لجميع الشرائح السمحة	إخبار	تعظيم
ومولد محمد (ص) هو الفاصل بين حالتين من البشرية	إخبار	تعظيم
فميلاد محمد (ص) كان إيذانا من الله	إخبار	غير موجود
مولد محمد (ص) هو مولد تلك التعاليم التي	إخبار	تعظيم
مولد محمد (ص) هو مولد الاسلام والقرآن	إخبار	التعظيم
فقولوا لمن جاء بعد محمد (ص)	الأمر	الإرشاد
لا يدري من أين يبدأ	النفي	غير موجود
ولا من أين ينتهي	النفي	غير موجود
قولوا لهم جميعا	الأمر	غير موجود
قد سبقكم محمد إلى هذا كله	إخبار	المدح
ولكنكم قوم لا تفقهون	النفي	غير موجود
فارجعوا إليه إن كنتم صادقين	الأمر	التعظيم
يجب أن نستشعرها	الوجوب	غير موجود
يجب أن نعدّ لها	الوجوب	غير موجود
لو فهمنا المولد المحمدي لهذه المعاني	التمني	غير موجود
ولكننا فهمناه على قياس من عقولنا وهي جامدة	إخبار	التحسر
فعلنا بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ما فعلناه بسيرته	إخبار	التحسر

فنحن في مولده نلهو ونلعب	إخبار	التحسر
هل هي مشروعة أو غير مشروعة	الاستفهام	غير موجود
أنها ذكرى للغافلين	إخبار	المدح
لم يفعلها السلف	النفي	غير موجود
فمن الحكمة أن يرجع المسلمون إلى تاريخهم	إخبار	الإرشاد
وإنّ من خير المنبهات مولد محمد (ص)	إخبار	المدح
لو فهمناه بتلك المعاني الجميلة	التمني	التحسر
أيّها المسلمون	نداء	غير موجود
أقيموا معاني المولد	الأمر	غير موجود
وتدرجوا من المولد المحمدي	الأمر	غير موجود
وهنالك تضعون أيدكم على الحقيقة	إخبار	توكيد
حاسبو أنفسكم في كل عام	الأمر	الإرشاد
من أين انتقلتم	الاستفهام	الإرشاد
وإلى أين وصلتم	الاستفهام	الإرشاد
أشيعوا بينكم في هذه الذكريات المحبة والأخوة	الأمر	الإرشاد
واذكروا أنّ صاحب هذه الرسالة بعث بالعزة والكرامة	الأمر	الإرشاد
كونوا أعزة	الأمر	الإرشاد
وكونوا احرار	الأمر	الإرشاد
كونوا أقوياء	الأمر	الإرشاد
واعرفوا محمدا بدينه وقرآنه وسيرته	الأمر	الإرشاد
واقيموا دينه	الأمر	الإرشاد
ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولده أو لا تقيموه	النفي	الإباحة

إنّ محمدا صلى الله عليه وسلم يطالبكم	إخبار	توكيد
إنّ دينكم دين الحقائق والأعمال والنظم	إخبار	توكيد
فارجعوا إلى تلك الحقائق	الأمر	النصح
من الخير للمسلمين أن يسيروا إلى الأمام	إخبار	النصح
من الخير العميم لهم أن يفعلوا ذلك	إخبار	النصح
وهي الليلة الموافقة لليلة ميلاد محمد (ص)	إخبار	غير موجود
إلاّ في ليلة واحدة منه	الاستثناء	غير موجود
وأن يطووا فيها هذه المراحل الأربع عشر	إخبار	الإرشاد
ليتصلوا في ليلة من العام بالآفاق	الأمر	التشويق
وأن يمحوها بخيرها وشرها	إخبار	غير موجود
الواجب أن يتبعوا السبب	الأمر	غير موجود
والواجب أن يفعلوا هذا الامر	الأمر	غير موجود
كيف كان يزكي	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يعلم	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يغرس الفضيلة	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يقلع الوثنية	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يهدي بالقرآن للتي هي أقوم	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يمهد للحق	الاستفهام	التشويق.
وكيف كان ينتصف للروح من الجسم	الاستفهام	التشويق
وكيف كان يؤلف بين سنن الله	الاستفهام	التشويق
هذه المعاني –وهي قطرة من بحر–	إخبار	التشويق
هي الّتي يجب أن يذكرها المسلمون	الأمر	الوجوب

أيّها الإخوان	النداء	الترغيب
إنّ نبينا منا لقريب	إخبار	التوكيد
لو جعلنا الصلة بيننا وبينه حبل الله القرآن	الشرط	غير موجود
وقد كان خلقه القرآن	إخبار	المدح
ويصنع أفعاله وتروكه من أوامره ونواهيه	إخبار	المدح
ثمّ تركها كلمة باقية فينا وحجة بالغة لنا	إخبار	غير موجود
وقد شرفنا (ص) تشريفا يبقى إلى الدهر	إخبار	المدح
ولكننا تركنا هذا المرجع الإلهي المعصوم	إخبار	التحسر
كما هجرناه في كل ما جاء به	إخبار	التحسر
ولا يحملنا على التأسي بتلك السير	النفي	غير موجود
ألستم ترون أنّ أكثر المؤلفين في السير	الاستفهام	الإنكار
لا محل فيها للاقتداء	النفي	غير موجود
يهتمون بالمواطن السطحية البشرية	إخبار	غير موجود
ويغفلون المكامن الروحية	إخبار	غير موجود

يلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ "الإبراهيمي" استعمل الإخبار والإنشاء في الكثير من المواضع بغير معنييهما الأصلي؛ لأنّه كان يرمي إلى تغيير سلوك مخاطَبه الّذي يراه غير سوي من الناحية الشرعية والأخلاقية.

2.1.2 الفعل الكلامي الكلي لخطبة الإبراهيمي:

لقد تمّ تحديد الفعل الكلامي الشامل أو الكلي في الجانب النظري من هذه الدراسة بأنّه "مجموعة من الأفعال الكلامية الجزئية الّتي تخدم فعلا كلاميا واحدا"[1]، ومن خلال الاستقراء التفصيلي للأفعال الكلامية الجزئية الواردة في الخطبة، يمكن القول بأنّ الفعل الكلامي الكلي لخطبة

[1] ينظر: فانديك، النصّ والسياق- استقصاء البحث في المجال الدلالي والتداولي، ص: 407.

"الإبراهيمي" هو النصح والإرشاد؛ حيث سعى الشيخ "البشير الإبراهيمي" جاهدا في هذه الخطبة إلى نصح وإرشاد جمهوره إلى المعاني الحقيقية للمولد النبوي الشريف الّتي ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يكون على علم بها، ساعيا إلى تحقيقها، والعمل بها في حياته لينال المراتب العلى عند ربه، ويحقق المراد منه في هذه الحياة، ويبتعد كل البعد عن كل ما من شأنه أن يثنيه عن هذه الغاية النبيلة.

3.1.2 سياق الخطبة:

من المعلوم أنّ دراسة السياق في نصّ ما تستلزم وضع ذلك النصّ في سياقه الّذي أنتج فيه، وهذا ما يعرف بتسيق النصّ، ولعلّ من أهم النظريات السياقيّة ما يعرف بخصائص السياق عند هايمز[1]،حيث سنحاول من خلال ما يأتي رصد هذه الخصائص في خطبة "الإبراهيمي" والتمثيل لها، وهذه هي تجلياتها في الخطبة:

- **المتكلم**: هو الشيخ البشير الإبراهيمي.

-**المخاطبين**: هم المستمعين الّذين حضروا هذه الخطبة وكان من بينهم محمد نجيب رئيس جمهورية مصر العربية.

-**المكان**: حفل أقيم بالقاهرة في مصر بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف.

-**الزمان**: شهر نوفمبر 1952.

-**القناة**: تمت عملية التواصل في هذا النصّ لفظا، بمعنى عن طريق النطق والمشافهة بين الخطيب وجمهوره مباشرة ومن دون وسائط.

-**الشفرة**: خاطب الشيخ البشير الإبراهيمي جمهوره باللّسان العربي، مع استعمال الأسلوب الأدبي الذي غلب على النصّ في العديد من المواضع، وتمثل ذلك في استخدام المجازات والتشبيهات والاستعارات والكنايات وغير ذلك من ظواهر البيان ومظاهره.

-**الحدث**: تندرج هذه الخطبة ضمن حدث أكبر هو حفل أقيم في العاصمة المصرية القاهرة بمناسبة ذكرى المولد النبوي.

[1] جورج يول وجوج بروان: تحليل الخطاب، ص: 47.

-**صيغة الرسالة:** أتى هذا النصّ في صيغة خطبة نثرية صنفت ضمن أبرز الخطب في العصر الحديث.

الطابع: صنفت الخطبة ضمن أبرز الخطب في العصر الحديث.

الغرض: لقد سعى الشيخ "البشير الإبراهيمي" بهذه الخطبة لإرشاد جمهوره إلى المعاني والقيم الأخلاقية النفيسة، الّتي يجب أن يتذكروها بمناسبة المولد النبوي الشريف، وأن لا يقصروا هذه المناسبة على حفلات وسلوكات سطحية لا تزكي ولا ترقي الجانب الروحي لديهم.

4.1.2 الإحالة الخارجية:

إذا علمنا أنّ الإحالة بحسب الباحثين في اللّسانيّات النصّية والتداوليات وتحليل الخطاب تنقسم إلى نوعين: إحالة نصّية داخلية، وإحالة تداولية خارجية، فإنّ النوع الّذي سيركز عليه في هذا الموضع هو النوع الثاني، أي الإحالة الخارجية التداولية؛ لأنّ الإحالة النصّية الداخلية تطرقنا إليها في القسم المخصص للتحليل النصّي الداخلي للخطبة، بخلاف هذا القسم، الّذي سيرتكز على ما هو تداولي فقط، والجدول الآتي يوضح تمظهرات الإحالة الخارجية التداولية في خطبة الإبراهيمي المولـدية:

عنصر الإحالة	الضمير	نوع الإحالة	المحال إليه
أيّها المسلمون	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
فقولوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
ما نقوله ونفعله	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
أن نعد أنفسنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
إلاّ إذا مررنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
لو فهمنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
لهممنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
إيقاظا لشواعرنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
أيّها المسلمون	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
تقيموا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور

أقيموا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
وتدرجوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
أيديكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
تهديكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
حاسبوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
انتقلتم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
وصلتم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
أشيعوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
واذكروا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
كونوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
واعرفوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
ولا عليكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
تقيموا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
ويطالبكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
دينكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
فارجعوا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
وانصروا	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
ينصركم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
أقدامكم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
أيّها الإخوان	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الحضور
إنّ نبينا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
لو جعلنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين

باقية فينا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
بالغة لنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
علينا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
وقد شرفنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
نتيه	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
ولكننا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
تركنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
نبينا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
وأصبحنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
فينا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
يحملنا	جمع المتكلم نحن	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين
ألستم	جمع المخاطبين أنتم	خارجية تداولية	الخطيب والمستمعين

يظهر من خلال الجدول أعلاه أنّ خطبة الإبراهيمي تركزت حول ضميرين خارجيين اثنين هما: أنتم، والّذي يعود على المخاطبين الّذين شهدوا الخطبة في الحفل الّذي أقيم بالقاهرة بمناسبة المولد النبوي في شهر نوفمبر سنة 1952، كما يحتمل أنّه يعود على المسلمين جميعا، الحاضرين أثناء إلقاء الخطبة، وكذا الغائبين، بيد أنّ الرأي الأوّل أرجح.

والضمير نحن الّذي يعود على الخطيب الإبراهيمي والمسلمين، حيث ضمّ الإبراهيمي نفسه إلى مخاطَبيه تواضعا منه، وهو من هو.

5.1.2 الإشاريات الزمنية:

من المعلوم أنّ أي خطاب إلاّ وله زمن معين مرتبط به، ومن ثمة؛ فلا بديل لمحلل الخطاب عن تتبع الإشاريات الّتي تشير إلى الزمن في الخطاب؛ وذلك بغية تحديد الأحداث الواردة فيه، وكذا معرفة لحظة إنتاجه، والجدول الآتي يرصد توردات الإشاريات الزمنية في الخطبة، وكذا مدلولاتها:

رقم الفقرة	موضع العنصر الزمني	المقصود منه
1	- تحيون ذكراه في كل **عام** ميلاد	12 ربيع الأوّل من كل عام
	-**ميلاد محمد** (ص)	12 ربيع الأوّل من كل عام
2	-حالة من الظلام جللها **قرونا** متطاولة	ما قبل تاريخ 12 ربيع الأوّل
3	- حالة نور طلع **فجرها مع فجر هذا اليوم**.	فجر يوم 12 ربيع الأوّل
6	-فقولوا لمن جاء **بعد** محمد (ص)	بعد تاريخ 12 ربيع الأول 11 هـ
7	-**وحينما** نحتفل به	ليلة 12 من ربيع الأوّل من كل عام
8	-لو فهمنا **المولد المحمدي** بهذه المعاني.	12 ربيع الأوّل
11	-لكان إظلاله لنا **في كل عام**.	12 ربيع الأوّل من كل عام
13	-ونعمر **يومه** و**أسبوعه** بحفلات تقليدية.	يوم 12 ربيع الأوّل وأسبوعه.
	-أمّا في هذه **الأزمنة المتأخرة**	الزمن الّذي عاش فيه الخطيب.
14	-**مولد** محمد (ص).	يوم 12 ربيع الأوّل
	-وتدرجوا من **المولد المحمدي**	يوم 12 ربيع الأوّل
15	-إلى **البعثة المحمدية**	يوم الإثنين 21 رمضان
	-حاسبوا أنفسكم في **كل عام**	يوم 12 ربيع الأوّل من كل عام
18	-تقيموا **مولده** أو لا تقيموه.	يوم 12 ربيع الأول
	-أن يفعلوا ذلك في جميع **أنحاء العام**	طيلة أيام السنة.
	-إلاّ في **ليلة واحدة منه**.	ليلة 12 من ربيع الأول.
	-**الليلة الموافقة لليلة ميلاد** محمد (ص)	ليلة 12 من ربيع الأول.
	-وأن يطووا فيها **المراحل الأربعة عشر**	القرون 14 الهجرية
	-الّتي نسميها **قرونا**	القرون 14 الهجرية

19 20	-ليتصلوا في **ليلة من العام** بالاتفاق -ليجتمعوا بمحمد (ص) في **ليلة من كل عام** -كلما أظلتهم هذه **الليلة من كل عام**. -وأن يعتبروا **هذه الليلة** حدا فاصلا. **-مرحلة مقطوعة** **-مرحلة مستأنفة** وقد شرفنا تشريفا يبقى إلى **الدهر**	ليلة 12 ربيع الأول من العام ليلة 12 ربيع الأول من العام ليلة 12 ربيع الأول من العام ليلة 12 ربيع الأول من العام ما قبل ليلة 12 من ربيع الأوّل من كل عام. ما بعد ليلة 12 ربيع الأوّل من كل عام حتى نهاية الكون.

يستفاد من جدول الإشاريات الزمنية السابق أنّ "الإبراهيمي" لم يذكر تاريخ المولد النبوي الشريف صراحة، ولا تاريخ تلفظه بهذه الخطبة، وإنّما انتهج في ذلك طريق الإيماء والإشارة غير الصريحة، مما يدفع المحلل إلى الاعتماد على معارفه ومكتسباته القبلية؛ ليحدد المقصود بتلك الإشاريات الزمنية، وهذه سمة بارزة في خطبتة.

6.1.2 الإشاريات المكانية:

مثلما لأي خطاب زمان أنتج فيه، فإنّ له أيضا مكانا معينا جرت أحداثه فيه، وهذه هي أبرز تمثلات ظروف المكان في خطبة الإبراهيمي المولدية:

رقم الفقرة	موضع العنصر المكاني	المقصود منه
1 4 5	-لأنّ **وراء** كل حياة موتا -وسمت بالروح إلى **الملأ الأعلى** -المعاني الّتي أصلحت **الأرض** -ووصلتها **بالسماء** -وفتحت الطريق إلى **الجنة**	بمعنى بعد كل حياة موتا مرتبة عليا في الجنة أصلحت حياة النّاس ووصلتهم بخالقهم مكافأة المؤمنون.

	-**أعلام** الهداية **في كل مصعد ومنحدر**	في كل مكان.
6	-و**هنالك** تضعون أيديكم على الحقيقة	في وسط **مجتمعكم**
	-أشيعوا **بينكم** في هذه الذكريات المحبة والأخوة	التقدم والإقبال على الحياة
14	-من الخير للمسلمين أن يسيروا إلى **الأمام**	اللحاق بالأمم المتقدمة
	-ليعمروا هذا **الكون** بالعدل والصلاح والإحسان.	الوجود
15	-ويتحقق وعد الله إياهم **بالاستخلاف في الأرض**.	عمارة الأرض
17	-وطهر **الأرض** وأحيا مواتها	خلّصها من الشرك.
18	-على هذا **الكوكب الأرضي**	الأرض.
	-أذن لسلطان الروح بالاستلاء على **العرش**.	سيطرة الجانب الروحي
	-**بين** سنن الله في الدين **وبين** سننه في الكون	التوفيق الديني والكوني.
19	-هذه المعاني وهي قطرة من **بحر**.	قيم وأخلاقيات الإسلام
	نبينا من **لقريب**(...)الصلة **بيننا** و**بينه** حبل الله القرآن.	الالتزام بأخلاق القرآن
20	-وبالروح إلى الملأ الأعلى	مرتبة عليا في الجنة
	-يصرفون اهتمامهم إلى **الجهات** الّتي لا محل.	الجوانب
21	-أكثر **مما** يصرفونه إلى **الجهات** الّتي تزكي النفس	الجوانب
22	-يهتمون **بالمواطن** السطحية	الأفعال والأعمال

يلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ أغلب العناصر المكانية في الخطبة مستعملة بغير معانيها الأصلية الموضوعة لها في اللّغة، وهذه سمة بارزة في هذه الخطبة، كما يلاحظ أيضا، انعدام أسماء وظروف المكان الّتي تشير إلى آنية الخطاب أي لحظة التلفظ به، وهذه خاصية شائعة في خطبة الإبراهيمي، مما يحتم على المحلل الرجوع إلى مناسبة الخطبة من أجل معرفة مكان إنتاجها.

7.1.2 السؤال المقدر:

يعدّ السؤال المقدر أو المفترض آلية تداولية خطابية مهمة في تحليل الخطاب وفهمه؛ إذ يمكن

من خلاله تقدير المحذوف الّذي له دور كبير في تفسير الخطاب وتأويله، حيث سنحاول من خلال ما يأتي التمثيل لهذه الآلية في خطبة الإبراهيمي من خلال نماذج محددة، وهذه أبرزها:

- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "وقصرناه على هذه التوافه"[1]: (حيث يمكن تقدير السؤال هنا بـ أيّ توافه؟ لتكون الإجابة هي: "لعب للصغار ليس فيها فائدة، وخطب للكبار ليس فيها عائدة"[2].
- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "ومولد محمد صلى الله عليه السلام هو الفاصل بين حالتين للبشرية"[3]، حيث يمكن تقدير السؤال الآتي: أيّ حالتين، لتكون الإجابة بـ: "حالة من

- الظلام جللها قرونا متطاولة، وحالة من النور كانت تترقبها"[4].
- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "هي مولد دين نسخ الأديان؛ لأنّه أكمل الأديان"[5]، إذ يمكن تقدير السؤال في هذا الموضع بعبارة (لماذا نسخ الأديان) لتكون الإجابة بـ (لأنّه أكمل الأديان).
- قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "قولوا لهم جميعا"[6]: حيث يمكن تقدير سؤال في هذا الموضع مفاده (ماذا نقول لهم؟) لتأتي الإجابة بـ "قد سبقكم محمد إلى هذا كله"[7].

واضح من خلال ما سبق أنّ السؤال المقدر يفسر ويوضح غالبا الإجابة التي تأتي بعده، فكل سؤال إلاّ وتتبعه إجابة، وهذا ما لوحظ في خطبة الإبراهيمي من خلال النماذج السابقة.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 143.
[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.
[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[4] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.
[5] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.
[6] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.
[7] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

8.1.2 علاقة تفصيل إجمال:

إذا كانــت علاقة (إجمـال تفصيــل) علاقة دلالية، فإنّ علاقة (تفصيل إجمال) بحسب الباحث "محمد خطابي" هي علاقة تداولية[1]، ولعلّ من أهم تمثلات هذه العلاقة في خطبة الإبراهيمي قول الشيخ البشير الإبراهيمي إنّ "ميلاد محمد –صلى الله عليه وسلم– كان إيذانا من الله بنقل البشرية من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الوثنية إلى التوحيد، ومن العبودية إلى الحرية"[2]، ليأتي إجمال ما تقدم تفصيله في العبارة الآتية: "وبعبارة جامعة من الشر الّذي لا خير فيه إلى الخير الّذي لا شر معه"[3]، حيث أجمل الإبراهيمي كلامه الأوّل في الجملة الّتي أتت بعده مباشرة؛ وذلك لترسيخ ما تقدم تفصيلـه في أذهـان المـستمعين.

2.2 تمثلات الحجاج في الخطبة

1.2.2 علاقة التعارض:

قال الشيخ البشير الإبراهيمي مخاطبا المستمعين: "قبل أن تقيموا حفلات المولد أقيموا معاني المولد، وتدرجوا من المولد المحمدي الذي هو مولد رجل إلى البعثة المحمدية الّتي هي مولد دين نسخ الأديان"[4]، يدعو الإبراهيمي في كلامه السابق جمهوره إلى عدم الوقوع في التعارض واحترام مبدأ الأولوية أو الأسبقية في الأشياء، فالمنطق يقتضي أن ترتب الأشياء وفق أهميتها، فالأهم في هذا الموضع هو الالتزام بمعاني المولد وبأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، ثمّ بعد ذلك الاحتفال بمولده، أمّا الاحتفال بمولده دون الالتزام بأخلاقه ووصاياه فهو مناقض لرسالته، مخالف لسنته.

2.2.2 الجزء بالكل:

قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "ولكن ميلاد محمد –صلى الله عليه وسلم– الّذي جاء بالهدى ودين الحق، هو مولد لكل ما جاء به محمـــــــــــــــــــــــــــــد –صلى الله عليه وسلم–

---

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النصّ– مدخل لانسجام الخطاب، ص: 189.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 142.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 142.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

من الهدى ودين الحق"[1]، إذ يعتبر كلام الشيخ الإبراهيمي في هذا الموضع عبارة عن حجة مبنية على علاقة الجزء بالكل، فميلاد محمد –صلى الله عليه وسلم– جزء من ظهور دين، وميلاد أمة بكاملها، وليس حدث عاديا.

ولقد واصل "الشيخ البشير الإبراهيمي" ضمن نفس المسار الحجاجي قائلا: "مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو مولد تلك التعاليم الّتي حررت العقل (...) ومولد محمد صلى الله عليه وسلم هو هو مولد الإسلام والقرآن وذلك الفيض من المعاني الّتي أصلحت الأرض"[2]، حيث يؤكد الإبراهيمي مرة أخرى على أنّ ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ليس شيئا معزولا؛ إنّما ينبغي النظر إليه من كافة جوانبه، ووضعه ضمن سياقه الكلي، إذا ما أردنا أن نفهمه الفهم الصحيح، فكل من التعاليم الّتي حررت العقل، والإسلام، والقرآن، والمعاني الّتي أصلحت الأرض، ظهرت مع ميلاد محمد –صلى صلى الله عليه وسلم–، أو هي نتائج له، لذلك وجب تصحيح المفاهيم حول المولد النبوي والنظر إليه في كليته وشموليته.

3.2.2 الحجج السببية:

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "هذه المعاني هي الّتي يجب أن نستشعرها حينما نذكر المولد، وحينما نحتفل به، وأمّا ما عاد ذلك مما نفعله ونقوله فزوائد لا قيمة لها في العقول ولا أثر لها في النفوس"[3]، بمعنى أنّ كل ما نفعله في ذكرى المولد النبوي من غير المعاني الّتي ذكرها "الشيخ الإبراهيمي" سابقا، هي أشياء زائدة لا قيمة لها؛ لأنّها لا تعود علينا بأي نفع سواء في عقولنا أو أرواحنا، لذلك ينبغي تركها والتركيز على المعاني الّتي ذكرها.

ولقد أضاف الشيخ البشير الإبراهيمي قائلا ضمن نفس السياق: "ولكننا فهمناه على قياس من عقولنا وهي جامدة، وعلى نحو من همنا وهي خامدة، وعلى نمط من عاداتنا وهي سخيفة،

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 142.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

وقصرناه على هذه التوافه: "لعب للصغار ليس فيها فائدة، وخطب للكبار ليس فيها عائدة"[1]، يوضح "البشير الإبراهيمي" في هذا الموضع أننا فهمنا المولد النبوي فهما سطحيا؛ وقصرناه على لعب للصغار وخطب للكبار لا فائدة فيها.

ولقد ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي في موضع آخر من هذه الخطبة قال: "وكيف كان يؤلف بين سنن الله في الدين وبين سننه في الكون ليربط الأسباب بالمسببات والدين بالدنيا، ويزاوج بين السعادتين فيهما"[2]، إذ تظهر حجية السببية في هذا الموضع في تأليف النبي –صلى الله عليه وسلم– بين سنن الله في الدين وسننه في الكون، من أجل الربط بين الأسباب والمسببات والدين بالدنيا، ليكون ذلك تأليف سببا في الربط بين الدنيا والدين وتحصيل السعادة منهما الاثنان.

كما استعمل مبدأ السببية أيضا في الخطبة؛ وذلك عندما قال (الإبراهيمي) عبارة "ليعمروا هذا الكون بالعدل والصلاح والإحسان والخير والمحبة، ويتحقق وعد الله إياهم بالاستخلاف في الأرض"[3]، بمعنى أن فعل الخير وإقامة العدل والإحسان والإصلاح بين النّاس ومحبتهم لبعضهم البعض هي السبب أو الطريق الّذي يؤدي للاستخلاف الحقيقي في الأرض كما ذكر ذلك الله في كتابه العزيز.

ولقد واصل الشيخ "البشير الإبراهيمي" ضمن نفس المسار الحجاجي قال: "فعلنا بمولد محمد ما فعلناه بسيرته، فاقتصرنا في كليهما على أضعف جانبيه، فنحن في مولده نلهو ونلعب، ونعمر يومه وأسبوعه بحفلات تقليدية ليس فيها روح، كذلك نحن ندرس ونتدارس سيرته التي هي التفسير العملي للقرآن فلا ندرس إلاّ جانبها البشري"[4]، يطرح "الشيخ الإبراهيمي" في كلامه هذا دعوى مفادها (أننا فعلنا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلناه بسيرته)؛ إذ اقتصرنا في كليهما على السطحيات من الأشياء، ليدعم كلامه هذا بحجج سببية عددها في:[5]

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 143.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ج 4، ص: 143.

- اللّعب واللّهو.
- الحفلات التقليدية.
- الاكتفاء بالجانب البشري في المولد والسيرة.

إنّ ما قام به "الشيخ الإبراهيمي" في هذا الموضع، هو عرض لأسباب واقعية تثبت صحة ما ذكره ابتداء، إذ برّر كلامه بذكر الأسباب الّتي دفعته إلى القول بأننا (فعلنا بمولد النبي –صلى الله عليه وسلم– ما فعلناه بسيرته)، وذلك ليؤكد أنّ كلامه مبني على وقائع ملموسة، وسلوكات محسوسة يمكن التحقق منها واقعيا.

ولقد واصل الشيخ "البشير الإبراهيمي" ضمن نفس المسار الحجاجي: "وإنّما لم يفعلها السلف الصالح؛ لأنّهم كانوا متذكرين لقوة دينهم وعمارة أوقاتهم بالصالحات"[1]، يبرر الإبراهيمي عدم احتفال السلف بالمولد النبوي في كون أنّهم كانوا أقوياء في دينهم، متذكرين لنبيهم، عامرين لأوقاتهم بالصالحات، وهذه هنا حجة ذكرها ليبين بها سبب عدم احتفال السلف بالمولد النبي.

ولقد تمثلت السببية في خطبة الشيخ البشير الإبراهيمي أيضا في قوله: "مولد دين نسخ الأديان؛ لأنّه أكمل الأديان"[2]، بمعنى أنّ الإسلام قد نسخ جميع ما تقدم ذكره من أديان وما تتضمنه من عقائد وعبادات وأخلاق وسلوكات، ويعود ذلك لكونه أكمل الأديان، فكل ما نصّ عليه الله تعالى في الأديان السابقة موجود فيه، لذلك وجب الالتزام به.

كما تظهر السببية أيضا في قول الشيخ الإبراهيمي: "والواجب أن يتّبعوا السبب حتّى يبلغوا مطلع الحقيقة"[3]، يرشد الإبراهيمي في هذا الموضع جمهوره إلى اتباع مبدأ السببية في الوصول إلى الأشياء؛ بمعنى أن يبذل المرء كل الأسباب المشروعة من أجل تحقيق غاياته وأهدافه، ولا يكتفي بالتمني والاتكالية والتسويف؛ لأن ذلك لن يفيده، وإنّما يضيع عليه وقته.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 144.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

واضح من خلال ما سبق أنّ خطبة الإبراهيمي غنية بالتعليل، أو السببية، فالإبراهيمي لا يطرح ملحوظة ولا رأيا إلاّ وذكر معه الأسباب الّتي دفعته إلى قول ذلك، وذلك لغرض إقناع مستمعيه، ومن ثمّة الوصول إلى تغيير سلوكاته.

4.2.2 حجج الاحتمال:

يتجلى هذا النوع من الحجج في قول الشيخ البشير الإبراهيمي "وإنّ من خير المنبهات مولد محمد صلى الله عليه وسلم لو فهمناه بتلك المعاني"[1]، بمعنى أنّ مولد النبي صلى الله عليه وسلم هو مناسبة لإصلاح أنفسنا إذا نحن فهمناه الفهم الصحيح، ولكن مع الأسف سلوكاتنا لا توحي بذلك.

كما ظهر أيضا في قول الإبراهيمي "إنّ نبينا منّا لقريب لو جعلنا الصلة بيننا وبينه حبل الله القرآن"[2]، إذ يرى الإبراهيمي أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قريب منا إذا نحن تخلقنا بخلق القرآن، فقد كان خلقه القرآن، ولكنّ واقعنا المعاش غير ذلك، فنحن بعيدون عنه كل البعد.

5.2.2 تقسيم الكل إلى أجزائه:

لقد ظهر هذا النوع من الحجج في قول الإبراهيمي "ولكننا تركنا هذا المرجع الإلهي المعصوم في اقتباس سيرة نبينا، كما هجرناه في كل ما جاء به من عقائد وعبادات وأحكام وآداب"[3]، فالإبراهيمي بينّ مواضع التفريط في كتاب الله، إذ مست جميع ما أتى من أوامر ونواهي، سواء في باب العقيدة أو العبادات أو الأحكام أو الآدب، ومن المعلوم أنّ العلاقة بين هذه الأبواب وكتاب الله هي علاقة كل بأجزائه.

6.2.2 حجج السلطة:

تظهر حجج السلطة في الخطبة في الحديث النبوي الشريف الّذي ذكره الشيخ "البشير الإبراهيمي" في سياق حديثه عن تشريف النبي صلى الله عليه وسلم لأمته قال: "إذ قال لأصحابه:

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 144.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 146.

أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي"[1]، فالإبراهيمي يستدل بهذا الحديث على قوله بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الّذين سيأتون من بعده.

كما تبرز حجج السلطة أيضا في هذه الخطبة في النصائح والتوجيهات الّتي قدمها الإبراهيمي لجمهوره قال: "أشيعوا بينكم في هذه الذكريات المحبة والأخوة والإتحاد على الحق. (...) فكونوا أعزة وكونوا أحرارا، وكونوا أقوياء، واعرفوا محمد بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده"[2]، إذ أوصى الإبراهيمي في هذا الموضع جمهوره بجملة من النصائح والإرشادات حتّى يتغير واقعهم إلى الأحسن، فالإبراهيمي رجل صالح، وواعظ، وعالم جليل، ورئيس لجمعية علماء المسلمين الجزائريين، وبالتالي، فهو أهل للنصيحة والتعليم والإصلاح، وله مكانة خاصة بين أفراد مجتمعه، تجعل كلامه مقبولا وحجة في حدّ ذاته، وليس من المبالغة إن قيلا إنّ هذه الخطبة هي في حدّ ذاتها حجة؛ لأنّها صادرة عن البشير الإبراهيمي أحد رواد الإصلاح في العالم العربي والإسلامي.

7.2.2 المقارنة:

يظهر هذا النوع من الحجج بجلاء في قول الشيخ البشير الإبراهيمي في خطبته إنّ "أكثر المؤلفين في السير يصرفون اهتمامهم إلى الجهات الّتي لا محل فيها للاقتداء الّذي يزكي النفس، أكثر مما يصرفون إلى الجهات الّتي تزكي النفس وتطبعها على خلال النبوة"[3]، فالملاحظ أنّ الشيخ "الإبراهيمي" لفت جمهوره إلى حقيقة مفادها أنّ أكثر المؤلفين في السير يركزون على أمور سطحية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ويهلمون في مقابل ذلك الأمور والأشياء المركزية، وذلك ليبين لهم مواضع النقص عند مؤلفي السير والّتي انعكست بحسبه على فهم السيرة النبوية والاستفادة منها في واقع المسلمين المعاش.

8.2.2 التمثيل:

يعتبر التمثيل من بين التقنيات الحجاجية المؤسسة لبنية الواقع، إذ يقوم على عقد علاقة مشابهة

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 145.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 144.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 146.

بين شيئين مختلفين لأغراض حجاجية وإقناعية، ولعلّ من أهم الصور البلاغية الّتي يتجسد فيها هذا النوع من التقنيات الحجاجية نذكر: التشبيه، والاستعارة، والمجازات، وغيرها من الوجوه البلاغية المعروفة، حيث سنحاول فيما يأتي تتبع ما يظهر من هذه الصور في خطبة الإبراهيمي مع تبيان وظيفتها الحجاجية:

أ) التشبيه:

يحدد التشبيه في الأشهر بأنّه "مماثلة بين شيئين في صفة أو أكثر"[1]، فعلاقة التشبيه مبنية على سمة مشتركة بين شيئين مختلفين، إذ يسمّى الأوّل المشبه، والثاني المشبه به، وأمّا الصفة أو السمة المشتركة بينهما فيطلق عليها وجه الشبه، وقد تصل بين المشبه والمشبه به في بعض الأحيان أداة تسمّى بأداة التشبيه، وهذه هي أركان التشبيه المعروفة، وفيما يأتي رصد لأهم تمثلات التشبيه في خطبة الإبراهيمي بوصفه آلية حجاجية:

– يقول البشير الإبراهيمي: "ولكان كبقية الموالد الّتي تتحكم فيها الأعراف فتغالي فيها أو تتوسط"[2]، لقد حاول الشيخ الإبراهيمي في هذا الموضع أن يوصِل لمخاطَبه بأنّ المولدي المحمدي ليس شيئا عاديا، وإنّما هو حدث جلل، ولو كان شيئا عاديا لا كان كبقية الموالد، إذ استعمل الإبراهيمي في هذا الموطن آلية التشبيه كحجة ليوضح أنّ المولد المحمدي شيء عظيم بما ترتب عنه من تغييرات في الأرض؛ بينما الموالد الأخرى هي موالد عادية.

– يقول الإبراهيمي: "ولا يحملنا على التأسي بتلك السير الّتي هي كنوز معارف، ومعادن فضائل. وأعلام اقتداء"[3]، فالإبراهيمي يشبه في هذا الموضع السير النبوية بالكنوز، والمعادن، والأعلام، وهذا تشبيه بليغ وظفه الإبراهيمي كآلية حجاجية ليلفت نظر السامعين إلى ما تنضوي عليه السير من علم ومعرفة وهداية وحكمة وتقوى، ليحظهم بذلك على قراءتها والاستفادة من أسرارها.

---

[1] عبد الهادي فضلي: تلخيص البلاغة، دار الكتاب الإسلامي، دط، دس، بيروت، لبنان، ص: 80.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 142.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص: 146.

- يقول الإبراهيمي في موضع آخر من خطبته: "هذه المعاني وهي قطرة من بحر"[1]، إذ شبّه الإبراهيمي المعاني الّتي تحدث عنها بالقطرة من البحر، وهذا تشبيه بليغ سعى من خلاله إلى تشويق جمهوره؛ ليدفعهم إلى الاهتمام بتلك المعاني والقيم الّتي ذكرها والزيادة عليها.

- يقول الإبراهيمي: "وأن يعتبروا هذه الليلة حدا فاصلا بين مرحلة مقطوعة ومرحلة مستأنفة"[2]، لقد شبّه الإبراهيمي في كلامه هذا؛ ليلة مولد النبي –صلى الله عليه وسلم– بالحد الفاصل بين مرحلة مقطوعة ومرحلة مستأنفة، ليحظهم بذلك على جعلها محطة لمراجعة النفس، ومحاسبتها، والانطلاق نحو بداية جديدة.

ب) الإستعارة:

تعتبر الاستعارة من بين أهم الآليات الحجاجية المجسدة للتمثيل في الخطابات، وقد تمّ تعريفها في الغالب بأنّها "تشبيه حذف أحد طرفيه"[3]، قد يبدو هذا التعريف بسيطا من الناحية النظرية بيد أنّه مفيد من الناحية الإجرائية والعملية؛ إذ يسهّل على الباحث مهمة رصد الاستعارات في الخطابات، وفيما يأتي بسط لأهم تجليات الاستعارة في خطبة الإبراهيمي مع تبيان وظائفها الحجاجية:

موضع الاستعارة	نوعها	وظيفتها الحجاجية
– الشرائع السمحة، (...) وطهرت النفوس.	–استعارة مكنية	– تنبيه المستمعين إلى فضل الشرائع السماوية على الإنسان.
– مولد تلك التعاليم الّتي حررت العقل والفكر وسمت بالروح إلى الملأ الأعلى.	–استعارة مكنية	– لفت أنظار الحاضرين إلى أهمية التعاليم الدينية في حياة الإنسان.

[1] محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 145.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص: 145.

[3] عبد الهادي الفضيلي، تلخيص البلاغة، ص: 90.

-المعاني الّتي أصلحت الأرض ووصلتها بالسماء،	-استعارة مكنية	-تبيان وظيفة القيم ودورها في إصلاح حياة الناس.
-نصب لكم بقرآنه أعلام الهداية في كل مصعد وكل منحدر.	-استعارة مكنية	-التأكيد على دور القرآن في هداية الناس.
-وهذه المعاني (...) حتّى نلين قيادها للخير، وندمث وعورتها لتلقيه والعمل به، ولا يكون ذلك إلى إذا مررنا بها على مواطن العبرة فيها، واستدرجناها لحسن الاقتداء بها وإتقان الاحتذاء لها.	-استعارة مكنية	-الحث على الاستفادة من القيم والأخلاق الإسلامية عن طريق التركيز على مواضع الفائدة فيها.
-لا كان إظلاله لنا في كل عام تجديدا لهممنا، وإيقاظا لشواعرنا، وصقلا لأذهاننا، وجلاء لأرواحنا.	-استعارة مكنية	-نحن لم نفهم المولد النبي فهما حقيقيا، ولو فهمناه على المراد منه؛ لتغيرت حياتنا إلى الأفضل.
-ولكننا فهمناه على نحو من عقولنا وهي جامدة.		
وعلى نحو من هممنا وهي خامدة.	-استعارة مكنية	-غياب الوعي هو سبب عدم فهم معاني المولد ومراميه.
-وعمارة أوقاتهم بالصالحات.		
قطع الوقت بما لا طائل منه.		
أمّا في هذه الأزمنة الّتي رانت فيها الغفلة على قلوب الناس	-استعارة مكنية -استعارة مكنية	الحض على العمل الصالح وعد تضييع الوقت في أمور

	-استعارة مكنية	لا تعود علينا بالنفع في الدنيا والآخرة.

يلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ خطبة الإبراهيمي المولدية غنية بالاستعارة كآلية حجاجية، فالإبراهيمي لم يستعمل التمثيلات والتشبيهات والاستعارات من أجل تزيين كلامه فقط، وإنّما استعملها من أجل إقناع مستمعيه بما ذهب إليه من آراء وأفكار واجتهادات بغية تغيير سلوكات مستمعيه.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- المهم في البنية هو الكل، بالإضافة إلى التحويلات الّتي تحدث داخل هذا الكل، والضبط الذاتي، بمعنى عدم الحاجة إلى عناصر خارجية.
- للنصوص دور كبير في تأسيس لسانيات الجملة، فلولا النصوص المكتوبة والمسموعة لما تمكنّ اللّسانيون من دراسة اللّغة.
- إنّ الوحدات اللّغويّة الّتي لها دلالة هي وحدها الّتي يمكن اعتبارها علامات لسانية.
- أبرز المحاولات الّتي رامت تقديم تصور للنصّ في ضوء مفاهيم ولسانيات الجملة تعود للساني الأمريكي زليج هاريس Z.Harris.
- يعتبر هاريس Harris النصّ مجرد تتابع من الجمل ليس إلاّ.
- يقوم التحليل الهاريسي للنصّ على مبدأ عام يسمّى مبدأ التكافؤ.
- تعد منهجية هاريس في تحليل النصّ، منهجية تركيبية تحويلية تقوم على مبدأ تكافؤ الوحدات والعناصر والجمل اللّسانية، ولا علاقة لها بما يجعل النصّ نصّا.
- أهملت اللّسانيّات البنيوية المعنى وأبعدته عن الدراسة اللّسانية، وهذا الذي يعدّ إقصاء لجانب مهم من اللّغة، ويعيد طرح سؤال العلمية والموضوعية مجددا في اللّسانيّات.
- استبعدت لسانيات الجملة من الّدراسة اللّسانيّة كل ما له علاقة بالسياق وظروف المحادثة، وهذا ما يعدّ تجزئة للموضوع الطبيعي للدراسة اللّغويّة.
- عدم مقدرة لسانيات الجملة على تفسير العديد من الظواهر اللّغويّة يعود بالدرجة الأولى لعدم تجاوزها حاجز الجملة.
- معرفة الفرد لقواعد لغته وأوجه تصريفها وتركيبها لا يعني أنّه يجيد التواصل.
- يعدّ الخطاب الممثل الحقيقي للغة في كافة جوانبها، لهذا وجب اعتماده كموضوع للدراسة اللّسانية.
- تحول الاهتمام في اللّسانيات التوليدية من اللّغة في الواقع إلى النحو.
- اللّسانيّات التوليدية هي لسانيات كفاءة لغوية.
- إقصاء تشومسكي للإنجاز اللّغوي من مجال الدراسة اللّسانيّة.

- لا تقوم المقبولية مثلما يرى تشومسكي على معايير لسانية صرفة، بل هناك معايير أخرى تحدد مقبولية الجملة من عدمها، مثل المعايير التداولية مثلا.
- تقديم تشومسكي للمكون التركيبي في جميع نماذجه وحصره لوظيفة التوليد فيه دون سواه.
- إهمال تشومسكي للمكونين الدلالي والتداولي في معظم نماذجه وحصرهما في الوظيفة تأويلية فقط.
- تغيير تشومسكي لنماذجه التوليدية في كل مرة راجع إلى عدم ضبطه لموضوع الدّراسة اللّغوية في كافة جوانبه.
- تعدّ مرحلة السبعينات المرحلة الحقيقية الّتي ظهرت فيها اللّسانيّات النصّية.
- موضوع اللّسانيات النصّية هو البناء أو الهيكل العام للنصّ المحكوم بقواعد الاتّساق والانسجام.
- لابدّ من امتلاك المتكلم للكفاءة النصّية إذا ما أراد أن يتعامل مع النصوص باحترافية ومهنية عالية.
- يركز اتجاه نحو النصّ على العناصر اللّغويّة الّتي لها علاقة باتّساق النصّ وتماسكه.
- يختص اتجاه دلالة النصّ بالنظر في القضايا والمسائل الدلالية للنص.
- يرتكز اتجاه التداولية النصّية على مناسبة النصّ لأهداف وغايات منتجه، وكذا موافقته للسياق الذي أنتج فيه.
- يقوم الاتّساق النصي على مجموعة من الأدوات والآليات اللّغويّة السطحية الّتي تجعل النصّ متماسكا.
- يقوم الانسجام النصّي على الترابط المفهومي والدلالي والمنطقي للقضايا المشكلة للنصّ.
- كلما قلت الروابط اللّغويّة في النصّ قلّ الاتّساق، وحضر الانسجام.
- يعتمد الانسجام النصي في جزء كبير منه على مقدرة القارئ على فهم النصّ وتأويليه.
- تقوم مقبولية النصّ على مدى استجابته لمعايير الاتّساق والانسجام النصّي.
- النصّ كيان قصدي بامتياز.
- الإعلامية هي المعلومات الجديدة الّتي يحصلها القارئ أثناء قراءته للنصّ.
- المعايير النصّية السبعة الّتي أتى بها دي بوجراند هي معايير غير متجانسة.

- احتكام بعض المعايير النصّية إلى الذاتية، مثل: المقبولية، والانسجام النصي.
- هناك معايير أخرى للنصّية لم ترد ضمن معايير دي بوجراند، مثل: الموضوعاتية، فلكل نصّ مثلما هو معلوم موضوع معين.
- ما قام به دي بوجراند في نظرية المعايير النصّية لا يعدو أن يكون محاولة توفيقية لحل مشكلة النصّية.
- أغلب المعايير النصّية الّتي أتى بها دي بوجراند تشكل مجالات بحث مختلفة يمكن من خلالها دراسة النصّ.
- تعد لسانيات الجملة رافدا أساسيا من روافد لسانيات النصّ.
- إن البلاغيين القدامى مثل: الجرجاني والسكاكي كانوا على وعي تام بالأدوات الّتي تحقق الترابط داخل النصّ، والشروط الّتي تحكم ذلك، وهو ما تجسّد في تقعيداتهم للوصل والفصل في الدرس البلاغي.
- يقع الحذف عند البلاغيين العرب القدامى على فضول الكلام الّتي يغني السياق عن ذكرها، كما أنّ البلاغيين العرب القدامى كانوا أكثر تفصيلا للحالات الّتي يظهر فيها الحذف، بخلاف هاليداي ورقية حسن اللّذان اكتفيا بذكر أقسام عامة منه فقط.
- لقد اكتفا كل من هاليداي ورقية حسن بذكر أقسام محددة من التكرير، بخلاف البلاغيين العرب القدامى أمثال "السجلماسي" و "ابن بناء المراكشي" اللذان فصّلا كل حالات التكرير وصوره وأنواعه وأشكاله، وهذا مما يعكس نظرتهم الثاقبة للآليات الّتي تحقق الاتّساق النصي.
- يقابل مفهوم البنية اللّفظيّة عند "حازم القرطاجني" مفهوم الاتّساق النصيّ عند الغربيين المحدثين، وأمّا مفهوم البنية المعنوية عنده فيقابله مفهوم الانسجام النصي عندهم، وهذا مما يدلّ على أنّ اللّغويين العرب القدامى قد عرفوا جيدا معايير النصّ والنصّية.
- لقد أكدّ "حازم القرطاجني" على أنّ القصائد الشعرية ذات الجودة العالية هي الّتي تكون متماسكة الفصول متصلة العبارات والأغراض، بمعنى المستوفية لشروط الاتّساق والانسجام النصي.
- لقد اهتم المفسرون القدامى بالإحالة وأنواعها والأشياء الّتي تعود عليها، وذلك لأهميتها في في فهم النصّ القرآني، فقد عرف المفسرون أنّ الضمير أو اسم الإشارة يعود في بعض الأحيان

على أشياء أو ذوات وردت قبله، كما أنّه قد يعود في أحيان أخرى على أشياء أو ذوات وردت بعده، وهذا ما يتطابق مع ما أتى به علماء لسانيات النصّ المعاصرين في باب الإحالة النصّية.

- لقد عرف المفسرون القدامى نوعا مهما من أنواع الإحالة لم يشر إليها كل من هاليداي ورقية حسن، وهو النوع الّذي يعود فيه عنصر الإحالة على متعدد أو على فقرة كاملة.
- لقد انتبه المفسرون جيدا إلى حالات الوصل والفصل بين آي القرآن الكريم والشروط الّتي تحكم ذلك، وقسموها أحسن تقسيم، وذلك بفضل تعاملهم المباشر مع آي القرآن الكريم وسوره، تحليلا وفهما وتأويلا.
- لقد كان المفسرون على علم بظاهرة التكرير في القرآن الكريم وفوائدها؛ إذ يساهم التكرير في فهم آي القرآن الكريم، بالإضافة إلى وظيفته الاتّساقية.
- يعدّ علم مناسبات آي القرآن وسوره المجال الأمثل الّذي تتجلى فيه أدوات وآليات تحليل الانسجام النصّي.
- لقد كان علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره على وعي بالعلاقات المعنوية واللّغويّة الّتي تحكم آي القرآن الكريم وسوره، مما جعل منهم روادا في باب القواعد والضوابط الّتي تحكم النصّ والنصّية.
- تعتبر علاقة (تفصيل إجمال) بحسب علماء مناسبات آي القرآن الكريم وسوره من أهم العلاقات الدلالية الّتي تساهم في انسجام النصّ القرآني وترابطه.
- إنّ مجال تحليل الخطاب مجال تداولي سياقي في صميمه.
- إنّ أهم شيء في تحليل الخطاب هو رصد مختلف المعاني والقصود والمقاصد الجزئية والكلية الّتي يتضمنها الخطاب كموضوع للدّراسة والتحليل.
- لسانيات النصّ هي رافد واحد من روافد تحليل الخطاب.
- خِطابية النصّ هي ارتباطه بسياقه وظروف إنتاجه وتلقيه.
- الكفاءة الخطابية هي قدرة المرء على صناعة الخطاب بما يتوافق والمقصود منه، وكذا بتأويله وفهمه وفق المراد منه.

- تهتم التداولية بالعملية التواصلية والتخاطبية ككل؛ إذ لا يمكن فصل اللّغة عن واقعها، وأي محاولة لذلك تعتبر تجزيئا وتشويها للغة كموضوع للدّراسة العلمية.
- التداولية تداوليات، بيد أنّه بمكن الاستفادة من مختلف المفاهيم الّتي توفرها الاتجاهات التداولية ووضعها في حزمة واحدة يحلل الخطاب في ضوئها.
- يعتبر الحجاج آلية من الآليات التداولية، وهو مبحث تداولية بامتياز.
- يقصد بالحجاج تلك التقنيات الخطابية الّتي تستعمل في الإقناع أو زيادة درجة الإذعان لدى المخاطبين.
- لقد كان الأصوليون القدامى على وعي بأنّ للكلام بعدين اثنين: بعد إعلامي، وبعد إنجازي.
- الشيء الأساسي في الخطاب عند الأصوليون هو القصد، فهو الهدف والغاية والمرام، وفي هذا تطابق واضح بينهم وبين علماء التداولية المعاصرة.
- تقسيم الأصوليون للكلام إلى خبر وطلب هو تقسيم مقارب لما قام به أوستين عندما قسّم الكلام لملفوظات وصفية وملفوظات إنجازية.
- تعتبر معايير الرتبة والإيقاع والفائدة والإرادة معاييرا تداولية استعملها الأصوليون في تحديد أقسام الكلام.
- لقد كان الأصوليون القدامى سباقين في معرفة أنّ للغة جانبان مهمان هما الوضع والاستعمال، فقد فرقا بينهما جيدا، ووضعوا لكل جانب منهما حدوده.
- لقد اهتم الأصوليون القدامى جيدا بالظواهر الّتي تندرج ضمن مجال الاستعمال أو ما يعرف اليوم بالتداوليات، مثل ظواهر الحذف والتلميح والإيحاء والمضمرات والمجاز والمسكوت عنه .
- أهمية السياق في فهم المعنى حاضرة في الدرس الأصولي، فلا فهم صحيح للكلام من دون الرجوع إلى سياق إنتاجه.
- تقسيم البلاغيين الكلام إلى خبر وإنشاء مقارب لتقسيم أوستين الكلام لملفوظات وصفية وإنجازية.
- لقد عرف البلاغيون جيدا أنّ الصيغة اللّغوية الموضوعة لمعنى معين يمكن أن تفيد معنى آخر غير الموضوع لها، ويكون ذلك وفقا للسياق، وهذا ما يعرف عند التداوليين المعاصريين بالأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.

- لقد تبنى البلاغيون العرب القدامى في معظمهم مقاييسا تداولية في تصنيف أقسام الكلام، ولعلّ من أبرز تلك المقاييس نذكر: مقياس النسبة الخارجية، ومقياس اعتقاد المخبر، ومقياس فعل المتكلم، وكذا مقياس الفائدة، وهذا ما يتقارب تماما مع ما ذهب إليه نظرائهم الأصوليين، وكذا التداوليين المعاصرين.
- لقد كان البلاغيون العرب القدامى على وعي مثلهم مثل نظرائهم الأصوليون القدامى بأنّ للغة جانبان، جانب وضعي وجانب استعمالي تداولي، وهذا ما توصل إليه الدرس اللّساني حديثا.
- يقابل مفهوم معنى المعنى عند الجرجاني مفهوم الاستلزام الحواري عند فيلسوف اللّغة غرايس Grice.
- لقد عرف البلاغيون العرب القدامى جيدا ظاهرة الالتفات في الخطاب، وهو ما تنبه إليه التداوليون المعاصرون حديثا عندما ركزوا اهتمامهم على حالات الانتقالات الضمائرية الّتي يحدثها المتكلم في خطابه والّتي تكون لأجل تحقيق غايات تداولية.
- يتطابق كلام "حازم القرطاجني" تماما مع كلام بيرلمان Perleman وتيتكاه عن خصائص الخطاب الحجاجي.
- يعتبر التمويه عند "حازم القرطاجني" استراتيجية خطابية إقناعية مبنية على الكذب، وهذا الّذي يجعلها مقابلة لمفهوم المغالطة في الدرس الحجاجي المعاصر.
- لقد تعددت الإحالة الضميرية في خطبة الإبراهيمي بين إحالة على كلمة، وإحالة على جملة، وإحالة على فقرة كاملة.
- لقد تركزت الإحالة بالأسماء الموصولة في خطبة الإبراهيمي المولدية في الاسمين الموصولين (الّذي والّتي)، إذ كان لهما حضور بارز في الخطبة مقارنة بالأسماء الموصولة الأخرى.
- لقد تعددت الإحالة الإشارية في خطبة الإبراهيمي بدورها على إحالة على كلمة، وإحالة على جملة أو عبارة، وإحالة على فقرة كاملة، وهذه سمة مشتركة بينها وبين الإحالة بالضمير.
- تعتبر أداة الوصل (الواو) الأداة المهيمنة على معظم خطبة الإبراهيمي المولدية، فقد ذكرت حوالي (288) مرة، ثمّ تأتي بعدها باقي العناصر الوصلية الأخرى، وهذا مما يعكس مركزية أداة الوصل (الواو) في اتّساق النصوص وتماسكها.

- لقد كان التكرير المتطابق أكثر حضورا في نص خطبة الإبراهيمي المولدية مقارنة بالتكرير المعنوي، ولكليهما دور مركزي في اتّساق وتماسك خطبة الإبراهيمي المولدية.
- استعمال الإبراهيمي للمتضادات والمترادفات ولكلمات من نفس القسم بكثرة يدلّل على انتمائه لمدرسة الصنعة اللّفظيّة الّتي يعتبر أحد روادها، كما كان للأنواع السابقة دور مهم في اتّساق خطبة الإبراهيمي وتماسكها.
- لقد كان الحذف بدوره حاضرا في خطبة الإبراهيمي المولدية، حيث تعدد بين حذف لضمير وحذف لكلمة وحذف لكلمتين.
- لقد لعبت علاقات السبب والنتيجة والمقابلة والاستثناء والاستدراك وسؤال جواب أو الاستفهام دورا مركزيا في انسجام خطبة الإبراهيمي المولدية دلاليا.
- لقد كانت علاقة الشرط العلاقة الأكثر حضورا في خطبة الإبراهيمي المولدية، حيث ساهمت بشكل كبير في الانسجام النصي لخطبة الإبراهيمي المولدية.
- تمحورت الأطر في خطبة الإبراهيمي المولدية حول الجانبين الديني والأخلاقي؛ لأنها ألقيت في مناسبة دينية هي مناسبة مولد النبي عليه الصلاة والسلام.
- موضوع خطبة الإبراهيمي المولدية هو المعاني النبيلة والقيم الأخلاقية الجليلة الّتي يجب استذكرها بمناسبة المولد النبوي الشريف.
- تيمة خطبة الإبراهيمي المولدية هي النبي عليه الصلاة والسلام، إذ يعتبر مركز الجذب الّذي دارت حوله معظم الأحداث.
- لقد كانت علاقة إجمال تفصيل وعلاقة تفسير بيان حاضرتان في خطبة الإبراهيمي المولدية، حيث لجأ الإبراهيمي في كثير من الأحيان إلى تفصيل ما كان أجمله من قبل، وتفسير ما كان ذكره من قبل، وفي ذلك إشارة واضحة على انسجام خطبته المولدية، إذ لا يمكن معرفة ما تضمنته من معاني وأفكار إلى بقراءتها قراءة كاملة.
- لقد استعمل الإبراهيمي في خطبته المولدية الأفعال الكلامية المباشرة من أجل إعلام مخاطبه بأشياء يجهلها، كما استعمل أيضا الأفعال الكلامية غير المباشرة من أجل تغيير سلوك مخاطبه بطريقة ودية.
- يمكن القول بأنّ الفعل الكلامي المباشر لخطبة الإبراهيمي هو النصح والإرشاد.

- لقد تركزت الإحالة الضميرية الخارجية في خطبة الإبراهيمي حول ضميرين رئيسيين اثنين هما: الضمير (أنتم) والّذي يعود على المستمعين الّذين شهدوا الخطبة، والضمير (نحن) الّذي يعود على الإبراهيمي وعموم الحاضرين، إذ ضمّ نفسه إلى جميع الحاضرين تواضعا منه أولا، وتحببا لمستمعيه ثانيا.
- إنّ محاولة معرفة مكان وزمان خطبة الإبراهيمي تقتضي الإحاطة بمعلومات غير واردة في نصّ الخطبة، وهو ما يعرف بالسياق الخارجي للنصّ.
- لقد اعتمد الإبراهيمي على تقنية المعارضة كآلية حجاجية عندما وضّح لمستمعيه أنّ أفعال وسلوكات المسلمين في المولد النبوي تعارض القيم الأخلاقية والنبيلة الّتي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام.
- لقد ركز الإبراهيمي على تقنية التسبيب كتقنية حجاجية، وذلك بغرض إعلام مستمعيه أنّ كل ما جاء به في هذه الخطبة مؤسّس ومبني على وقائع معينة.
- لقد وضح الإبراهيمي مواضع التفريط الّتي يعاني منها المسلمون في خطبته؛ عن طريق استعمال تقنية تقسيم الكل إلى أجزائه، حيث فصل في ذلك أحسن تفصيل.
- اعتمد الإبراهيمي على تقنية التمثيل الحجاجية، فخطبته غنية بالتشبيهات والاستعارات الّتي تدفع المستمع إلى الاقتناع بما ذهب إليه من آراء وأفكار في هذه الخطبة.

الملحق

(نص المدونة)

الخطبة

ليس هذا المولد النبوي الذين تحيون ذكراه في كل عام ميلاد رجل محدود الوجود بطرفي الحياة، ولو كان كذلك لكان محدود المعنى؛ لأنّ وراء كل حياة موتا، ولكان كبقية الموالد الّتي تتحكم فيها الأعراف فتغالي فيها أو تتوسط، واحتفال رجل بعيد ميلاد ولده الوحيد العزيز لا ينقل شعور الفرح والابتهاج من الوالدين إلى الجيران إلاّ على نمط من المجاملة والمقارضة العرفية.

ولكن ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بهدى ودين الحق هو مولد لكل ما جاء به محمد من الهدى ودين الحق، فهو مولد للصلاح والإصلاح والهداية والرحمة والخير والعدل والإحسان والأخوة والمحبة والرفق، وهو مولد لجميع الشرائع السمحة الّتي غير الكون، وطهرت النفوس، وصححت الحدود بين النّاس، فوقف كل خليط من خليط موقف المعاون، لا موقف المعاكس: فالمرآة والرجل، والأمير والمأمور، والحر والعبد، والكبير والصغير، والأب والابن، والجار والمجرور، والعربي والأعجمي، والأجير والمستأجر، والغني والفقير، كل أولئك أصبح راضيا بحاله، ناعما في عيشه، سعيدا في حياته، آمنا من ظلم خليطه.

ومولد محمّد صلى الله عليه وسلم هو الفاصل بين حالتين للبشريّة، حالة من الظّلام جلّلها قرونا متطاولة، وحالة من النّور كانت تترقبها، وقد طلع فجرها مع فجر هذا اليوم، فميلاد محمد صلى الله عليه وسلم كان إيذانا من الله بنقل البشرية من الظّلمات إلى النّور، ومن الضّلال إلى الهداية، ومن الوثنيّة إلى التوحيد، ومن العبوديّة إلى الحريّة، وبعبارة جامعة من الشّر الّذي لا خير فيه إلى الخير الّذي لا شرّ معه.

مولد محمّد صلى الله عليه وسلم هو مولد تلك التّعاليم الّتي حرّرت العقل والفكر وسمت بالرّوح إلى الملاء الأعلى، بعدما تدنّت بالمادّة إلى الحيوانيّة، وبالشّهوات إلى البهيميّة، وبالمطامع إلى السّبعيّة الجارحة.

ومولد محمّد صلى الله عليه وسلم هو مولد الإسلام والقرآن وذلك الفيض من المعاني الّتي أصلحت الأرض ووصلتها بالسّماء وفتحت الطّريق إلى الجنّة.

فقولوا لمن جاء بعد محمّد صلى الله عليه وسلم من زاعم بزعم الانتصار للحقّ، وزعيم يهتف بالحقّ، وداع يدعو إلى الحريّة، وعاقل يبكي على العقل، ومفكّر يجهد في تحرير الفكر، وروحاني يعمل لسمو الروح، وأخلاقي يضع الموازين للمثل العليا، وحاكم يحاول إقامة العدل في الأرض، وحائر لا يدري من أين يبتدئ ولا أين ينتهي؟ قولوا لهم جميعا: قد سبقكم محمّد إلى هذا كلّه، وقد نصب لكم بقرآنه وسيرته أعلام الهداية في كل مصعد وكلّ منحدر، ولكنّكم قوم لا تفقهون أو لا تصدّقون، فارجعوا إليه إن كنتم صادقين تجدوه منكم قريبا.

هذه المعاني هي الّتي يجب أن نستشعرها حينما نذكر المولد، وحينما نحتفل به، أمّا ما عاد ذلك ممّا نفعله ونقوله فزوائد لا قيمة لها في العقول ولا أثر لها في النّفوس.

هذه هي المعاني التي يجب أن نعدّ أنفسنا للتّأثّر بها حتّى نليّن قيادها للخير، وندمّث وعورتها لتلقّيه ولعمل به، ولا يكون ذلك إلاّ إذا مررنا بها على مواطن العبرة فيها، واستدرجناها لحسن الاقتداء لها واتقان الاحتذاء لها.

لو فهمنا المولد المحمّديّ بهذه المعاني لكان إضلاله لنا في كلّ عام تجديدا لهممنا، وإيقاظا لشواعرنا وصقلا لأذهاننا، وجلاء لأرواحنا، وكانت آثار ذلك سموّا في أرواحنا وسدادا في آرائنا، وتحوّلا إلى الخير في أحوالنا، وجمعا لكلمتنا على الحقّ، وتوحيدا لصفوفنا في النّوائب.

ولكنّنا فهمناه على قياس من عقولنا وهي جامدة، وعلى نحو من هممنا وهي خامدة، وعلى نمط من عاداتنا وهي سخيفة، وقصرناه على هذه التّوافه: لعب للصغار ليس فيها فائدة، وخطب للكبار ليس فيها عائدة.

فعلنا بمولد محمّد صلى الله عليه وسلم ما فعلناه بسيرته، فاقتصرنا في كليهما على أضعف جانبيه، فنحن في مولده نلهو ونلعب، ونعمر يومه وأسبوعه بحفلات تقليديّة ليس فيها روح، كذلك نحن نتدارس سيرته التي هي التّفسير العملي للإسلام فلا ندرس إلاّ جانبها البشريّ من كيفيّة أكله ولباسه ونومه، لا جانبها الملكي من صبره وجهاده وتربيّته لأمّته، وبناء الدّولة الإسلاميّة.

يختلف الفقهاء في هذه الحفلات المولديّة هل هي مشروعة أو غير مشروعة؟ ويطيلون الكلام في ذلك بما حاصله الفراغ والتّلهي والقطع الوقت بما لا طائل فيه، والحقّ الذي تخطّاه الفرقان أنّها ذكرى للغافلين، وإنّما لم بفعلها السّلف الصّالح لأنّهم كانوا متذكّرين لقوّة دينهم، وطبيعة قربهم من الله وعمارة أوقاتهم بالصّالحات.

أمّا في هذه الأزمنة المتأخّرة التي رانت فيها الغفلة على القلوب، واستولت عليها القسوة من طول أمد، واحتاج فيها المسلمون إلى المنبّهات؛ فمن الحكمة والسداد أن يرجع المسلمون إلى تاريخهم يستنيرون عبره، وإلى نبيّهم يدرسون سيره، وإلى قرآنهم يستجلون حقائقه، وإنّ من خير المنبهات مولد محمّد صلى الله عليه وسلم – لو فهمناه بتلك المعاني الجليلة.

أيّها المسلمون:

قبل أن تقيموا حفلات المولد، أقيموا معاني المولد، وتدرّجوا من المولد المحمّديّ الذي هو مولد رجل إلى البعثة المحمّديّة الّتي هي مولد دين نسخ الأديان؛ لأنّه أكمل الأديان، وهنالك تضعون أيدكم على الحقيقة الّتي تهديكم إليها هذه الذّكرى.

حاسبوا أنفسكم في كلّ عام؛ من أين انتقلتم وإلى أين وصلتم؟ أشيعوا بينكم في هذه الذّكريات المحبّة والأخوّة والاتّحاد على الحقّ، واذكروا أنّ صاحب هذه الرّسالة بعث بالعزّة والكرامة والعلم والقوّة، فكونوا أعزة وكونوا أحرارا، وكونوا أقوياء، واعرفوا محمدا بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده، وأقيموا دينه، ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولده أو لا تقيموه .

إنّ محمّدا صلى عليه وسلم يطالبكم بإقامة الدّين لا بإقامة المولد، وإنّ دينكم دين الحقائق والأعمال والنّظم، فارجعوا إلى تلك الحقائق وانصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم.

من الخير للمسلمين أن يسيروا إلى الأمام دائما بأبدانهم وعقولهم مع الأمم الزّاحفة إلى الحياة، المتزاحمة على مواردها، أو أمام الأمم الزّاحفة المتزاحمة، مندفعين بحداء القرآن إلى الحقّ الذي تؤيّده القوّة، وإلى القوّة الّتي يؤيّدها الحقّ، ليعمروا هذا الكون بالعدل والصّلاح والإحسان والخير والمحبّة،

ويتحقّق وعد الله إيّاهم بالاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم الذي ارتضاه لهم فيها، وتبديل خوفهم أمنا إذا آمنوا وعملوا الصّالحات وعبدوا الله ولم يشركوا به شيئا.

من الخير العميم لهم أن يفعلوا ذلك في جميع أنحاء العام، إلاّ في ليلة واحدة منه، وهي اللّيلة الموافقة لميلاد محمّد صلى الله عليه وسلم، فالواجب عليهم أن يرجعوا فيها القهقرى، وأن يطووا فيها هذه المراحل الأربعة عشرة الّتي نسمّيها قرونا، وأن يمحوها من أذهانهم بخيرها وشرّها حتّى كأن لم تكن، ليتّصلوا في ليلة من العام بالآفاق التي انفجر ماؤها العذب الزّلال، فأروى النفوس وغسل أكدارها، وطهّر الأرض وأحيا مواتها، والواجب أن يتّبعوا السبب حتّى يبلغوا مطلع الحقيقة، حقيقة السّعادة الّتي جلها الله على هذا الكوكب الأرضيّ، كوكب الشّقاء والأرض والفساد والتّناحر، والواجب أن يفعلوا هذا ليجتمعوا بمحمّد –صلى الله عليه وسلم– في ليلة من كلّ عام، فيأخذوا عنه كيف كان يزكّي وكيف كان يعلّم، وكيف كان يجاهد الكفر قبل أن يجاهد الكفّار، ويحارب المعاني الفاجرة قبل أن يحارب الفجّار، وكيف كان يغرس الفضيلة ويتعهّدها بالسقي والرّعاية حتّى تنموا وتورق وتظّل وتثمر، وكيف كان يقلع الوثنيّة ليزرع التوحيد، ويهدم الضّلال ليبني الهدى، وكيف كان يهدي بالقرآن للتي هي أقوم، وكيف كان يمهّد للحقّ بالقوة، ويضع القوة في خدمة الحقّ، وكيف كان ينتصف للرّوح من الجسم حتّى إذا بلغ المعادلة أذن لسلطان لاروح بالاستلاء على العرش من غير أن يضارّ الجسد أو يضيمه، وكيف كان يؤلّف بين سنن الله في الدّين وبين سننه في الكون ليربط الأسباب بالمسبّبات، والدّين بالدنيا، ويزاوج بين السعادتين فيها.

هذه المعاني وهي – قطرة من بحر– هي التي يجب أن يذكرها المسلمون، وأن يتذاكروها كلّما أظلّتهم هذه اللّيلة من كلّ عام، وأن يحتفلوا لذكرها باللّسان وذكرها بالقلب وتحقيقها بالعمل، وأن يتواصوا بالتخلّق بها في أنفسهم ثمّ فيمن يليهم من أهل وجيران وأقارب، وأن يتنافسوا في البلوغ إلى غايتها، وأن يعتبروا هذه اللّيلة حدّا فاصلا بين مرحلة مقطوعة ومرحلة مستأنفة، وموقف محاسبة على عام مضى، واستعداد لعام يأتي.....

أمّا والله لو أننا نظرنا إلى هذه اللّيلة بهذه النظرة، ووزنها بهذا الميزان، وبنينا إقامة الحفلات فيها على هذه الحكمة، لما أصبنا بهذا الوهن القاتل، ولما أصيبت جدة الدّين بيننا بالأخلاق، ولما تفرقنا شيعا فيه ومذاهب، ولما تكدّرت مشاربنا منه بالضّلال والابتداع، ولا تنوسيت تلك السنن العظيمة بالغفلة والإضاعة.

أيّها الإخوان:

إنّ نبيّنا منّا لقريب لو جعلنا الصّلة بيننا وبينه حبل الله القرآن، فقد تركه فينا ليكون النّور الممتدّ بيننا وبينه، وقد كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويقف عند حدوده، ويصنع أفعاله وتروكه من أوامره ونواهيه، وينحت من معدنه تلك الآداب الّتي ربّى بها نفسه وراض عليها أصحابه، ثمّ تركها كلمة باقية فينا وحجّة بالغة لنا أو علينا، وقد شرّفنا –صلى الله عليه وسلم– تشريفا يبقى إلى الدّهر، وشهد لنا شهادة لا نتيه بها عن الغابرين، إذ قال لأصحابه: "أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي".

ولكنّنا تركنا هذا المرجع الإلهيّ المعصوم في اقتباس سيرة نبيّنا، كام هجرناه في كلّ ما جاء به من عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وأصبحنا نتلمّسها من كتب فيها الموضوع، وفيها المصنوع، وفيها الصّحيح الّذي لا يثير عبرة ولا يحي نزعة من نزعات الخير فينا، ولا يحملنا على التّأسّي بتلك السّير الّتي هي كنوز معارف، ومعادن فضائل، وأعلام اقتداء، ومنازل نقلة الفكر إلى المثل الأعلى، وبالرّوح إلى الملأ الأعلى.

ألستم ترون أنّ أكثر المؤلّفين في السّير يصرفون اهتمامهم إلى الجهات الّتي لا محلّ فيها للاقتداء الّذي يزكي النفس أكثر مما يصرفونه إلى الجهات التي تزكّي النّفس وتطبعها على الخلال النبويّة، يهتمّون بالمواطن السّطحيّة البشريّة مثل كيفيّة لبسه وأكله وشربه ونومه وملابسه وأهله، ويغفلون المكامن الرّوحيّة الملكيّة مثل تعلّقه بالله ومراقبته له وتأدية الأمانة الشّاقّة، وصبره وشجاعته وتربيته

لأصحابه، وتدريبهم على جهاد أنفسهم حتّى تكمل على السّمع والطّاعة للحقّ وفي الحقّ، وعلى التّعاون والتّناصح والتّحابب والتّآخي والاتّحاد[1].

[1] محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص: 142-143-144-145-146.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– المصادر العربية:

1–ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري: تفسير القرآن العزيز، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط1، 2002ج3

2–ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي محمد: زاد المسير في علم التفسير، الجزء 2، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422، بيروت، لبنان.

3–ابن بناء، المراكشي العددي: الروض المريع في صناعة البديع، تح: رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، دار البيضاء، المغرب، د ط، 1985.

4–ابن فارس، أبو الحسين أحمد ابن زكرياء: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1979، ج 5.

5–ابن منظور، أبو فضل جمالالدين محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ– 1999م، ج4

6–ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن مسلم المصري: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، تح: ميكولش موارني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج 1.

7–أبو الحسين البصري، محمد بن علي الطيب المعتزلي: المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403، ج 1.

8–الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1402، ج 2.

9-الإيجي، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعي: جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء 1، دار الكتب العلمية، ط1، 2004، بيروت، لبنان.

10-الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي: الحدود في الأصول، تح: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003،

11-البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الجزء 2، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420.

12-البقلاني، القاضي أبو بكر محمد: القريب والإرشاد (الصغير)، تح: عبد الحميدبن علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1998، ج 1

13-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418، ج 06

14-التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع: تفسير التستري، جمع: أبو محمد البلدي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423.

15-الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد النحوي: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، القاهرة – مطبعة المدني، جدة، ط3، 1992،

16-الجويني، أبو المعالي ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن محمد، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج 1

17-الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: الفقيه والمتفقه، تح: أبو عبد الرحمان عادل وبن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2، 1421، ج 1.

18-الخطيب القزويني، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932.

19-الدبوسي، أبو زيد عبيد الله بن عمر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، تح: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001،

20-الدسوقي، محمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتنازي، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دس، ج2.

21-الرازي الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الحنفي: الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1994، ج 2.

22-الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، الجزء:2 دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، ص:349.

23-الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تح: علي الهلالي، دار التراث العربي، الكويت، مصر، ط2، 1987، ج 2.

24-الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجرير عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988، ج 3.

25-الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، ج 1،

26-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل محمود شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ج6.

27-السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري: المنزع البديع في تجنيس الأساليب، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980.

28-سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، دار الفكر، ط1، 1411، قم

29-السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ج 1.

30-السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: بحر العلوم، تحقيق: الشيخ على بن محمد معوض والشيخ عادل أحمد بن إبراهيم الموجود وزكرياء عبد المجيد النوتي، الجزء 2، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، بيروت، لبنان

31-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر: أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة، دط، دس.

32-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تح: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم لطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2012،

33-الشاشي: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد: أصول الشاشي – عمدة الحواشي للمولى محمد فيض الحسن الكنكوهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1982.

34-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مصر، ط2،1971

35-الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د ط، 1990،

36-الغزالي، أبو حامد محمد ابن محمد: المستسفى من خلال علم الأصول، تح: حمزة ابن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية- كلية الشريعة، المدينة المنورة، ج3: طرق الاستنباط

37-الفيروزابادي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي: التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1980.

38-القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي: العدة في أصول الفقه، ج1، تح: أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1990.

39-القاضي عبد الجبار، أبي الحسن الأسد آبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: إبراهيم الأبياري، بإشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، مصر، 1960، ج 07، خلق القرآن،

40-القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.

41-القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، ط1964،2، ج8

42-القزويني، جلال الدين محمد ابن عبد الرحمان الخطيب: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932.

43-الماتردي، أبو منصور محمد بن محمود: تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج 6.

44-محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984، ج3،

45-محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد مصر، ط1، 1938،

46-محمد متوالي الشعراوي: تفسير الشعراوي – خواطر حول القرآن الكريم، تح: أحمد هاشم عامر، المجلد الرابع عشر، دار أخبار اليوم، ط1، 1991.

47-محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ج1.

48-محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ج4.

ثانيا: المراجع العربية

1-أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

2-أحمد الصافي المستغانمي: جواهر الدرر في علم مقارنات السور- رؤية تأصيلية للروابط المضمونية واللغوية لمجموعة الأسر القرآنية، دار ابن كثير، ط1، 2018، بيروت، لبنان.

3-جمعان عيد الكريم: إشكالات النصّ، نادي الأدبي برياض والمركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط1، 2009.

4-جميل الحمداوي: محاضرات في لسانيات النصّ، شبكة الألوكة، ط 1، 2010،

5-جواد خاتم: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط1، 2016.

6-حسن بدوح: المحاورة- مقاربة تداولية، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، ط1، 2012.

7-حسين خمري: نظرية النصّ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007.

8-حمادي صمود: مقالات في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، وحدة تحليل الخطاب، تونس.

9-خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة – دراسة في استراتجيات الخطاب -، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2012.

10-خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.

11-ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، ط2، دس، تيزي وزو، الجزائر.

12-سعيد حسن بحيري: علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997،

13-السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، ط 1، 2008.

14-عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، 2012، الجزائر العاصمة، الجزائر.

15-عبد الرحمان الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 2012، الجزائر العاصمة، الجزائر.

16-عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية -للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2012، ج 2.

17-عبد الرحمان بودرع: النصّ الذي نحيا به، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، ط 1، 2018.

18-عبد الرحمان بودرع: النص الذي نحيا به، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، المغرب، ط1، 2018.

19-عبد الرحمان عبد السلام محمود: النصّ والخطاب من الإشارة إلى الميديا – مقاربة في فلسفة المصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2015، بيروت، لبنان.

20-عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية –نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، ط3، 1993،

21-عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية –نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، دار البيضاء، المغرب، ط3، 1993،

22-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

23-ماجد الماشطة وأمجد الركيبي: مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018م-1439.

24-محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النصّ ومجال تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، مشورات الاختلاف، د ط، دس.

25-محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

26-محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية – ج 1، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، ط1، 2001.

27-محمد العبد: النصّ والخطاب والإجراء، الأكادمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

28-محمد خطابي: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

29-محمد عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) – دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

30-محمد هادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1992،

31-محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016، ص:5.

32-محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

33-محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

34-مرتضى جابر باقر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني – قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، الرباط، المغرب، دار الأمان، ط1، 2015.

35-مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت.

36-مصطفى حركات: اللسانيات العامة وقضايا العربية، الدار الثقافية للنشر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

37-مصطفى غلفان: اللسانبات التوليدية- من نموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010.

38-مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية- منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013

39-مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، الأسس النظرية والمنهجية: من النشأة إلى النموذج المعيار، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ج1.

40-مصطفى غلفان: في اللسانبات العامة- تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010

41-منية عبيدي: تحليل الخطاب النقدي- نماذج من الخطاب الإعلامي، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016.

42-ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986،

43-نعمان بوقرة: المدارس اللسانية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

44-يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط3، 2013، عمان، الأردن،

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة

1-أزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2007،

2-أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2004،

3-آن ريبول وجاك موشلار: تداولية الخطاب – من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن البوتكلاي، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط1، 2020.

4-أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، تر: دار الأفاق، دار البيضاء، المغرب، ط1، دس.

5-باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مر: صلاح الدين شريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008،

6-بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقيبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، 2001.

7-جاك موشلار وآن ريبول: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

8-جاك موشلارل وآن ريبول: لماذا يحتاج تحليل الخطاب إلى نظرية ذهنية، تر: ذهبية حمو الحاج، دراسات وبحوث مختارة: تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دار الكنوز، الأردن، ط1، 2016.

9-جان بياجي، البنيوية، تر: عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات العويدات، بيروت، باريس، ط4، 1985

10-جورج براون وجورج يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ-1997م،

11-جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010،

12-جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

13-جيفري بول: النظرية النحوية، تر: مرتضى جواد باقر، رج: ميشال زكرياء، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009،

14-جيني توماس: المعنى في لغة الحوار- مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، تر: نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010.

15-دان سبيربر وديدري ولسون: نظرية الصلة أو مناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد 31-الخليفة، مر: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

16-دنيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات: تر: شاكر عبد الحميد، مطابع المجلس الأعلى للأثار، ط1، 2000.

17-دي بوجراند: النصّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

18-روبير مارتان: مدخل لفهم اللسانيات، تر: عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط2007،1.

19-زينايدايويوقا ويوسف ستيرنين: اللسانيات العامة، تر: تحسين رزاق عزيز، مر: عبد الجبار محسن الربيعي، دار الروافد الثقافية – ناشرون، منشورات ابن النديم، الجزائر، ط1، 2017،

20-فانديك: النصّ والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2013.

21-فانديك: علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

22-فرانثيسكو يوس راموس: مدخل إلى دراسة التداولية – مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل، تر: يحي حمداي، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع – العراق، ط1، 2014.

23-فرونسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء العربي، المغرب، دط، 1986.

24-فليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011.

23-ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، دار إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

24-كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنصّ – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والاتجاهات، تر:

25-سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2010،

26-ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانيات الكبرى- من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة،

27-ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانيات الكبرى- من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي.

28-ماريان يورغنسن ولويس فيليبس: تحليل الخطاب- النظرية والمنهج، تر: شوقي بوعناني، مر: محمد المومني، هيئة البحرين للثقافة والأثار، المنامة، البحربن، ط1، 2019، ص:13.

29-محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية – ج 1، أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، ط1، 2001.

30-نعوم تشومسكي: البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، مج: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987.

40-نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلة المعرفة، تر: حمزة بن بقلان المازني، دار توبقال، المغرب، ط1، 1990.

41-هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النصّ، تر: محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1999.

رابعا: المجلات

1-عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الإجتماعية، (مجلة فصول)، العددان 84 و85، خريف شتاء 12. 2013.

2-نعوم تشومسكي، تر: مصطفى كمال، العدد السادس، 1 أكتوبر 1987. (بيت الحكمة)، مجلة مغربية للترجمة، في العلوم الإنسانية.

3-مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 9، 2018.

خامسا: الملتقيات وندوات دولية

1-عبد الرحمان بودرع: النصّ اللغوي من التحليل إلى التركيب – دراسة في طرق بناء النصّ، جامعة عبد الملك السعدي، ندوة دولية: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، 11 و12 دجمبر 2019، تطوان، المغرب.

2- هشام بحيري: تحليل الشاهد الشعري بين النصية والخطابية- شواهد خرانة الأدب أنموذجا، ندوة دولية: من النصّ إلى الخطاب قواعد الانتقال وواقع التلقي والتأويل، 11 و12 دجمبر 2019، تطوان، المغرب.

سادسا: المراجع الأجنبية

1- Paul Baker and Sibonilellec : Key terms in discours analysis , continuum international Publishing group

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع الصفحة

البسملة

الإهداء

كلمة شكر

مقدمة .....أ-خ

مدخل: لسانيات الجملة (مدخل تاريخي) 1-30

تمهيد .....

1اللّسانيّات البنيويّة 2-17

1.1البنيويّة.....2-4

1.1.1 البنيوية في اللغة 3-4

2.1 اللّسانيّات.....5-8

1.2.1 مهام اللّسانيّات..... 5

2.2.1 مفهوم اللّسان.....5-6

3.2.1 مفهوم المدونة corpus.....6-7

4.2.1 منهج الدراسة اللّسانيّة.....7-8

3.1 العلامة اللّسانيّة.....8-11

1.3.1 الوحدات الأساسية للدراسة اللّسانيّة: 9

1.1.3.1الكلمة.....9-10

2.1.3.1 الجملة.....10-11

4.1 اللسانيات التوزيعية والنصّ.....11-15

1.4.1 مفهوم النص لدى زليج هاريس.....12-13

2.4.1 خطوات التحليل الهاريسي للنصّ.....13-15

5.1 قصور اللّسانيّات البنيويّة.....15-17

1.5.1 على المستوى المنهجي.....15-16

2.5.1 على المستوى المعرفي: 16-17
2 اللّسانيّات التوليدية: 17-30
2.1 التصور الافتراضي الجديد في الممارسة العلمية: 18-19
2.2 المفاهيم المركزية في النحو التوليدي: 19-24
1.2.2 مفهوم اللّغة 19-20
2.2.2 الإبداع اللغوي 20
3.2.2 الكفاءة اللغوية 20
4.2.2 الإنجاز اللغوي 21
5.2.2 الحدس اللغوي 21-22
6.2.2 الكليات اللغوية 22
7.2.2 الملكة اللغوية 22-23
8.2.2 النحوية 23
9.2.2 البنية السطحية والبنية العميقة 23-24
3.2 نماذج اللسانيات التوليدية 24-28
1.3.2 نموذج البنيات التركيبية 24-25
2.3.2 نموذج المعيار 25-26
3.3.2 نموذج العمل والربط 26-27
4.3.2 البرنامج الأدنوي 27-28
4.2 قصور اللّسانيّات التوليديّة 28-30
الفصل الأول:لسانيات النصّ مفهومها ومجالاتها وتجلياتها في المنجز اللغوي العربي القديم:.. 31-94
المبحث الأول: لسانيات النصّ مفهومها مجالاتها واتجاهاتها: 32-59
1.1 لسانيات النصّية المجال والمفهوم: 32-42
1.1.1نشأتها: 32-34
2.1.1مفهوم لسانيات النصّ:.....34-35
3.1.1 تعريف النصّ: 36-38

أ)لغة: 36
ب) اصطلاحا: 37-36
ت) العلاقة بين المعنى العربي للفظة النصّ والمفهوم الغربي: 38
4.1.1 مبادئ لسانيات النصّ: 39-38
5.1.1 مادة علم النصّ: 39
6.1.1 الكفاءة النصّية: 41-40
2.1 اتجاهات لسانيات النصّ: 42-41
1.2.1 نحو النصّ:.....41
2.2.1 دلالة النصّ: 42
3.2.1التداولية النصّية: 42
3.1 المعايير النصّية: 53-43
1.3.1 الاتساق النصّي: 45-43
أ) الإحالة النصّية:.....44-43
ب) الاستبدال: 44
ت) الحذف: 44
ث) الوصل: 45
ج) الاتساق المعجمي: 45
2.3.1 الانسجام النصّي: 50-46
أ) الفرق بين الاتساق النصّي والانسجام النصّي:.....48-47
ب) مظاهر الانسجام النصّي: 49-48
ت) وسائل الانسجام النصّي: 50-49
3.3.1 المقبولية:.....50
4.3.1 القصدية: 50
5.3.1 رعاية الموقف: 51-50
6.3.1 التناص: 51

7.3.1 الإعلامية/الإخبارية.....51
8.3.1 أوجه قصور نظرية المعايير النصّية:.....52-53
4.1 علاقة لسانيات النصّ بعلوم أخرى:.....53-59
1.4.1 لسانيات النصّ ولسانيات الجملة: 53-55
2.4.1 علم النصّ والخطابة:.....55-56
3.4.1 علم النصّ والأسلوبية: 56
4.4.1 علم النصّ والبلاغة: 57-58
5.4.1 علم النصّ وعلم النفس الإدراكي: 58
6.4.1 لسانيات النصّ وعلم النفس الاجتماعي: 59
المبحث الثاني: لسانيات النصّ في المنجز اللغوي العربي القديم 59-94
1.2 لسانيات النصّ عند البلاغيين العرب القدامى 60-74
1.1.2 الفصل والوصل: 60-65
أ) شروط الوصل: 61-62
ب) شروط الفصل: 62-64
ت) أنواع العطف بالواو بين الجملتين 64-65
2.1.2 مفهوم الحذف عند العسكري 65-67
أ) وجوه الحذف 66-67
3.1.2 التكرير عند السجلماسيّ 67-69
4.1.2 التكرير عند ابن بناء المراكشي 69-71
5.1.2 الطروحات النصّية عند حازم القرطاجنيّ 71-75
أ) قوانين اتصال الفصول وانفصالها 72-74
ب) الاتساق والانسجام النصي عند القرطاجني 75
2.2 لسانيات النصّ عند المفسرين 76-85
1.2.2 أسماء الإشارة 76-78
2.2.2 الضمائر 78-80

3.2.2 العطف 80-82
4.2.2 التكرير 82-83
5.2.2 المناسبة 83
6.2.2 الحذف 83-85
3.2 لسانيات النصّ وعلوم القرآن وعلم مناسبات القرآن.....85-94
1.3.2 ترتيب سور القرآن 86-87
2.3.2 علم مناسبات آي القرآن وسوره 87-88
3.3.3 علاقة تفصيل إجمال 88-89
4.3.3 أمثلة من القرآن عن علاقات تفصيل إجمال 90-91
5.3.3 أنواع المناسبات بين آي القرآن وسوره 92-94
أ) مناسبة البداية لما أتى في معظم السورة 92
ب) مناسبة وضع السور بعد بعضها البعض .....,.....92-93
ت) مناسبة اسم السورة للغرض منها 93
ث) مناسبة افتتاح السورة للغرض العام منها 93-94
الفصل الثاني: التداولية وتحليل الخطاب وتمظهراتهما في الموروث اللغوي العربي القديم:....95-186
المبحث الأول: التداولية وتحليل الخطاب النشأة والتأسيس: 96-139
1.1 تحليل الخطاب المفهوم والمجال: 96-115
1.1.1 نشأة تحليل الخطاب.....96-97
2.1.1 مفهوم تحليل الخطاب 97-100
3.1.1 تعريف الخطاب 100-105
أ) لغة 100-101
ب) اصطلاحا 101-104
ت) خصائص الخطاب 104-105
4.1.1 علاقة لسانيات النصّ بتحليل الخطاب 105-106
5.1.1 خطابية النصّ 106-108

6.1.1 علاقة الكلام بالخطاب 108-109
7.1.1 الفرق بين النصّ والخطاب 110-112
8.1.1 وظيفة محلل الخطاب 112-113
9.1.1 الكفاءة الخطابية 113-114
10.1.1 الاستراتيجيات الخطابية 114-115
11.1.1 موضوع الخطاب 115
2.1 التداولية المفهوم والمجال: 115-120
1.2.1 نشأة التداولية 115-116
2.2.1 مفهوم التداولية 117-118
3.2.1 موضوع التداولية 118-119
4.2.1 مهام التداولية 119-120
3.1 الاتجاهات التداولية 120-130
1.3.1 تداولية الأفعال الكلامية 120-123
أ) أقسام الأفعال الكلامية عند أوستين 121-122
ب) أقسام الأفعال الكلامية عند سيرل.....122-123
2.3.1 التداولية الإشارية 123-126
أ) خصائص الإشاريات 125-126
ب) أهمية الإشاريات 126
3.3.1 التداولية المحادثاتية 126-129
أ) مبادئ وقواعد المحادثة عند غرايس 126-127
ب) الاستلزام المحادثاتي: 127-128
ت) أنواع الاستلزام المحادثاتي 128
ث) قصد المتكلم بين طروحات سيرل ونظرية غرايس 128-129
4.3.1 التداولية المعرفية أو الإدراكية 129-130
أ) مبدأ الملاءمة 129-130

ب) القصد التواصلي والقصد الإخباري 130
4.1 أدوات وآليات التحليل التداولي للخطاب 131-139
1.4.1 الأفعال الكلامية المباشرة 131
2.4.1 الفعل الكلامي الغير مباشر.....131
3.4.1 الفعل الكلامي الكلي أو الشامل 132
4.4.1 السياق 132-135
أ) السياق اللّغوي أو النصّي 133
ب) سياق الحال 133-134
ت) مكونات السياق 134-135
5.4.1 الإشاريات 135-137
أ) الإشاريات الشخصية 135-136
ب) الإشاريات الزمانية 136
ت) الإشاريات المكانية 136-137
6.4.1 الحجاج 137
7.4.1 التقنيات الحجاجية 137-139
أ) طرائق الوصل 138-139
ب) الطرائق الإنفصالية.....139
المبحث الثاني: اللسانيات التداولية والموروث اللغوي العربي القديم 140-185
1.2 التداولية وعلم أصول الفقه 140-156
1.1.2 الكلام والخطاب عند الأصوليين العرب والمسلمين القدامى.....140-142
2.1.2 أقسام الكلام عند الأصوليين والملفوظات الوصفية والإنجازية عند التداوليين:142-143
3.1.2 المعايير التداولية لتحديد أقسام الكلام عند الأصوليين 143-148
أ) الرتبة 143-145
ب) الإيقاع 145-146
ت) الفائدة 147

ث) الإرادة 147-148
4.1.2 الحقيقة والمجاز عند الأصوليين 148-150
5.1.2 أنواع ومستويات المعنى عند الأصوليين 150-153
أ) دلالة المنطوق ودلالة المفهوم 150-151
ب) مفهوم الموافقة 151
ت) مفهوم المخالفة 152-153
6.1.2 دلالة الاقتضاء 153-154
7.1.2 أقسام المعاني عند الأصوليين 154-156
أ) معيار الوضوح 154-155
ب) معيار الخفاء 155-156
8.1.2 السياق عند الشافعي 156
2.2 التداولية والبلاغة العربية القديمة 156-174
1.2.2 الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب والمسلمين القدامى 156-159
2.2.2 الأفعال الكلامية الغير المباشرة عند البلاغيين العرب القدامى: 159-162
3.2.2 المعايير التداولية لتحديد أقسام الكلام عند البلاغيين.....162-164
أ) النسبة الخارجية 162
ب) فعل المتكلم 163
ت) اعتقاد المخبر 163-164
ث) الفائدة 164-165
4.2.2 أقسام الدلالة أو المعنى عند البلاغيين.....165-166
5.2.2 البلاغة والفصاحة عند الخطيب القزويني 166
6.2.2 مقتضى الحال (المقام) 166-168
7.2.2 معنى المعنى عند الجرجاني 168
8.2.2 الالتفات.....169-171
9.2.2 طروحات حازم القطاجني الحجاجية 170-173

أ) استراتيجية التمويه 172-173
ب) استراتيجية الاستدراج 173-174
3.2 التداولية لدى المفسرين العرب والمسلمين القدامى 174-185
1.3.2 أسماء الإشارة 174
2.3.2 الضمائر 175
3.3.2 الأفعال الكلامية الغير المباشرة 175-177
4.3.2 الأفعال الكلامية مباشرة 177-179
5.3.2 الالتفات 179-180
6.3.2 السؤال المفترض.....180-181
7.3.2 الاستدراج عند المفسرين 181-183
8.3.2 التمويه.....183-184
9.3.2 معنى المعنى عند المفسرين 184-186
أ) الكناية. 184
ب) التشبيه 184-185
ت) التمثيل 185
الفصل الثالث:تحليل الخطاب النثري-خطبة مولدية للشيخ البشير الإبراهيمي نموذجا:..186-243
المبحث الأول: الاتّساق والانسجام النصّي في الخطبة 187-221
1.1 الاتّساق النصيّ في الخطبة 187-211
1.1.1 الإحالة 187-198
أ) الضمائر 188-195
ب) الأسماء الموصولة 195-196
ت) أسماء الإشارة.....196-198
2.1.1 الوصل 198-199
3.1.1 الاتّساق المعجمي 200-208
أ) التكرير 200-204

ب) التضام 208-204
4.1.1 الاستبدال 211-209
أ) الاستبدال القولي 210-208
ب) الاستبدال الاسمي 210
5.1.1 الحذف 211-210
أ) حذف الكلمة 210
ب) حذف الكلمتين 211
2.1 الانسجام النصّي للخطبة 221-211
1.2.1 الترابط القضايا.....213-211
2.2.1 الإطار 214-213
3.2.1 البنى الكلية في الخطبة 217-215
4.2.1 موضوع الخطبة 218-217
5.2.1 التغريض 218
6.2.1 علاقة تفصيل إجمال 220-218
7.2.1 علاقة تفسير بيان 221-220
المبحث الثاني: التحليل التداولي والحجاجي للخطبة.....243-221
1.2 المظاهر التداولية للخطبة.....234-221
1.1.2 الأفعال الكلامية المباشرة والغير المباشرة في الخطبة.....225-221
2.1.2 الفعل الكلامي الكلي للخطبة 226-225
3.1.2 سياق الخطبة 227-226
4.1.2 الإحالة الخارجية.....229-227
5.1.2 الإشاريات الزمانية 231-229
6.1.2 الإشاريات المكانية 232-231
7.1.2 السؤال المقدّر.....233-232
8.1.2 علاقة تفصيل إجمال 234

2.2 تمثلات الحجاج في الخطبة 234-243
1.2.2 علاقة التعارض 234
2.2.2 علاقة الجزء بالكل 234-235
3.2.2 الحجج السببية 235-238
4.2.2 حجج الاحتمال 238
5.2.2 تقسيم الكل إلى أجزائه 238
6.2.2 حجج السلطة 238-239
7.2.2 المقارنة 239
8.2.2 التمثيل 239-240
أ) التشبيه 240-241
ب) الاستعارة 241-243
الخاتمة 444-252
الملحق: نصّ المدونة.....253-259
قائمة المصادر والمراجع 260-273
فهرس الموضوعات.....274-285

الملخص:

نروم في هذه الدراسة تحديد ماقدمت لسانيات الجملة لمفهوم النصّ، وكيف تجاوزت اللسانية النصّية لسانيات الجملة، وكذا رصد كيفية تجاوز اللسانية الخِطابية للسانيات النصّ، وصولا إلى الكشف عن كيفية تحليل الخطاب من منظور التداولية المعاصرة، مع اختيار خطبة وعظية"للشيخ البشير الإبراهيمي" بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف كمدونة تطبيقية لهذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

لسانيات الجملة؛ النصّ؛ لسانيات النصّ؛ الخطاب؛ تحليل الخطاب؛ التداولية

Résumé :

Dans cette étude, nous visons a déterminer ce que la linguistique de la phrase a présenté au concept de texte, et comment la linguistique de texte transcende la linguistique de la phrase, ainsi qu'à surveiller comment la linguistique du discours transcende la linguistique de texte conduisant à révéler comment analyser le discours du point de vu de la pragmatique contemporaine avec le choix d'un sermon du prédication, du Cheikh Al- Bashir Al- Ibrahémi à l'occasion de l'anniversaire du prophète comme blog appliqué pour cette étude.

Les Mot clés : linguistique du phrase ; texte ; linguistique du texte ; discours ; analyse du discours ; pragmatique

Summary:

In this study, we attempts to investigate what sentence linguistics has presented to the concept of the text, and how text linguistics transcends sentence linguistics as well as to monitor how discourse linguistics transcend text linguistics, leading to investigate how to analyze the discourse from the perspective of contemporary pragmatics, with choosing a preaching sermon by Sheikh Al- Bashir Al- Ibrahimi on the occasion of the Prophet's birthday as an applied blog for this study.

Keywords: sentence linguistics ; text ; linguistics text ; discourse ; discourse analysis ; pragmatics